منبر الإسلام

العدد ١٠ - السنة ٣٩ - شوال ١٤٠١هـ - أغسطس ١٩٨١م   الثمن ٢٠ قرشا

عدد ممتاز

مع العدد هديتان:

- جريدة العروة الوثقى.
- الفردوس «مجلة الطفل المسلم».

لا إله إلا هو رب العرش العظيم

فى هـذا العـدد:

		صفحة
القصة النبوية الشريفة . . .	الأستاذ أحمد حسين	٢
العدل والمصلحة فى التشريع الجنائى الاسـلامى	الدكتور جمال الدين محمود	٨
جمال الدين الأفغانى ومحمد عبـده المصرى وكفاحهما من أجل الاسلام	الأستاذ محمد هارون المجددى	١١
تفسير سورة المائدة	فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى	١٤
فى أصول الفقه	الدكتور محمد سعاد جلال	١٩
الأنبياء بين الشدائد والفرج . .	فضيلة الدكتور محمد كامل الفقى	٢٥
التكاليف الاسلامى موافق لطبيعة الانسان	الدكتور طه الدسوقى	٢٩
الأمل فى فجر جديد قطع دعاتنا خطوة .. وبقيت خطوات	الأستاذ محمد التهامى	٣٨
العقوبات فى الشريعة الاسـلامية .. أحكام القصاص ..	فضيلة الشيخ محمد خاطر	٤١
أحرف أصلية لا زائدة	الدكتور أحمد الحوفى	٤٤
الدعوة الى الله	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت	٤٧
الاسلام ومشكلات العصر . .	الدكتور عبد المقصود عبد الغنى	٥٢
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .	فضيلة الدكتور موسى شاهين لاشين	٥٦
عزة الايمـان	فضيلة الدكتور الحسينى هاشم	٦٢
صفحات من التراث	الأستاذ مصطفى خطاب	٦٤
الاسلام يصون الأعراض . . .	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٦٩
أطفال على مشارف الرجولة . .	الدكتور محمد محمود عمارة	٧٢
فى رحاب النبوة	الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى	٧٥
الامانة .. الامانة .. الامانة . .	الدكتور ابراهيم هلال	٧٨
حقيقة المجتمع الانسانى . . .	الدكتور مصطفى أبو سمك	٨١
موقف الاسلام بنظمه ومبادئه وتعاليمه	فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى	٨٥
الألفاظ المترادفة فى الاستعمال القرآنى	الدكتور رمضان عبد التواب	٨٨
من الظواهر الحضارية	الدكتور حسن سعد فشوان	٩١
وانتصر الحق فى يوم حنين . .	فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار	٩٥
أخبار العالم الاسلامى		٩٨
نحن والسودان	الأستاذ حمدان حمدين على	١٠١
احتفال اسلامى بغزوة بدر بالمسجد الحسينى		١٠٤
موقف الاسلام من الشعر . . .	الدكتور صلاح الدين عبد التواب	١٠٦
جعفر الطيار	الشاعر محمود شاور ربيع	١٠٩
نور الحبيب	الشاعر عمر موسى البرعى	١١٠
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة المفتى الشيخ جاد الحق على جاد الحق	١١٣
حديث الشهر .. بين معطيات رمضان ونزعات الشـيطان	يحرره فؤاد هيبه	١١٥
معسكر الخليفة الراشد ابى بكر الصديق		
مع القراء		١١٨
بريد التعارف		١٢٠

مطابع الأهـرام التجارية

منبر الاسلام

يصدرها :
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الاوقاف

يشرف على إصدارها
الدكتور زكريا البرى

رئيس التحرير
الدكتور جمال الدين محمد محمود

مدير التحرير
فـؤاد هيـبـه

(الغلاف)

الآية السادسة والعشرون من سورة النمل

اللهم هب لنا حقيقة الايمان بك ، حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك .

يا الله ، يا واحد يا أحد ، يا جواد ، انفحنا منك بنفحة خير ، انك على كل شيء قدير ، وأدخلنا يا أول يا آخر فى مكنون غيب سرك ، ما شاء الله لا قوة الا بالله وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وهب لنا سرا بالاسرار مسرورا .

(ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم).

« التحرير »

تصدر فى غرة كل شهر عربى

العدد -١٠- السنة ٣٩ شوال ١٤٠١هـ
أغسطس ١٩٨١ - الثمن ٢٠ قرشا

العنوان :
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ – تلغرافيا : الاسلام – القاهرة .

الاشتراكات :
١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية – ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدماً ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

كلمة التحرير

عزيزى القارىء ..

بفضل من الله جل علاه ، وبتأييد مؤزر منك ، تواصل منبر الاسلام مسيرتها الرائدة ، وعطاءها الفياض ، وأسلوبها المتجدد ، مما يحقق لقارئها الريادة والمعايشة الصادقة لجميع ألوان المعرفة الاسلامية باللغات الثلاث بعيدا عن التكرارية والتكلف أو الادعاء ..

وقد جاء نفاد العدد الماضى فور صدوره توثيقا لحسن استقبال القارىء لما ذهبت اليه منبر الاسلام من مخاطبة القارىء باللغات الثلاث فى عدد واحد .

وفى هذا العدد حرصت منبر الاسلام أن تقدم الوجبة الغذائية للطفل المسلم باللغتين الانجليزية والفرنسية فى مقابل الفردوس المجلة العربية للطفل المسلم ..

وسيظل التطوير والحرص على الأصالة فى العطاء الذى هو سمة منبر الاسلام امتدادا طبيعيا لهذا السيل الغامر من الآراء والعطاء الذى تتضمنه رسائل القراء من جميع أنحاء العالم الاسلامى بجميع اللغات ..

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ..

ومع هذا العدد تواصل جريدة العروة الوثقى مسيرتها الطيبة ورسالتها فى بعث هذه الحقبة من تاريخ أمتنا العربية والاسلامية .. التى حققت الصحوة الاسلامية المباركة التى نحياها اليوم .. وهو ما لم يتيسر للقارىء المسلم أن يطالعه كاملا غير منقوص الا من خلال منبر الاسلام ..

وفى هذا العدد تفسير سورة المائدة ، والقصة النبوية الشريفة ،العدل والمصلحة فى التشريع الجنائى الاسلامى، والحكم الشرعى واقسامه ، التكليف الاسلامى ، الأمل فى فجر جديد ، صفحات من التراث ، فى رحاب النبوة، وانتصر الحق ، والفتاوى الاسلامية ، موقف الاسلام من الشعر ، وأخبار العالم الاسلامى ، وحديث الشهر ولقاء مع أبناء العالم الاسلامى فى معسكر الخليفة الراشد أبى بكر الصديق . وفى الشهر القادم تواصل المجلة تقديم ندوة الشهر – ان شاء الله – .

القصة

النبوية الشريفة

الأستاذ أحمد حسين

الوقائع :

ونعود الى ذكر الوقائع ، وقد قدمنا أن عبدالله والد سيدنا محمد ، مات وهو بعد لا يزال جنينا فى بطن أمه ، فلما ولد كانت القاعدة أن يرسل الى البادية ، وكانت البدويات يفدن على مكة ليأخذن أولاد الأغنياء والأشراف ، وطبيعى أن يعرض الجميع عن طفل رضيع لا والد له ولكن « حليمة السعدية » احدى البدويات اللواتى قدمن من احدى قبائل هوازن ، يعز عليها أن ترجع صفر اليدين ، فتأخذ هذا الرضيع « اليتيم » ليكون ذلك من سعدها ويتم سيدنا محمد حقيقة لا يأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها ، فالقرآن يقول : « ألم يجدك يتيما فآوى » .

وكتب السيرة تتحدث بالاجماع عن وقائع نزول البركة على حليمة وكل ما يتصل بها كأن يكون عندها شاة جف ضرعها فاذا بلبن الشاة يتدفق بأغزر مما تدفق فى يوم من الأيام ، أو كيف انه عندما كبر وأصبح يأكل ، كان الطعام لا يكفى أولاد حليمة الا اذا أكل معهم ، وبالجملة فقد شهد الكل أن البركة حليفة هذا الطفل ، ومن هنا حرصت حليمة السعدية ، أن تحتفظ بسيدنا محمد ، فعندما جاء أوان رده لأمه بعد بلوغه الخامسة ، وعادت به الى مكة فعلا ، عملت جاهدة على أن تقنع أمه بأن تتركه معها مدة ثانية (بلا أجر طبعا) فاقتنعت الأم وعادت حليمة (بمستودع البركة) ولكنا سنرى أن حادثا يقع لسيدنا محمد سنتحدث عنه يجعل حليمة ترد الغلام غير أننا قبل أن نشير لهذا الحادث ، نجيب على هذا السؤال الذى لابد أنه يراود القارىء وهو لماذا ترضعه حليمة السعدية وليست أمه ، **فنقول انه جرت عادة اشراف العرب ممن يسكنون مدينة مثل مكة ، ان يرسلوا أطفالهم الرضع الى البادية ، ليشبوا فى ظل العادات العربية الصحيحة وعلى رأسها تعلم اللغة العربية الفصحى كما يتحدث بها فى البادية ، وتطبيقا لهذه القاعدة أخذت حليمة السعدية سيدنا محمدا (جريا على هذه العادة ، وقد سميت حليمة بالسعدية لأنها كانت تنتمى الى قبيلة « بنى سعد » أحد فروع « هوازن » وقد كانت حليمة تفد على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، فكان يكرمها غاية الاكرام حتى ليفرش لها عباءته ليجلسها عليها ، ويقول « أمى » وظل خلفاؤه من بعده يكرمون أبناء حليمة .**

القسم الثانى
حادث شق الصدر

وقد عاش سيدنا محمد حتى بلغ سن الخامسة فى مضارب بنى سعد ولا شك انه كان مصدر خير وبركة لكل من يحيط به ولاشك أن هذا الطفل أصبح عزيزا على حليمة وعلى أهلها ، والا لما حاولت ان تقنع أمه عندما جاء أوان استلامها لطفلها (حسب العادة المتبعة) اى بعد بلوغه سن الخامسة ، ولابد أن آمنة أم محمد قد اقتنعت بابقاء ابنها مع حليمة لما رأته من صحته ، ومن نجابته ، فليس ما يسعد الأم أكثر من أن ترى ازدهار طفلها ، ولأمر ماأعادت حليمة الطفل بعد أن بلغ السادسة وليس هناك مايمنع أن يكون الاتفاق قد تم على ذلك ، **ولكن يعض** كتب **السيرة تتحدث عن وقوع حادث لسيدنا محمد جعل حليمة تخشى أن يصاب بسوء فرأت أن تعيده الى أمه ، أما هذا الحادث فهو حادث « شق الصدر » أى شق صدر سيدنا محمد بواسطة جبريل وأخراج حظ الشيطان من صدره ، وقد تكرر الحديث عن شق صدر النبى فمن قائل انه حدث فى طفولته والبعض يقول فى صباه، والحديث عندنا بمناسبة الاسراء والمعراج ، ولكن السؤال أكان ذلك عملية جراحية مادية ، أم هو عملية روحية معنوية ؟ ان الآية القرآنية الشريفة تقول : « ألم نشرح لك صدرك » وهذا أقرب الى أن تكون العملية معنوية ، وتقول الرواية أن ابنى حليمة الأكبر سنا من محمد دخلا على أمهما وهما فى حالة فزع وقصا عليها كيف أن رجلين أخذا أخاهما محمدا فأضجعاه وشقا صدره وأسرعت آمنة الى محمد فوجدته ممتقع الوجه أصفره وقص عليها كيف أن رجلين شقا صدره وأخرجا منه شيئا قذفاه خارجا ، ثم أعاد الأمر كما كان وتركاه .**

هذه هى القصة ولك أن تقول بها أو لا تقول دون أن يقلل ذلك من ايمانك واعتقادك فرجل مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سيقدر له فى مقبل الأيام ، ان يغير مجرى التاريخ الانسانى، لايمكن أن يكون عاديا فى طفولته ، ولابد أن تعرض له أحداث تشير لما سوف يكون عليه فى المستقبل، ونحن ممن يميلون الى أن شرح الصدر هو أمر معنوى بحت والله أعلم .

الصبا والشباب :

سيرة الرسول كما وردت فى كتبها الأولى ومن خلال الآثار الصحيحة لا تقدم لنا شيئا يذكر عن صبا سيدنا محمد وشبابه الا من واقعة أو واقعتين وقد اعتاد المستشرقون الذين حاولوا ان يكتبوا عن سيدنا محمد بانصاف باعتباره عظيما من العظماء ، وقد تابعهم بعض كتاب المسلمين ، أن يرجعوا لفترة اقامته ابان طفولته فى البادية سر ما انتهى اليه ، فهذا الطفل « الذكى الفؤاد » تأمل الكواكب والسماء واستقر فى نفسه من هذه التأملات ما استقر ، وهو مجرد سفسطة لا تنتهى الى شىء ، فكل من فى الجزيرة العربية ، وبخاصة هؤلاء الذين تصدوا لحرب سيدنا محمد قد نشأوا تماما كنشأته فكانوا يرسلون فى طفولتهم الى البادية ، وما أكثر أذكياء الفؤاد والنوابغ فيهم ومع ذلك فليس الا سيدنا محمدا وحده هو الذى دعا الى ما دعى اليه ، فليس بنافع محاولة ارجاع رسالة سيدنا محمد الى كيفية نشأته وتربيته ، وليس سوى أن الله اختصه من دون البشر أجمعين ليكون رسول رب العالمين .

العزوف عن عبادة الأصنام :

والشىء المحقق أنه منذ طفولته المبكرة قد عزف عن عبادة الأصنام فلدينا حديث انه عندما طلب من سيدنا محمد **(وهو فى تجارة خديجة) أن يقسم** باللات والعزى فقال : ما أقسمت بهما قط وهذا يعنى انه لم يعتقد بخطرهما ، فضلا عن قدسيتهما وتأليههما قط ،وهذا لايمكن أن يكون الا بتوجيه الهى **حباه الله به فى فترات الطفولة والصبا والشباب .**

ولدينا حديث آخر جاء فى كتب السيرة ان سيدنا محمدا فى صباه المبكر اراد أن يلهو بمكة على عادة الصبيان والشباب فكان ان استوقفته حفلة زفاف وغلبه النعاس حتى طلع عليه الصباح اى أن الله عصمه من أى انحراف وهداه منذ صباه الى الطريق المستقيم ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم فى معرض تعداد النعم التى أنعم الله بها عليه :

«ألم يجدك يتيما فآوى.ووجدك ضالا فهدى». وقد رأينا كيف تيتم محمد منذ ولد ، فكفله جده، ثم كفله عمه ، وكان اثيرا عندهما ، ويكون مدلول الآية الثانية ان الله هداه من أن يضل كما ضل قومه فى عبادة الأصنام فبرىء منها سيدنا محمد وتطهر .

ولدينا شاهد على أن سيدنا محمدا لم يعبد الأصنام أبدا فى حياته ، انه بعد أن أصبح نبيا يدعو لهجر عبادتها ويعجب كيف يعبد عاقل حجرا لا يضر ولا ينفع ، لم يرتفع صوت واحد يقول له انه فعل ذلك ، ولقد ذكرت كتب السيرة كل أصناف اللجاج التى جوبه بها سيدنا محمد من خصومه ، فقالوا عنه كل شىء متصور ، الا أن يجابهه أحد بأنه كان مثلهم الى وقت قريب .

رحلة الشام :

وثمة حقيقة مؤكدة فى حياة سيدنا محمد وهى انه كان يسافر للتجارة فى قافلة قريش الى الشام، فقد أشار القرآن الكريم الى هذه الرحلات :

« لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف . » ورحلة الصيف هى رحلة قافلة قريش الى الشام .

وتحدثنا كتب السيرة عن مرتين بصفة خاصة سافر فيها سيدنا محمد مع القافلة : الأولى فى شبابه المبكر (١٢ سنة) والثانية فى ريعان الشباب (٢٥ سنة) وأما عن الأولى فتقول انه عندما تهيأ أبو طالب (عم النبى) الى السفر الى الشام تعلق به سيدنا محمد ، وطلب منه أن يذهب برفقته ، وبالرغم من أن العادة لم تجر باصطحاب الصبيان ، فلابد أن يكون تعلق أبى طالب بسيدنا محمد من ناحية ، وان يكون نضج سيدنا محمد المبكر وغير العادى من ناحية ثانية ، هى التى جعلت أباطالب يخرج على القاعدة ، ويصحب سيدنا محمدا معه .

ومرة أخرى تطالعنا كتب السيرة ان اشارات نبوة سيدنا محمد تجلت فى هذه الرحلة ، ونحن لاشك عندنا أن امارات النبوة ، كانت تصاحب سيدنا محمدا منذ ولد ، وكانت تبدو على صورة امتيازه العقلى والخلقى وانفراده بصفات كريمة وتبدو غير عادية .

بحيرى الراهب :

وهنا تبرز شخصية « بحيرى الراهب » ففى كل مرة يتحدث فيها عن سفر سيدنا محمد الى الشام يرد ذكر هذا الراهب ، فقد دعا قافلة قريش لتنزل فى ضيافته ، فعجبوا لهذه الدعوة فما أكثر ما مروا به ولم يفكر فى دعوتهم ، فاجابهم انه شهد لأول مرة غمامة تسير فوقهم، وهى لاتظل الا نبى ، كما يجدون عندهم فى الكتب.

وفى الرواية التى تتحدث عن ان ذلك حدث فى صبا رسول الله (١٢ سنة) تمضى فتقول ان بحيرى سأل « أبا طالب » من أبوه فلما أجابه « أنا » قال : ما ينبغى أن يكون له أب أعلمه بالحقيقة وانه غلام يتيم وانه باعتباره عمه فهو يكفله ، فطلب منه بحيرى أن يعود بابن أخيه لئلا يفتك به اليهود لانهم لا يطيقون ظهور نبى من غير صفوفهم .

والمهم انه مهما تعددت الروايات عن رحلة سيدنا محمد الى الشام فلابد أن يرد فيها ذكر بحيرى الراهب القابع فى صومعته وأنه توقع صيرورة سيدنا محمدا نبيا مرسلا .

ويصول المستشرقون ومن لف لفهم ويجولون فى أن سيدنا محمدا تلقى النصرانية وقواعدها على يد بحيرى الراهب ، وهو نوع من الهذيان فالقافلة أيا كان شأنها لايمكن أن تمكث فى أى مكان للراحة أكثر من بضع ساعات فضلا عن يوم كامل ، وهى مدة لا تكفى الا لكى يكتشف بحيرى شخصية محمد الموهوبة وأن سيكون له شأن أى شأن ، ولكى يكتشف سيدنا محمد فى مثل « بحيرى » ورعا وتقوى وتدين ، ومن هنا أوصى أبو بكر جيوشه الذاهبة الى الشام ان لا تتعرض لأمثال بحيرى فى صوامعهم .

المرة الثانية :

تروى حادثة سفر سيدنا محمد الى الشام مرة أخرى تجارة السيدة خديجة ، حيث سافر سيدنا محمد كوكيل لأعمالها مع عبدها «ميسرة» وتبدأ الرواية بما يفهم منه أن شهرة سيدنا محمد (٢٥ سنة) كانت قد استطارت من حيث مكارم الأخلاق وبخاصة الأمانة المطلقة ، ففى الوقت الذى كان أبو طالب يتباحث مع سيدنا محمد فى أن يعرض نفسه على السيدة خديجة ليسافر فى تجارتها الى الشام ، اذا هى نفسها تكون قد فكرت فى الأمر واستقر عزمها على اختيار سيدنا محمد فأرسلت الى عمه « أبى طالب » انها على استعداد أن تدفع اجرا مضاعفا لابن أخيه ان هو سافر وكيلا عنها فى تجارتها .

السفرة الميمونة :

وسافر سيدنا محمد فى تجارة السيدة خديجة الى الشام بصحبة عبدها ميسرة ، ولكون واقعة مقابلة سيدنا محمد لبحيرى الراهب هى واقعة أساسية ، فنراها تذكر من جديد فى هذه الرحلة، والأمر الذى لاشك فيه ، أن هذه السفرة كانت سفرة ميمونة وادرك ميسرة أن لسيدنا محمد شأنا يختلف عن شان باقى البشر ، فقد رأى الغمامة التى تظلل سيدنا محمدا فى الحل والترحال وشاهد من استقامة سيدنا محمد مالا عهد به فى الرجال ، وفى هذه الرحلة سمعه يرفض القسم باللات والعزى قائلا : انه لم يحلف بهما قط .

وكيفما كان الأمر فقد شهد من بركات سيدنا محمد الشىء الكثير فقد ربحت تجارة خديجة كما لم تربح من قبل ، وقد حدث ميسرة خديجة بعد عودته بكل ذلك ، وبكل ما شهد أو سمع من

ارهاصات النبوة ، ونحن لايمكن الا أن نصدق كل ذلك باعتباره حق اليقين ذلك أن السيدة خديجة (وهى من هى فى حسبها ونسبها وغناها ومكانتها من قريش) تزوجت على أثر هذه الرحلة بسيدنا محمد اليتيم الفقير ، الأصغر منها خمسة عشر عاما (هى ٤٠ وهو ٢٥) تقول أنها ماكانت لتفعل ذلك ،لولا تجارتها التى ربحت فوق العادة وما حدثها به عبدها ميسرة ، مما رأى وشهد وسمع فى هذه الرحلة ، من أن سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام ، سيكون له شأن أى شأن .

زواج السيدة خديجة بسيدنا محمد ثلاثةأحداث فريدة وفذة أراد الله بها سبحانه وتعالى أن يكشف **بها حتى الآنان سيدنا محمدا سيكون هو نبيه المختار فى مقبل الأيام .**

الأولى : تسميته ((محمدا))

والثانية : يتمه المبكر من الأب والأم والجد .

والثالثة : زواجه من السيدة خديجة .

فكل ما يحيط بهذا الزواج يجعله أمرا فريدا جدا (وخاصة فى زمنه) فالسيدة خديجة كانت من أغنى أغنياء قريش ، وأعلاهن حسبا ونسبا ، وقد سعى لزواجها أشراف قريش وكبرائهاولكنها رفضت ، وهاهى تسعى بواسطة احدى قريباتها ليتزوجها سيدنا محمد الذى تعلم انه يتيم فقير ويصغرها بخمس عشر سنة ، أى أن هواه قد يكون مع غيرها حتى بعد الزواج ، ولكن لابد أن يكون الله قد ألهمها ما سوف يكون عليه عظم شأن سيدنا محمد فى المستقبل فبعثت الى سيدنا محمد من يشجعه على التقدم لزواجها ، ولميتردد سيدنا من ناحيته على التقدم بطلب الزواج عندما علم أن طلبه مقبول مقدما وتم عقد الزواج على يد أبى طالب كولى عن سيدنا محمد ، واحد أقارب السيدة خديجة فقد كان أبوها قد ماتوعندما أراد ولى أمر خديجة فى الزواج .

ان يفتخر بنسب خديجة ورفعة شأنها رد عليه أبو طالب بما يظهر عراقة سيدنا محمد وأصالته، فهو فى الذروة من قريش ، والشىء الذى لم يقله (أبو طالب آنذاك ، ولكنه كان يحسه بوجدانه وتحس به السماوات والأرض ، أن هذا الشاب القرشى الفقير سيكون سيد الدنيا بعد سنوات .

وأصبح محمد بن عبد الله زوجا للسيدةخديجة وبذلك كفى مشاق الكدح فى الحياة لتحصيل لقمة العيش ، وفى هذا يعدد القرآن نعم الله على سيدنا محمد :

((ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى)) .

وهكذا حمى الله سيدنا محمدا من آثار اليتم المركب ثم حماه من الامعان فى ضلالات قريش فى عبادة الأصنام ، فهداه الله بأن صرفه عنها ، وأخيرا وقاه شر الحاجة والعوز فأغناه بتزويجه خديجة .

وقفة أمام زواج سيدنا محمد بالسيدة خديجة :

ويجب أن نقف طويلا جدا أمام زواج سيدنا محمد بالسيدة خديجة ليس فقطلأنهكان ارهاصا لما سوف يكون عليه من علو شأن فى مقبل الأيام ، بللأن فيه أبلغ رد على تخرصات أعداء الاسلام من المستشرقين ، الذين كتبوا سيرة الرسول ،فحاولوا أن يصوروا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام بصورة الشهوانى لزواجه ((تسعة)) فى آن واحد ، فها نحن نراه وهو فى ذروة الشباب وعنفوانه (٢٥ سنة) يتزوجامرأة سبق لها الزواج من قبل وتكبره بخمسة عشرعاما (أى يمكن أن تكون أما له بحساب هذا الزمان) ثم ظل أمينا على عهدها ، لا نقولبتزوج عليها ، بل لا ينظر الى امرأة غيرها طوالالخمس والعشرين سنة القادمة ، أى حتى وصل سنه الى الخمسين ، وبلغت هى الخامسة والستين فاذا كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد تزوج العديد منالنساء بعد أن بلغ سن الكهولة فهذا هو الدليل الذى لا يعوزه دليل آخر على أن المسألة لم تكن مسألة جنس فضلا عن شهوة، وانما كان للاعتبارات التى رآها سيدنا محمد عند كل زيجة من هذه الزيجات كما سنذكر ذلك فى حينه .

أولاد سيدنا محمد :

وليس من حقنا كما يفعل المستشرقون ان نعمل الخيال فى حياة سيدنا محمد صلى الله عليهوسلم بعد زواجه من خديجة حتى لا نقع فى الزلل ، **وانما نقف عند حد ماجاء فى الأثر وروى عن سيدنا محمد ومن ذلك ما رزقه سيدنا محمد من الأولاد من خديجة بنين كانوا أم بنات .**

فقد رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مارزق بولد سماه القاسم وكان يكنى به فينادونه ((ياأبا القاسم)) ولكن هذا الولد مات مبكرا وعمره لا يتجاوز العامين ، ثم رزق بغلام سماه ((عبد الله)) ومات بدوره فى مكة بعدالبعثة النبوية ، مما جعل بعض المشركين يصفونه بـ ((الابتر)) أى الذى لا ابن له فنزلت سورة

الكوثر وفيهـا « ان شانئك هو الأبتر » أى أن حاسدك ومبغضك هو الذى لا عقب له ولا أثر يذكر ، أما أنت فقد « أعطيناك الكوثر » أى الكثير جدا من الجاه والكرامة والشهرة « ورفعنا لك ذكرك » .

أما الاناث فقد رزق رسول الله بأربع منهن ، عشن حتى كبرن وتزوجن وهن زينب ، ورقيه ، وأم كلثوم وفاطمة وقد تزوجت فاطمة من سيدنا على بن أبى طالب ورزقت منه بالحسن والحسين قرتا عين رسول الله ، وعاشت فاطمة بعد موت ابيهـا ونحن نعلم اليوم انتساب الفاطميين الذين حكموا مصر اليها .

وقد رزق سيدنا محمد فيما بعد (السنةالثامنة بعد الهجرة) بولد دعاه ابراهيم أنجبته له مارية القبطية ، مما سنذكره بالتفصيل فى حينه ، امـا الآن فنكتفى بالقـول بان ابراهيم مات بدوره فى طفولته المبكرة .

قد رضينا بالأمين حكما :

ثمة مسألة أخرى قد وردت فى الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواجه من السيدة خديجة بعشر سنوات أى بعد أن بلغ عمره (٣٥) سنة ، وعندنا أن هذه القصة التى تروى حادثة وقعت لمحمد فى مواجهة قريش كلها وعلى رؤوس الاشهاد بحيث سجلها التاريخ كاملة بكلتفاصيلها، وعندنا انها تغنى بنفسها فى الكشف عن أنسيدنا محمدا سيكون سيد قريش بلا منازع ثم سيد الدنيا بعد ذلك ، **وتتلخص هذه القصة ، فى ان قريشا كانت تعيد بناء الكعبة ، فتولت كل قبيلة كبيرة شرف بناء جدار من جدر الكعبة المشرفة حتى اذا ارتفع بناء الجدر الأربعة ، الى حيث يوضع الحجر الأسود (ويطلق عليه اسم الحجر الأسعد) تنازعت قبائل قريش ، شرف رفعالحجر وتثبيته فى مكانه ، واستمر النزاع وكاد ينقلب الى قتال ، لولا ان توصلوا الى اتفاق لحقن الدماء ، وهو ان يعهدوا بهذه العملية لأول قادم يدخل عليهم ، فكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (ولم يكن بعث بعد) هو اول داخلعليهم، فلما رأوه تصايح الجميع :**

هذا هو « الأمين » رضينا بما اتفقنا عليه أى ان يكون هو الرجل الذى يضع الحجر الأسـود فى مكانه ، فلما عرضوا الأمر على سيدنا محمد خلع رداءه ثم وضع الحجر وسط الرداء وطلب من القبائل الكبرى الأربعة التى كانت تقوم ببناء الكعبة ان تمسك كل منها بطـرف من اطـراف الرداء الأربعة ، وطلب منهم ان يرتفعوا بالرداء والحجر عليه ، الى مستوى المكان الذى سيوضع به الحجر ، فلما وصلوا الى هذا المستوى ، أخذ هو بنفسه الحجر الشريف ووضعه مكانه .

هذه القصة المعترف بها الجميع ، تغنى عنكل ما يقال عن ارهاصات النبوة .

فها هى قريش تجمع على وصفه بالأمين دلالة عما عرف عنه وأشيع منأمانة مطلقة بحيثتحول الأمين من صفة الى اسم هتفوا بمجرد رؤيته ، ولم يتردد أى واحد من المتخاصمين فيما اتفقوا عليه من اختيار أول داخل للاستئثار بهذا الشرف ونرى سيدنا محمد من ناحيته ، يأتى بهذا الحل الذى طيب به خاطر الجميع (برفعهم الحجر) حيث اختص هو دون سائر قريش ، بشرف وضع الحجر فى مكانه .

الماديون والصـدفة :

هنا ويتصايح الماديون ، ان دخولسيدنا محمد كان بالصدفة ، ولو دخل أى انسان آخر لكان هو الذى وضع الحجر فى مكانه ونرد عليهم بأن هذا لم يحدث ، وانما الذى حدث ان جاء من دون العالمين بالفعل الرجل الذى سيكون مقدرا له لن يكون سيد قريش بل سيد العالمين .

فالارتباط واقع ومحقق بين ما وقع وما سوف يقع ، فاذا أبى الماديون الا أن يصروا على هذيانهم تمسكنا نحن معاشر المؤمنين يقول العزيز الحكيم كل شىء عنده بمقدار أى بحساب وتخطيط وهدف فنبوة سيدنا محمـد أصبحت بهذا الحادث تلوح على الأفق .

عندما فجاءه الوحى لأول مرة :

احتاج الأمر الى خمس سنوات أخرى قبل ان يبعث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبيا ، فقد وقع الحادث السابق وسنه ٣٥ سـنة ، وليس من مهمتنا بل لا نسمح لأنفسنا ، ان ننخرط فيما انخرط فيه المستشرقون والعقليون ، من انه امضى هذا العمر فى التأمل والدراسة فما اكثر الذين افنوا حياتهم فى التأمل والدراسة ، ثم لم يكونوا شيئا ، ولم يوصلهم التأملوالدراسة الى شىء ، فضلا عن ان يجيئوا بدين ينسخ دين اليهودية والنصرانية وان يزلزل الدنيا كلها ويعيد بناءها على أساس من « التوحيد » والقضاء على الوثنية ، فحكاية التأمل والدراسة التى ساقها اعداء الاسلام لتفسير مالا يفسر ، الا بالاستسلام

له وقبوله كما هو والايمان بما رواه عن نفسه هذا « الأمين » فيقول انه حبب اليه الخلاء فكان يقصد « غار حراء » خارج مكة ، ويمضى الوقت الطويل منفردا بنفسه فى هذا الغار ، ولابد ان زوجته الصالحة التى الهمت الهاما ان تتزوجه فلابد أنها الهمت كذلك ، ان تعينه فى هذه المرحلة من اعتزال الناس والحياة ، فكانت تعد ما يكفيه من الطعام والشراب لمدة شهر كامل ، ولابد أن السيدة خديجة رضى الله عنها احست ان زوجها ليس كبقية الأزواج انه رجل ولكن ليس كبقية الرجال وأن سيكون له شأن تكشف عنه الأيام، **فقد بدت بعض امارات على سيدنا محمد فى هذه الفترة « على ما حدثتنا السيدة عائشة عنه فيما بعد » انه كان لا يرى رؤيا فى منامه الا وجاءت مثل « فلق الصبح » اى تحققت بكل حذافيرها فكانت رؤياه صادقة ، ومرة اخرى لا نعمل خيالنا لملأ الفراغ ، ونصل الى الواقعة الكبرى ، واقعة نزول الوحى على سيدنا محمد .**

اقــرأ :

يحدثنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما روى البخارى ، انه فوجىء ذات يوم اذ هو « يتحنث » اى يتعبد كما كانت عــادته بملاك (عرف فيما بعد انه جبريل) وقدم له هذا الملاك نمطا من ديباج (اى صحيفة من قماش الحرير) وقال له : « أقرأ » فرد سيدنا محمد « ما اقرأ » اى لا اعــرف القراءة « فغته » الملاك ، اى احتضنه بعنف وقال ثانية « اقرأ » ورد الرسول « ما اقرأ » فغته الملاك ثانية باقوى من المرة الأولى ثم ارسله ، وعندما تكرر ذلك لثالث مرة قال جبريل :

اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ..

وكان هذا أول قرآن نزل ، وستجد بعض روايات تقول ان أول ما نزل من القرآن غير ذلك ، ولكن ما سجلناه لك هو المشهور والمقبــول من جمهرة علماء المسلمين .

ونعود الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقد فوجىء بهذا الذى حدث له مفاجأة شديدة فعــاد الى زوجته خديجة وهو مضــطرب كل الاضطراب لم يتبين بعد حقيقه ما حدث **وطلب من زوجته ان تغطيه فقد كان يرتجف ، وقد حفظ لنــا القرآن هذه الكلمة « دثرونى دثرونى » أو « زملونى زملونى » وكلتا الكلمتين بمعنى واحد وقد خاطبه الله باللفظين فقال له : « يا أيها المدثر » كما خاطبه بقوله : « يا أيها المزمل » ويعنينا من ذلك انه كان مضطربا أشد الاضطراب عندما فاجأه الوحى لأول مرة وانه أفضى بمخاوفه لزوجته خديجة فحدثها انه يرى ضوءا ويسمع صوتا ويخشى ان يكون قد اصابه « مس » اى جنون ، وقد أشار القرآن الكريم لهذا الوصف بقوله : « وما انت بنعمة ربك بمجنون » .**

وتضيف بعض الروايات ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما معناه انه يبغض فى حياته شيئا بغضه « للكهانة » وانه يخشى ان يصبح كاهنا .

وهنا يقف التاريخ حاسر الراس تحية وتعظيما لهذه السيدة الجليلة ، فهى قد أحست بالهامها وحسها الصادق ، ان سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام لا يمكن ان يصيبه الله بسوء أبدا ، ولقد قدمنا انها تزوجت سيدنا محمدا بالهام من الله ، وانها كانت تساعده على التحنث شهرا فى كل عام بتوجيه وارشاد من الله تؤمن بكرامة سيدنا محمد على الله ، قبل ان يتبين هو نفسه ، حقيقة اختيار الله له ليكون رسوله الى العالمين، فحيث كان يرتجف خوفا مما قد يكون اصابه ، **اذا بهذه الزوجة الكريمة تهدىء خاطره وتطمئن فؤاده بقولها : ان الله لا يخزيك أبدا ، انك تصل الرحم وتقرى الضــيف ، وتعــين على نوائب الزمان ، ان الله لا يخزيك ابدا وبعد أن تهدىء السيدة خديجة من روع سيدنا محمد وتدثره فى فراشه ، تذهب الى قريب لهــا عالم بعلوم النصرانية ، فتقص عليه ما حدثهــا به سيدنا محمد ، فيقول لهــا : والله انه الناموس (أى الوحى) الذى كان ينزل على موسى وانى ارجو ان يكون زوجك هو النبى المرتقب » .**

وعادت الزوجة الصالحة تبشر زوجها بما كانت هى نفسها تحسه ، من أنه نبى العرب ولقد رآه بالأفق المبين والقرآن الكريم يحمل ما ترويه السيرة النبوية الكريمة ، من ان سيدنا محمــدا عليه الصلاة والسلام رأى صورة جبريل عليه السلام على هيئة رجل يزحم الأفق .

وفى رواية انه جالس على كرسى ، وحيثما اتجه سيدنا محمد ببصره ، وجده سادا أمامه الأفق ، وهو يقول : « يا محمد انت رسول الله وانا جبريل » وظل يكرر هذا التعبير حتى وقر فى نفس سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وآمن بنفسه « آمن الرسول بما أنزل اليه » .

وهكذا بعث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليكون رسول الله للعالمين .

« للقصــة بقية »

العدل والمصلحة في التشريع الجنائى الإسلامى

المستشار الدكتور جمال الدين محمد محمود
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تمثل سياسة التجريم والعقاب فى مجتمع من المجتمعات ركيزة هامة فى استقراره وأمنه ، وعلى قدر نجاح هذه السياسة يكون تقدم المجتمع فى مجالات الحياة المختلفة لأن الانسان – وهو كائن اجتماعى – لا ينصرف جهده وعمله وابداعه فى خدمة المجموع الا اذا كان آمنا مطمئنا على نفسه وماله ومقومات حياته الأساسية ولذلك فقد كانت سياسة التجريم والعقاب فى الأزمنة والأمكنة المختلفة محلا للنظر والاجتهاد بقصد تحقيق أمن المجتمع وكان النظر فيها يتبع فلسفات متعددة منها ما يتجه اتجاها مثاليا فيبحث فى ارضاء شعور العدالة المتأصل فى النفس ومنها ما يتجه اتجاها واقعيا فيهتم بتحقيق المصلحة من التجريم والعقاب ومع ذلك لا نستطيع أن نفصل الاتجاهين عن بعضهما لأنه لابد لكل منهما من الأخذ بقدر معين من الاتجاه الآخر والتشريع الجنائى الأمثل هو الذى يستطيع أن يقيم توازنا دائما بين العدل والمصلحة عند تقرير التجريم أو توقيع العقاب .

العدل والمصلحة فى العقوبات الاسلامية: لا شك ان فكرة العدل المتأصلة فى النفوس تبدو ظاهرة فى نصوص القرآن والسنة التى تورد العقوبات الاسلامية فى جرائم الحدود وليس هناك أساس لفكرة العدل فى التجريم والعقاب أكثر من قوله تعالى « ان الله يامر بالعدل » .

وفى مجال العقوبة نجد قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » كما تجد قوله تعالى « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » وهذه القواعد العامة فى سياسة التجريم والعقاب تبدو مفصلة فى جرائم الاعتداء على النفس بالذات – فالقاعدة أن « النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالاذن والسن بالسن » ويبدو نظام القصاص صورة كاملة للتسوية بين الجريمة وعقوبتها وتبدو كل شروط الفقه الاسلامى التى اشترطها الفقهاء عند النظر فى القصاص تطبيقا لقاعدة عامة هى التسوية والمماثلة[1] .

---

(١) ويلاحظ أن التسوية بين الجريمة والعقوبة هو أمر لا يتعلق بفكرة العدل وحدها بل يتصل كذلك بمسألة التصدى للظاهرة الاجرامية بأيسر الطرق وأقلها كلفة على أفراد المجتمع وقد تمنى الفيلسوف الانجليزى « بنتام » أن تكون التسوية بين الجريمة وبين العقوبة هدفا للمشرعين فى السياسة الجنائية، واذا كانت سياسة التجريم والعقاب القائمة تركز على العقوبات المقيدة للحرية (السجن والحبس بأنواعها) وعلى العقوبات المالية (الغرامة بأنواعها) فقد ظهر اتجاه حديث يوجه أشد النقد للعقوبات السالبة والمقيدة للحرية تأسيسا على أنها تتجاوز المذنب الى غيره فى تأثيرها وخطرها ، فضلا عن أنها غير رادعة بالقدر الكافى مما يظهر فى الاحصائيات التى تنشرها معاهد البحوث المختصة عن ظاهرة « العود » لدى المجرمين الذين سبق الحكم عليهم بالعقوبات المقيدة للحرية .

وليس من شك فى ظهور جانب العدل فى التجريم والعقوبة ومراعاة هذا الجانب الى أقصى حد فى التشريع الجنائى الاسلامى — ولكن الذى قد يثور حوله الجدل عند من لا يتعمقون فى دراسة الأمور — هو تحقق المصلحة من العقوبات الاسلامية أم أنها تعقب آثارا ليست فى صالح المجموع .

المصلحة الحقيقية مكفولة : أول ما يثيره المعترضون هو عقوبة معينة بذاتها ينصب عليها النقد — وهى عقوبة « القطع » أى قطع اليد أو قطع اليد والرجل من خلاف كجزاء لجريمتى السرقة والحرابة ولا شك فى جسامة العقوبة وكذلك فى مساسها باعظم ما يحرص عليه الانسان وهو جسده الحى وفى هذا لا نختلف مع أحد من الناس من المسلمين أو من غير المسلمين .

غير أن النظرة الفاحصة والتى تعتمد على ادراك الواقع وتقدير المصالح تقديرا حقيقيا سوف تقودنا بلا شك الى صدق نظرة التشريع الاسلامى .

وعلى سبيل المثال فاننا لو قارنا بين عدد الأنفس التى تزهق والأيدى والاطراف التى تبتر أو تتلف بسبب وقوع عدوان عليها من المجرمين وبين عدد الأيدى التى يمكن أن يقام عليها حد السرقة (مع توفر شروطه كلها) لبان لنا فى أى أى احصاء نجريه فى أى مكان فى هذا العصر بالذات — أن العدوان على النفس والمال فى مجتمعات كبرى نصفها بالتقدم — يمثل نسبة فاحشة من الجرائم — وتستخدم فيها كل الأسلحة وتنتهك فيها حرمة الجسد الانسانى بقصد السرقة أو الارهاب وبث الرعب فى النفوس — فالذين يخشون من قطع بعض الأيدى والذين يبحثون فى جسامة هذه العقوبة عليهم أن يقرأوا جيدا ما تطالعنا به الصحف كل يوم — وفى المجتمعات المتقدمة ماديا — من أنواع الجرائم التى تقع كل يوم وكل ساعة بل وكل دقيقة — وعلينا بعد ذلك أن ننظر بانصاف الى عدد هذه الجرائم وآثارها وأثرها فى نفوس الناس ثم نبحث هل أغنت العقوبات التى توقع على مرتكبيها فى تقليل عددها أو محو آثارها ؟ !

الاختيار السليم : وعندما نقاوم الظاهرة الاجرامية فى أى مجتمع يجب علينا أن نقارن بين مصلحة المجموع — مئات الآلاف أو الملايين وبين مصلحة أفراد فى المجتمع شاءوا أن يخرجوا على منهجه — هل من الأفضل أن نبث الرعب فى قلب العشرات أو المئات حين نفرض عقوبة جسيمة تمس جسد الانسان ويكاد ذكرها أمامه يرهبه — أم من الأفضل أن نترك الملايين فى المجتمع نهبا للرعب والخوف الدائم من الجريمة لقد اختار الاسلام أن يشترى أمن الملايين مقابل أن يفرض العقوبة التى ترهب العشرات — وهم بعد ذلك قد توفر لهم العلم بها ومعرفة خطورتها وأثرها على أجسادهم وانفسهم — واختارت تشريعات عديدة فى سياساتها الجنائية أن تتظاهر بالحرص على حرمة الجسد الانسانى — ففرضت عقوبات السجن والحبس وربما الغرامة المالية — جزاء على جرائم الاعتداء على النفس وعلى جرائم السرقة ولو استخدم فيها سلاح بل ولو قطعت فيها يد المجنى عليه أو قطعت أذنه « لسرقة قرط ذهبى » كما حدث فعلا .

الفيصل هو الواقع بأدلته : واذا كان الغرض من سياسة التجريم والعقاب فى النهاية هو التصدى للظاهرة الاجرامية وتقليل حجمها وأثرها فان الثابت أن السياسة الوضعية بعقوباتها والتى تتركز فى الحبس أو الغرامة المالية لم تفلح فى ذلك — وعلى سبيل المثال فانه قد نشر فى صحيفتين يوميتين فى القاهرة بتاريخ ١٩٧٥/٩/١٥ عن مسئول كبير فى الأمن العام بمصر أن جرائم السرقة فى سنة ١٩٧٥ زادت عن معدلها فى سنة ٧٤ بمقدار ٢٠٪ ، كما أن مجتمعا مثل المجتمع الأمريكى — وهو الذى يمكن أن نطلق عليه اسم مجتمع الوفرة من الناحية الاقتصادية تدل الاحصائيات على أنه تقع فيه ٣ جرائم سطو على المنازل كل دقيقة وجريمتا سطو على السيارات كل دقيقة أيضا وجريمة سرقة متنوعة كل دقيقتين ومعنى ذلك أنه تقع ٣٣٠ جريمة سرقة بأنواعها المختلفة فى هذا المجتمع كل ساعة ويبقى أن نحسب ما يقع من هذا النوع من الجرائم طوال عام كامل وفى مجتمع تتوفر فيه الكفاية للجميع بل والرفاهية لمعظم الناس .

والواقع أن سياسة التجريم والعقاب فى الاسلام لم تأخذ حظها من الدراسة حتى الآن على أساس علمى — بدراسة الاحصائيات التى تكشف عن تطور الظاهرة الاجرامية فى معظم دول العالم وزيادة حجمها ونوعيتها — مع وجود العقوبات الوضعية — وكذلك الأسباب التى جعلت هذه الظاهرة تنمو وتشتد حتى تعتبر مشكلة قومية كبرى فى بلد بلغ أقصى درجات التقدم المادى (كالولايات المتحدة) وفى بلاد كثيرة يتوفر فيها للفرد ما يكفيه للعيش آمنا مطمئنا ولو أن علماء المسلمين خصصوا جانبا من جوانب دراسة نظام الحدود والقصاص فى الشرع الاسلامى لدراسة تأثيره على الظاهرة الاجرامية ودراسة ما يظهر من فشل النظم الوضعية فى معالجة الظاهرة الاجرامية والحد منها فى المجتمعات المختلفة — لو أن علماء القانون المسلمين أسهموا بجانب كبير فى كشف قصور النظم الوضعية الذى تثبته الاحصاءات فى بلاد العالم المختلفة — لظهر وجه النظام الاسلامى المشرق والذى يبعث على الأمل فى تحقيق العدل والمصلحة معا وصدق الله العظيم ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) .

جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده المصرى وكفاحهم من أجل الإسلام

الأستاذ محمد هارون المجددى

ان الحركة الاسلامية حقيقة واقعة بارزة بوضوح على الرغم من ضراوة مواقف الأعداء وان أشجار تلك الحركة المباركة تتبرعم على جذع هى فوق تربة خصبة أصلها ثابت بقدر الله وفرعها فى السماء ،يطرح ثمارا للمجاهدين مهما تعرضت سيقان الشجرة وتتعرض لعمليات تخريب واتلاف .

كما أنه لا جدال فى حيوية ديننا الحنيف وقدرته على تحريك موات الأمم وجمع شتاتها ورص صفوفها ، ذلك أن منهج الاسلام فى الربط بين المعتقد الايمانى والسلوك الشخصى أعطى لأبناء الاسلام عبر القرون القدرة على الاستمرار فى اطار مفهوم ما لهم وما عليهم قائم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قياما بناء يحرسه اخلاص النية وسلامة القلب متجاوزا الاعتبارات العنصرية والعرقية ممكنا مبدأ الاخوة فى الدين والمساواة بين الاعراق وعدم المفاضلة بين الأجناس يضبطه مبدأ (لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى) .

وانه من تلك الينابيع الصافية وعلى امتداد الحركة الاسلامية الوضاءة قامت الحركة الاسلامية الحديثة ويكاد المؤرخون لهذه الحركة يجمعون على أن السيد جمال الدين الأفغانى كان فى جوهر رسالته انما يتوخى اصلاح النفوس والعقول وأن يصلح الشعب نفسه على الاسلام الحنيف، وكان يعينه على أداء رسالته براعة فى الحجة وسلطان على ناصية القول لا نظير له ،وأخلاق من الاسلام روحها الصفو ، واعتماد على الله ، واخلاص لوجهه الكريم . لم يستعبده مال ولم يأسر روحه جاه ولا منصب وانما هو الجهاد يشمل العالم الاسلامى بكل صور الجهاد .

فى قلبه آلام الشعب الاسلامى كله وآمال الشعب الاسلامى كله . يحيا فى نفسه فى وطن بلا حدود مصطنعة ، وانما حيث يؤذن لله جل شانه وللرسول عليه الصلاة والسلام . وكان السيد جمال الدين يلقى الحكمة لمن يريدها ومن لا يريد ، فيجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهل ذلك . كان يخاطب بعزة المسلم الأبى

المجاهد الذى وهب نفسه لبعث الاسلام وايقاظ المسلمين على نوره وجمعهم على كلمته . وكان تنوير العقول والقلوب خفق قلبه وكل همه يوجه ذلك للعامة مهما نزلوا وللملوك والسلاطين مهما ارتفعوا ، ولذلك ذاق الهوان على يد زبانية الطغاة وسيق مسلسلا فى فصل الشتاء حيث تتراكم الثلوج . فلم تفتر له عزيمة ولم تخرس له كلمة ولم يقصف له قلم . يقف بمثل الاسلام وقيمه شامخا عند كل من يتصدى للدعوة الى الله سبحانه لا يبخل بنفس أو مال أو جهد .

وكان أكثر السنوات فى عمر السيد جمال الدين الأفغانى ثمارا ونتيجة وخصبا هى التى قضاها فى مصر معلما ومساهما فى تكوين روحها الجديد . لكن الفترة التى قضاها فى فرنسا على قصرها منشئا (للعروة الوثقى) مستعينا بأخيه الشيخ محمد عبده المصرى هى من أهم مراحل حياته انتشارا وأثرا على المجتمع الاسلامى كله ، وكم صدر فى العالم الاسلامى من مئات المجلات طال عمرها عن (العروة الوثقى) أضعافا مضاعفة وكثر عددها ولا يذكرها الناس ولكن (العروة الوثقى) التى صدر من أعدادها ثمانية عشر عددا فى ثمانية أشهر كانت شيئا آخر ، كانت روح رجلين مؤمنين مجاهدين ، كانت أشرابا للنفوس وأملا للقلوب . ذلك أنها كانت دعوة الى التمسك بأصول السلف الصالح ودعما للألفة بين أفراد المجتمع الاسلامى وأممه وحكامه ، واقامة للمجتمع الاسلامى على أساس من العقيدة الخالصة ، وبثا لروح الاسلام الرحبة فى شتى مناحيه ، وتنويرا للعقول والقلوب على مثل الاسلام ، وأصول الاسلام ، وقيم الاسلام ، وموازين الاسلام ، وحكم الاسلام عدلا سابغا ورحمة شاملة ، وتكافلا وتضامنا ، وثورة حقة ، ورعاية لكرامة الانسان وعزته .

لنقرأ معا الأخ المسلم ما ذكره الامامان العظيمان فى عدد (العروة الوثقى) الصادر فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٠١ الموافق ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ عن (الجبن) .

الجبن هو الذى أوهى دعائم الممالك فهدم بناءها ، هو الذى قطع روابط الأمم فحل نظامها ، هو الذى وهن عزائم الملوك فانقلبت عروشهم ، وأضعف قلوب العالين فسقطت صروحهم ، يسهل على النفوس احتمال الذلة ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل ، يوطن النفس على تلقى الاهانة بالصبر والتذليل بالجلد .

الجبن يلبس النفس عارا دون القرب منه موت أحمر عند كل روح ذكية وهمة علية يرى الجبان وعر المذلات سهلا ، وشظف العيش فى المسكنات رفها ويمنا .

الجبن فخ تنصبه صروف الدهر وقوائل الأيام لتغتال به نفوس الانسان وتلتهم به الأمم والشعوب هو جعالة الشيطان يصيد بها عباد الله ويصدهم عن سبيله هو علة كل رذيلة ومنشأ لكل خصلة ذميمة . لا شقاء الا وهو مبدأه ولا فساد الا وهو جرثومته ، ولا كفر الا وهو باعثه وموجهه ، ممزق الجماعات ، ومقطع روابط الصلات .

الجبن عار وشنار على كل ذى فطرة انسانية خصوصا الذين يؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر ويؤمنون أن ينالوا جزاء لأعمالهم أجرا حسنا ومقاما كريما .

ومن يتوهم أنه يجمع بين الجبن وبين الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد غش نفسه ، وغرر بعقله ، ولعب به هوسه وهو ليس من الايمان فى شىء ينبغى أن يكون ابناء الملة الاسلامية بمقتضى أصول دينهم أبعد الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن) فانها أشد الموانع عن أداء ما يرضى الله .

لا يظن ظان أنه يمكن الجمع بين الدين الاسلامى وبين الجبن فى قلب واحد كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور الاقدام وان عماده الاخلاص لله والتخلص من جميع ما سواه لاستحصال رضاه .

ولنقرأ معا أيها الأخ المسلم ما ذكره الامامان فى العدد نفسه عن الخيانة والخائنين : ((لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ، ويسلمها للعدو بثمن بخس أو بغير بخس (وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس) بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن بل من يدع قدما للعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها .ذلك هو الخائن فى أى لباس ظهر ، وعلى اى وجه انقلب)) .

القادر على فكر يبديه أو تدبير يأتيه لتعطيل حركات الأعداء ثم يقصر فهو الخائن ومن لم يستطع عملا وأمكنه ان يرشد العامل وتهاون فى النصيحة فقد خان . من سوف عمل اليوم الى غد وتوانى فى تضليل كيد الأعداء بقول أو فعل فقد ارتكب خطيئة الخيانة . وكل خائن لوطنه او ملته فهو ملعون على السنة الانبياء والمرسلين وممقوت فى نظر العالم أجمعين . ما اعظم جريمة الخيانة ((المساهمة فى شئون الأوطان)) .

يأتى الزمان بطوله على كل شىء فيمحو أثره ويطمس رسمه الا وصمة الخيانة فلا تطويها الأدهار ولا يخفيها تطاول الأعصار .

محيت أسماء العظماء والملوك والسلاطين ولكن لم تمح اسماء الخائنين لا يحيط القلم بوصف الخائن وما يتبعه من الشنائع ولكن النفوس مهما تدانت فى الادراك تشعر بعظم جرمه .

ذاك مثل مما كان الامامان الجليلان يتناولان به أمراضنا الاجتماعية التى لا تزال تنخر فى عظامنا وتفسد علينا حياتنا وتقتل فى نفوسنا الاباء والعزة والكرامة وتحول بيننا وبين الحياة فى ظل تعاليم الاسلام ومبادئه السامية ومثله العليا .

وهكذا كانت مجلة (العروة الوثقى) رمزا وأملا وعملا ، ومنبرا يتبلور حولها فى جميع أنحاء العالم الاسلامى جيش من طليعة الأمة الاسلامية ايمانا وقسما على احياء الاخوة الاسلامية وانزالها منزل البنوة والابوة لا يقدم واحدهم الا ما قدمه الدين ولا يلتزم الا بما يقوى الاسلام والمسلمين .

فانبثق من المجلة ذلك الحوار الواعى الذى شغل فرنسا وبلاد الاسلام كلها بين السيد جمال الدين الأفغانى والفيلسوف الفرنسى (رينان) دفاعا عن الاسلام ونور الاسلام وعظمة الاسلام ، وانبثق منها حوار آخر بين الامام محمد عبده المصرى وبين الساسة الانجليز فى المسالة المصرية وغيرها من مسائل الأمة الاسلامية ذلك الحوار الذى أزعجهم أيما ازعاج لانه كان وعيا تبثه مجلة صادقة مخلصة لرجلين صادقين مخلصين .

ان السيد جمال الدين الأفغانى هذا الرجل الذى ولد بقرية سعد آياد من قرى أفغانستان حيث الجهاد الآن فى سبيل العقيدة الاسلامية والقيم الاسلامية والحرية الاسلامية ليدعونا جميعا أن نحيا ثانية حياة العابدين اخلاصا وجهادا وتضحية وعملا دائبا لكى تكون كلمة الله هى العليا .

ونحن أبناء أفغانستان وقد عشنا على صفحات التاريخ جنودا للدعوة الاسلامية نعى فى أعماق قلوبنا أن الحركة الاسلامية حقيقة واقعة بارزة بوضوح على الرغم من ضراوة مواقف الأعداء ونقف اليوم صامدين ثابتين ضد غزو الذين ينكرون الألوهية والرسالات انطلاقا من مفهوم الاسلام الخالد ان أمة الاسلام أمة واحدة وان تراب المسلمين وطن واحد لا يدفعنا الا جهاد فى سبيل الله حفاظا على تعاليمه والتزاما بخلقه وردا لأعدائه .

أما مصر فقد كانت ولا تزال زعيمة العالم الاسلامى وقائدته . موقعها موقع القلب من الجسد موقع القلعة التى تحمى البلاد لقد كانت مصر شعبا ورئيسا حراس هذه القلعة وحماتها حيث صدت على مدار التاريخ التتار والمغول . وكل عدو متربص . والحمد لله أنها لا تزال تواصل رفع هذا العلم وينادى بصوت عال بشجاعة المؤمن بجرأة الواثق بنصر الله : أرض الاسلام ليست للمتخلفين . ليست للمنحرفين . ليست للضعفاء الخائنين . ليست للغزاة المعادين .

نعم : لقد مضى أكثر من قرن وصيحة ابن أفغانستان تتردد فى مصر كنانة الله تلك الصيحة الاسلامية الخالدة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وها هو نحن الآن فى أفغانستان وصيحة ابن مصر تتردد فى جنبات ودياننا وعلى مرتفعات جبالنا حيث تغطى أرضنا أنهار الدماء وجماجم الشهداء (ألا أخرجوا أيها الغزاة الطغاة فلن تستعبدوا أرضنا أفغانستان وقد ولد أبناؤها أحرارا) .

واذا كان السيد جمال الدين الأفغانى وهو ابن شعب مسلم حر أبى قد أدرك حينذاك أن مصر كنانة الله وأنها قلعة الاسلام وذخر المسلمين ، فقد أدرك شعب مصر المسلم الحر الأبى أيضا أن أفغانستان أرض الصف الأول من مجاهدى الاسلام .

ان هذا الشعب الحر الأبى شعب مصر العظيم يريد منا وهو يبنى معنا أن ننتصر على حاضرنا الملىء بالمرارة والحسرة والألم وأن نصل ماضينا المشرق بمستقبل وضاء . أنه من مفهوم الجهاد الواحد والمسيرة الواحدة والمصير الواحد يعمل على أن يسود حياتنا من جديد مفاهيم جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده المصرى .

اننى أسأل الله جل شأنه أن يجعلنا نفعل مثل ما فعلوا وأن نردد قولة امامنا أبى حنيفة النعمان عن بعض التابعين (انما هم رجال ونحن رجال) .

اللهم هذا دعاؤنا اليك ..

حالت الظروف الصحية دون مواصلة أستاذنا الكبير الأستاذ أحمد حسين عن الاستمرار فى تفسير القرآن الكريم ، وهو ما أعلنه سيادته فى العدد الماضى ، حيث بدأ سيادته المقال الأول فى القصة النبوية الشريفة ويوالى سيادته سلسلة مقالاته فى هذا الحقل الطيب .

وقد ارتأت « منبر الاسلام » أن يواصل الدكتور عبد الغنى الراجحى رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر تفسير القرآن من حيث توقف الأستاذ أحمد حسين ، سائلة الله جل وعلا أن يمنح الأستاذ أحمد حسين الصحة والعافية ، وأن يوفق الدكتور عبد الغنى الراجحى فى هذه المهمة المقدسة ، من أجل استمرارية « منبر الاسلام » فى تقديم تفسير القرآن الكريم الى القارىء العزيز فى أنحاء العالم الاسلامى .

التحـــرير

تفسير سورة المائدة

الآية ٣٢

الدكتور عبد الغنى الراجحى

قوله تعالى « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون » آية ٣٢ .

بسبب هذا الذى جرى وحصل من قابيل من اعتدائه بالقتل على أخيه واستحكام هذه النزعة فيه وفى أمثاله من الطائشين المتعطشين الى القتل واراقة الدماء وازهاق الأرواح ممن يأتون بعده .

شددنا عقوبة هذه الجريمة وأكدنا قبحها والتنفير منها ضمانا لأمن المجتمعات وسلامتها فكتبنا وحكمنا وقضينا على من يرتكبها فيقتل نفسا واحدة بمضاعفة عذابه واعتبار أنه قتل الناس جميعا ، لأنه لا فرق بين نفس ونفس ، فيستحق مضاعفة الجزاء بعدد الناس كلهم وان كان لم يقتل الا نفسا واحدة فانه كأنه قتل الجنس كله . وفى هذا من التنفير والزجرعن هذه الجريمة ما فيه . ولا شك فى أن ذلك حكم عام على كل الناس وفى جميع الشرائع والديانات ، وتخصيص بنى اسرائيل بالذكر ، لما هو معروف من اسرافهم فى قتل النبيين بغير الحق ، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، كما صرح القرآن بذلك عنهم فى مناسبات أخرى، وتوراتهم أول كتاب سماوى نزل فيه تقبيح القتل . ان اراقة الدماء ، وازهاق الأرواح،

لغير سبب شرعى من أجرم الجرائم ، وأحرم المحرمات لا يستقيم معه صلاح حال النوع البشرى الذى جعله الله خليفة عنه فى أرضه ، فهو لا يستطيع أن يؤدى هذا الدور الا اذا توفر له الأمن والأمان .

وأحكام الله وأفعاله وأوامره ونواهيه تعلل كما هو واضح فى الفاظ الآية الكريمة بالأغراض والعلل التى تعود فى نهاية أمرها الى صلاح حال العباد . لا الى ذاته الغنية عما سواه .

لا يحل قتل نفس الا اذا استوجبت قتلها لانها قتلت غيرها أو أفسدت فى الأرض بالكفر والحرابة والصيال وترويع الآمنين . وفى الحديث الصحيح الشريف **(لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث النفس بالنفس الثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة)** وكذلك من أحيا نفسا واحدة بأن يكون نجاها من هلاك محقق . وانقذها من خطر قاتل يأتيها من جهته أو جهة غيره ، فكأنما أحيا الناس جميعا بمعنى أن له ثوابا مضاعفا بعدد الناس جميعهم لتسببه فى انقاذ حياة نفس واحدة وفى ذلك من الترغيب فى هذا العمل البناء ما فيه . ولا يحيى ولا يهب الحياة على الحقيقة الا الله وحده .

ولما قال ابراهيم للنمروذ **(ربى الذى يحيى ويميت)** وقال النمروذ **(أنا أحى وأميت)** وأتى برجلين قتل أحدهما وعفا عن الآخر . اعتبر ابراهيم ان هذه مغالطة من النمروذ فانتقل به الى موضوع آخر . فقال له **((ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين))** .

ولقد جاءت رسل الله وانبياؤه الكثيرون الى شعب بنى اسرائيل بالآيات والعلامات الواضحات التى تقرر وتؤكد ما أوجبه الله عليهم من الطاعة والامتثال والابتعاد عن الحسد والبغى وقتل الأبرياء . لكنهم بعد ذلك كله يوجد منهم كثيرون مسرفون فى الفساد والقتل واشاعة الشرور فى جنبات الأرض . والاسراف هو التمادى ومجاوزة الحد والاكثار . والتعبير بالكثير منهم من باب الانصاف فمنهم قلة تتبع الحق وتؤمن به كمسلمة أهل الكتاب ، عبد الله بن سلام واضرابه ، والله تعالى يقول **(ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) الآيات سورة آل عمران ١١٢ — ١١٥** . ومن أجل التركيز بعض الشىء فى هذه الآيات على بنى اسرائيل وأحوالهم وبعض هناتهم ، قال بعض المفسرين ان ابنى آدم السابقين فى قصة القتل السابقة كانا فى بنى اسرائيل وكل انسان يقال له ابن آدم . وبعض المفكرين يرى أن القصة كلها مثل مضروب لا يراد فيه شخص بعينه .

قوله تعالى **(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) آية ٣٣** .

الذين يحاربون الله ورسوله بمعنى محاربة دين الله وتعاليم الرسول بالعصيان والتمرد والخروج على ما أوجب الله من حرمة الدماء والأموال والأعراض . أو بمعنى يحاربون أولياء الله وأحباءه من المؤمنين الآمنين المسلمين المسالمين . والذميون والمؤمنون والمعاهدون فى حكم المسلمين تماما .

والآية بالاجماع فى الحرابة والصيال وقطاع الطرق واخافة السابلة وترويع الآمنين والخروج على النظام العام والهدوء التام . والسعى فى الأرض فسادا هو محاربة الله ورسوله . فهو من باب عطف الشىء على نفسه لكن بعنوان آخر وصيغة أخرى لزيادة الذم والتقبيح . فقطاع الطرق بصنيعهم هذا يجتمع فيهم محاربة الله والرسول والسعى فى الأرض فسادا ، وكل وصف من هذين الوصفين كاف فى ذمهم وانزال العقاب بهم . والجزاء والعقاب هو أن يقتلوا ان اعتدوا بالقتل فقط ولم يسلبوا المال ، أو يصلبوا ثلاثة أيام على طريق عام بعد قتلهم طبعا ، ان قتلوا وسلبوا المال ، كأن القتل فى مقابلة القتل ، والصلب فى مقابلة السلب ، فهو من باب مضاعفة العقوبة لمضاعفة الجريمة ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف اليد اليمنى مع الرجل اليسرى واليد اليسرى مع الرجل اليمنى ، ان اخذوا المال ولم يقتلوا . وكأن قطع الأيدى فى مقابلة أخذ المال ، كالأمر فى السرقة ، وقطع **الأرجل فى مقابل الترويع والتفزيع**، أما اذا لم يكن قتل ولا أخذ مال ، وانما اخافة الطريق وقطعه وترويع السابلة ، فالجزاء ما ذكره الله تعالى بقوله **(أو ينفوا من الأرض)** . والمراد بالنفى عند السادة الأحناف الحبس والسجن لأن الحبيس السجين حرم من التجول فى جنبات الأرض والاتصال بمظاهر الحياة من أهل وولد وغير ذلك على نحو ما قال بعض المسجونين .

خرجنـا من الدنيـا ونحن من أهلهـا
فلسـنا من الأموات فيهـا ولا أحيـاء
اذا جاءنا السـجان يومـا لحـاجة
عجبنـا وقلنـا جاء هـذا من الدنيـا

وعند الشـافعية وغيرهم المراد بالنفى هـو التغريب والجاء الجانى الى بلد غير بلده تأديبـا له وارهابا حتى ينزجر ويرعوى ويعود الى بلده تائبا اذا أراد وفى توزيع العقوبات وانواعها على الجريمة وأنواعها بواسطة الحرف (أو) ملاحظ تتكافأ فيها العقوبة مع الجريمة . وان كان بعض الناس يقولون ان الأمر محمول على تخيير الامام فى اختيار ما يراه من العقوبات المذكورة فيمـا يراه من الأحوال والأمر قريب بعضه من بعض وللحاكم فى النهاية حرية الحركة والتصرف فى اطار النصوص الثابتة .

ذلك الذى ذكره الله من العقوبات لهـؤلاء المعتدين خزى وذل وفضيحة لهـم فى الدنيا أمام الناس ، أما فى الآخرة فلهم عذاب عظيم لا يدرك مداه ولا يعرف كنهه . وخزيهم فى الدنيا لا ينفى أن لهم خزيا فى الآخرة وعذابهم فى الآخرة لا ينفى أن لهم تعذيبا فى الدنيا ولكنه فى كل دار ما هو فيهـا أنكى وأشد .

والآية الكريمة من أقوى الأدلة على ان العقوبات والحدود والقصاصات فى الدنيا لا تنفى عقوبة الآخرة ولا يمحى بها الذنب ، فان عقوبات الدنيا زواجر لا جوابر، وهى عملية تأديب وتأمين للمجتمع فى الدنيا ، واما فى الآخـرة فالحساب والعقـاب الحقيقيان . وحديث « من ارتكب شيئا عوقب به فهو كفارة له » محمول على ما كان من حق الله اما حق العباد فلا كما هو الشأن فى الاستثناء الآتى للذين تابوا من قبل القدرة عليهم فانه فى حقوق الله فقط قوله تعالى : **« الا الذين تابوا من قبـل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم »** ، (آية : ٣٤) .

استثناء مما سبق ذكره من عقوبات المحاربين والمعنى جزاؤهم جميعا ذلك الجـزاء المذكور فى العقوبات المفصلة . الا الذين تابوا منهم قبل أن تقدروا عليهم، فانهم تسقط(١) عنهم هذه الجزاءات بالتوبة ، لأن التوبة تجب ما قبلها وتمحوه ، والله غفور لذنوب عبـاده ، رحيم بهم اذا تابوا توبة نصوحا ، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (سورة الشورى آية : ٢٥)

« ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » (سور ةالزمر : آية ٥٣) .

وتقييد التوبة بكونها قبل القدرة عليهم ، مفيد لعدم قبولها وعدم جواز العفو عنهم بعد الاقتدار عليهم وضبطهم ، لوجوب العقوبة وحلولها عليهم قبل حصول التوبة فوجبت العقوبة فى حال لاتوبة فيها ، فتنفذ ، بخلاف ما لو وقعت التوبة منهم قبل الاقتدار عليهم فانها تجب ما قبلها وتمحوه فاذا حصل الاقتدار بعد ذلك عليهم صارت العقوبة غير ذات موضوع . ثم ان الغـرض من العقوبة هو تأمين المجتمع من شرهم وقد حصل بالتوبة . ويروى المفسرون فى ذلك حادثة عن الشعبى قال : كان حارثة بن بدر التيمى من أهل البصرة قد أفسـد فى الأرض وحارب فـكلم رجـالا من قـريش أن يستأمنوا له عليا فأبوا . فأتى سـعيد بن قيس الهمزانى فأتى عليا ، فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسعون فى الأرض الفساد؟ . قال أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ثم قال الا الذين تابوا من قبـل أن تقدروا عليهم . فقال سعيد وان كان حارثة ابن بدر ؟ قال وان كان حارثة بن بدر . فقـال هذا حارثة بن بدر قد جاء تائبا فهو آمن ؟ . قال نعم ، فجاء به اليه فبايعه وقبل ذلك منه وكتب له أمانا .

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية حديث أخرجه الشيخان ومؤداه أن جماعة قدموا على رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ثم كرهوا جو المدينة فأمرهم أن يذهبوا الى ابل الصدقة فيشربوا

---

(١) التقدير فأسقطوا عنهم العقوبات ولكنه وضع موضعه قوله تعالى فاعلموا أن الله غفور رحيم .

من ألبانها فقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فأتى بهم وقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم حتى ماتوا فأنزل الله تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » . الآية . كأنما كان ذلك تعديلا وتعليقا على ما فعله الرسول ليصير الأمر فيه الى ما ذكرته الآية الكريمة(١) .

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » آية ٣٥ .

مضت آيات كثيرة فى السورة الكريمة فى بيان العصيان والتمرد . عصيان قوم موسى له وتمردهم عليه حين قال لهم أدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم . وتمرد القاتل الذى قتل أخاه فى قصة ابنى آدم ثم الاشارة الى ما فى بنى اسرائيل قديما من الحسد والبغى وقتل الأبرياء من النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس . ثم الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا . وختم ذلك كله بقبول التوبة وتقرير أن الله غفور رحيم . فناسب بعد ذلك النداء للذين آمنوا وصدقوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر أن يتقوا الله بالابتعاد عما يغضبه وأن يطلبوا ويتوجهوا الى الأعمال التى هى وسيلة موصلة الى مرضاته ومثوبته مما يبتعد بهم عما ذكر من الأفاعيل الذميمة السابق ذكر بعضها فى الآيات السابقة وأن يجاهدوا ويجهدوا أنفسهم سيرا فى طريقه الموصل الى مرضاته ومنه القتال لاعلاء كلمته ، فهم ان فعلوا ذلك وحققوه أفلحوا وفازوا فى الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : **« ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم »** . آية : ٣٦ .

عقب ذكر حال المؤمنين المتقين المجاهدين فى سبيل الله وحسن حالهم ومآلهم جاء ذكر الكافرين وسوء حالهم ومآلهم . فلو فرض فرضا أنهم ملكوا جميع ما فى الأرض كلها وملكوا كذلك معه مثله ، ملكوا ذلك وحصلوا عليه فى يوم القيامة ليفتدوا به أنفسهم من عذاب فقدموه فعلا لله ما قبله الله منهم وما دفع عنهم ذلك من عذاب الله شيئا ولهم عذاب أليم مؤلم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

قوله تعالى : **« يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم »** ، آية : ٣٧ .

المقصود النهائى من تقديم الفدية هو الخروج من النار بعد أن دخلوها ولكن لا خروج لهم منها لأنه لافدية ولاقبول للفدية أن وجدت . ولهم عذاب مقيم دائم وهم فيها خالدون يكررون طلب الخروج منها فلا يجابون . تارة يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ،فيقال لهم أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير . فاطر ٣٧ . وتارة يقولون : « ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول الله لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون » . المؤمنون : ١٠٨

وتارة أخرى يقولون « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقال لهم ذلكم بأنكم اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير» . غافر : ١١ ، ١٢ . وأخيرا يقولون « يا مالك ليقض علينا ربك ، فيقول لهم انكم ماكثون ، لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » . الزخرف : ٧٧ ، ٧٨ . « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور » . سورة فاطر : آية ٣٦ .

---

(١) كانت هذه الآية الكريمة مرجعا رئيسيا لتقنين الأحكام فى قضية الاعتداء الوحشى على المرحوم الدكتور الذهبى مقدم القضاء المصرى أثناء نظر القضية ودراستها نموذجاطيبا لاعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا للتشريع يغنى عنا سواه من مصادر هى نفسها فى حاجة الى مصادر والأمة الاسلامية تتطلع الى مزيد من هذا الاتجاه .

فى أصول الفقه

الحكم الشرعى وأقسامه

الحكم التكليفى

الدكتور محمد سعاد جلال

الحكم هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء ، أو التخيير ، أو الوضع (والمراد بـ « الاقتضاء »طلب ايجاد الفعل من : المكلف ، أو طلب كفه عنه (والمراد بـ «التخيير » اعطاء المكلف المشيئة فى فعل شىء ، أو تركه على سواء (والمراد بـ « الوضع » أو مايشبه ذلك جعل الشارع أحد شيئين سببا فى الآخر، أو شرطا له . أو مانعا منه .

وبهذا ينقسم الحكم الى قسمين : حكم تكليفى ، وحكم وضعى . فالأول هو المتعلق بالاقتضاء ، أو التخيير .

والثانى هو الخطا المتعلق بجعل الشيء سببا . أو شرطا . أو مانعا لشىء آخر .

فالحكم الوضعى هو الأطار الذى يقع فى داخله متعلق الحكم التكليفى ، فالصلاة مثلا ــ وهى متعلق الحكم التكليفى لاتوجد الا بعد وجود السبب . وهو دخول الوقت. وتحقق الشرط . وهو الوضوء . وانتفاء المانع من نحو الأغماء ، أو الحيض .

وأما معنى الخطاب نفسه فهو كــلام الله ، ويشمل جميع أدلة الأحكام من القرآن . والسنة والاجماع ، والقياس ــ لأن السنة بيان القرآن، والاجماع لايتحقق الا ابتناء على الكتاب،والسنة، والقياس كشف لعموم الحكم الوارد فى أحد هذه الثلاثة ، فى مادة عرت ظاهرا عن امتداد الحكم المنصوص اليها .

وهذا هو معنى الحكم عند الأصوليين .

أما عند الفقهاء فهو « صفة فعل المكلف » التى هى أثر الخطاب .

وتوضيح ذلك : أن نص كلام الله ، وكــلام رســوله ، وما دخل تحتهمــا من أدلــة الشرع كالاجماع ، والقياس هو عين الحكم عند الأصوليين

ــ وما ثبت به مما هو صفة فعل المكلف هــو الحكم عند الفقهاء : فعين قوله : **« أقيموا الصلاة » حكم عند « الأصوليين »** ــ ومن حيث كونهــا صيغة « أمر » فانها تفيد وجوب الصلاة ــ الذى هو صفة فعل المكلف ، فهى ــ الآية ــ دليل حكم، والحكم هو وجوب الصلاة عند الفقهاء .

وكذلك يقال : فى قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » أنه من حيث ذاته حــكم فى رأى الأصوليين ، أفاد التحريم ــ أما الحرمة التى هى أثر هذا الخطاب والتى تكون صفة لفعل المكلف فهى ، المراد بالحكم عند الفقهاء .

تفصيل وضبط مادة الحكم .

الحكم اما أن يكون صفة لفعل المكلف كالوجوب،

والحرمة وغيرها ، واما ان يكون أثر الفعل المكلف ـ كالبيع فأنه أثر للايجاب والقبول ، وما يتعلق بهما كملك العين . أو ملك المنفعة فى النكاح ، وملك المنفعة فى الاجارة ، واما أن يكون حكما بتعلق شىء بشىء آخر . كما قلنا ، وهو الحكم « الوضعى » أو « الحكم التعليقى » ، وسيجىء بحثه مفصلا .

ثم أن الحكم الذى هو صفة فعل المكلف ـ اما أن تعتبر فيه المقاصد الدنيوية اعتبارا أوليا . وأن اعتبرت فيه المقاصد الأخروية اعتبارا ثانويا بالتبعية ، واللزوم . وذلك كوصف الصحة ، فأن صحة العبادة ـ مثلا ـ ايجادها على الوجه الذى يقتضى تفريغ الذمة ، ويستتبع ذلك لزوما حصول الثواب عليها .

واما أن تعتبر فيه المقاصد الأخروية اعتبارا أوليا ، وأن لزمها حصول الاعتبارات الدنيوية . ثانيا ، وبالتبع . كالوجوب ، فان الواجب مايثاب على فعله ، ويعاقب على تركه ، ويلزم من ذلك كون الفعل الواجب صحيحا .

ماتعتبر فيه المقاصد الدنيوية اعتبارا أوليا :

فأما القسم الذى تعتبر فيه المقاصد الدنيوية اعتبارا أوليا . فهو قسمان : « عبادات » ، و « معاملات » . فالمقصود من « العبادات » تفريغ الذمة ، وذلك بايقاعها على الوجه الأصحيح المشروع ، والمقصود من « المعاملات » ـ هو ثبوت الاختصاصات الشرعية ـ وذلك مايترتب على العقود . والفسوخ من الأغراض المصلحية كترتب ملك العين ، والمنفعة . والمتعة على عقد البيع ، والاجارة ، والنكاح وترتب « الفسخ » على « الخلع » ، « والبينونة » على الطلاق الثلاث . وكترتيب الالزام بالحكم **على صحة القضاء** ، وترتب الزام القاضى بالحكم على وفق الشهادة الصحيحة .

فكون الفعل موصلا الى المقصود الدنيوى يسمى « صحة » وكونه بحيث لا يوصل اليه أصلا يسمى « بطلانا » .. وكونه بحيث يقتضى أركانه وشرائطه الايصال اليه . دون أوصافه الخارجية يسمى « فسادا » ، وهذه وجهة الحنفية الذين يفرقون بين البطلان والفساد فى « المعاملات » .

فمثال العقد الباطل بيع جنين الدابة فى بطنها لأنه فى حكم المعدوم .

ومثال العقد الفاسد الصحيح بأصله دون وصفه جعل الخمر ثمنا لسلعة فان العقد ينعقد بأصله لكنه موصوف بالفساد من حيث أن الخمر ـ وهى غير متقومة فى حق المسلم لاتصلح ثمنا ـ فلو استبدل المتبايعان بالخمر عصيرا أو نقودا انقلب البيع صحيحا .

وثم أوصاف أخرى للمعاملات :

منها ، « الانعقاد » وهو ارتباط أجزاء التصرف ارتباطا حكميا . فالبيع الفاسد منعقد ، وان لم يكن صحيحا .

ومنها النفاذ ـ وهو أن يترتب على العقد أثره كبيع « الفضولى » المتوقف على اجادة أصحاب الشأن ، فانه منعقد غير نافذ .

ومنها « اللزوم » : وهو عدم قابلية العقد للرفع .

بيان ما تعتبر فيه المقاصد الأخروية اعتبارا أوليا .

وأما الحكم الذى تعتبر فيه المقاصد الأخروية اعتبارا أوليا فينقسم الى قسمين .

حكم أصلى مبنى على غير أعذار العباد ـ ويسمى « عزيمة » .

وحكم غير أصلى ـ مبنى على أعذار العباد ، ويسمى « رخصة » **ولكل منهما أقسام (واليكم** أولا ـ أقسام الحكم الأصلى وهى سبعة عند الحنفية :

الفرض : وهو ماكان فعله أولى من تركه مع منع الاقدام على تركه بدليل قطعى ، كأقسام الصلاة . وايتاء الزكاة .

الواجب : وهو ماكان فعله أولى من تركه مع منع الأقدام على تركه بدليل ظنى ـ نحو صلاة العيدين ، والأضحية وصدقة الفطر فانها واجبة ـ لا فرض ـ لثبوتها بدليل ظنى ـ هو خبر الآحاد . الذى لا يفيد الا الظن بمدلوله .

المندوب وهو ماكان فعله أولى من تركه ، بلا منع الترك ، وذلك ، كالاشهاد على الدين . وكتابة « المكاتب » .

الحرام : وهو ماكان تركه أولى من فعله مع منع الاقدام على الفعل بدليل « قطعى » كحرمة الربا . وكحرمة السرقة .

المكروه تحريما ـ وهو ماكان تركه أولى من فعله بلا منع الترك بدليل ظنى : نحو : الاقتصار على قراءة سورة فى الصلاة مع الكف عن قراءة الفاتحة ومثل القيام بعد الركعتين فى الصلاة الرباعية بغير قعود ، ومثل السجود على الأنف فقط فى مذهب الحنفية .

المكروه تنزيها ـ وهو ماكانت الكراهة فى **حصوله أقل منها فى المكروه تحريما ، كترك سنن الزوائد .**

المباح ـ هو ما اذن الشارع للمكلف فى فعله وتركه على سواء ولا يعد حكما تكليفيا . وانما عدوه من الأحكام التكليفية « تغليبا » .

ونظر «الشاطبى» نظرا أوسع عد به المباح حكما فيه رائحة التكليف .

فقال : أن دائرة المشتهاة للمكلف واسعة جدا لكن الشارع حدد للمكلف مقدارا معينا منها وأباحه له . وألزمه بعدم الخروج عنه فليس كل ماتشتهيه نفس المكلف مما يباح له ، فكم من أشياء يتمنى أباحتها اشباعا لهوى نفسه وهو ملزم بالوقوف دونها ، لأن الشارع حرمها عليه ، وكم من أشياء لو ترك مع هواه لم يفعلها لكن الشارع أوجب عليه فعلها ، **فالمباح من هذه الجهة يتضمن تكليفا للمكلف والزاما عليه لأنه لا يتناوله الا من تحت اذن الشرع .**

قلت : وهو ملحظ معقول مقبول .

وضابط هذه الأقسام السبعة : أن نقول :

« **ان كان الفعل أولى من الترك** مع منع الترك فان كان ذلك بدليل قطعى — فهو الفرض ، أو كان بدليل ظنى — فهو الواجب .

وان كان الفعل أولى من الترك بلا منع الترك — فان كان طريقة مسلوكة فى الدين فسنة ، والا فهو مندوب ونفل .

وان كان الأمر على العكس بأن كان الترك أولى من الفعل ، فان كان مع منع الفعل بدليل قطعى فهو الحرام . وان كان بلا منعه فمكروه تحريما أو تنزيها . وان استويا فمباح » .

وبناء عليه فاقسام الحكم الشرعى سبعة أقسام عند الحنفية — كما رأيت —

وذهب الجمهور الى القول بأن أقسام الحكم الشرعى خمسة فقط : وهى الواجب . والفرض . والمندوب ، والحرام ، والمكروه ، والمباح .

وضابط ذلك أن الشارع اما أن يطلب من المكلف ايقاع الفعل على جهة الحتم والجزم ، فذلك هو الفرض والواجب ، أو على غير جهة الحتم والجزم ، فذلك هو المندوب .

أو يطلب من المكلف الكف عن الفعل حتما وجزما فذلك هو الحرام .

أو على غير طريق الحتم والالزام — فهو المكروه ، أو لا يطلب من المكلف فى شىء فعلا . ولا تركا فهو « المباح » .

والخلاف بين الحنفية والجمهور فى عدد أقسام الحكم راجع من قبل الحنفية الى اثبات تفرقة بين ما يعد فرضا ، وما يعد واجبا عندهم: فما يعد فرضا عندهم لا يثبت الا بدليل «قطعى». وما يعد واجبا هو ما يثبت بدليل « ظنى » كخبر الآحاد ، قالوا : فما يجوز ان نسوى فى الالزام على المكلف بين ما ثبت بالدليل القطعى الذى لا يحتمل متعلقه الخلاف بوجه ، وبين ما ثبت بدليل ظنى يحتمل متعلقه **الخلاف ، وعدم مطابقة الواقع ، وهذا من قبل الحنفية كلام معقول جدا — اذ كيف نسوى فى الدليل الموجب للتكليف بين دليلين يثبت أحدهما عن الشارع جزما لاشك فيه ، وينسب اليه الآخر مع احتمال الكذب وان ترجح فيه جانب الصدق ؟**

اعتراض على مذهب الحنفية ودفعه :

وقد اعترض على هذا الفقه عند الحنفية بعض الكتاب المحدثين . قالوا : ان هذه التفرقة يترتب عليها أن يكون للدليل الواحد حكمان مختلفان : أحدهما كائن بالنسبة لنا والآخر بالنسبة للصحابى الذى روى الحديث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فهو بالنسبة لنا يفيد الوجوب فقط الذى هو أنقص درجة فى الالزام عن الفرض لوجود الشبهة فى صحة الدليل فى حقنا — **وبالنسبة للصحابى الذى روى الحديث — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — هو فرض لانتفاء وجود شبهة الدليل المذكورة فى حقه : فقراءة الفاتحة فى الصلاة مثلا — تعتبر فرضا تبطل الصلاة بتركها فى حق الصحابى لثبوت الدليل القطعى فى حقه الدال على فرضية قراءتها — وتعتبر واجبة لا تبطل الصلاة بتركها فى حقنا لنقل دليلها على وجه الظن فى حقنا ، قال : وهذا أمر غريب لم يعهد فى الشريعة(1) .**

ولسنا من هذا الرأى ، والذى يظهر لنا أن الشارع كلفنا بمقدار صحة الدليل المثبت للتكليف علينا — فعند انعدام الدليل أصلا لا تكليف علينا بشىء ، وعند وجود الدليل القاطع يلزمنا فعل المكلف به فى أعلا مستويات الالزام — وذلك هو الفرض .

وعند تردد حال الدليل بين الصحة ، واحتمال عدم الصحة مع ترجيح جانب الصحة بالنسبة لنا يكون تكليفنا بهذا المقدار من عمل الدليل — لا بمقدار هو أشد قوة .

ولا يستبعد فى صور الاجتهاد أن يكون الدليل الواحد مفيد للفرضية على بعض المكلفين ، وغير مفيدا لها على بعض آخرين .

وذلك كمسح كل الرأس فانه فرض عند « مالك » . وليس فرضا عند « الحنفية » و « الشافعية » — بل هو سنة عندهم ، والكل مستمد من دليل واحد ، هو آية الوضوء ، وقد

---

(1) الخضرى ، وزكى شعبان .

اعتبرت دلالتها عند مالك قطعية فى افادة مسح كل الرأس على جهة « الفرضية »
واعتبرت دلالتها ظنية فقط عندالحنفية والشافعية فى افادة هذا الحكم فردوه وأخذوا بما دونه — فمن هذا القبيل يمكن القول بامكان أن يكون الحديث الواحد قطعى الدلالة فى حق الصحابى ويكون ظنى الدلالة لمن جاء بعده من المجتهدين لعدم ثبوت قطعيته لهم . فعمل هؤلاء ، وهؤلاء فى صورة الحكم كل بمقدار ما صح عندهمن مرتبة الدليل ، اما على جهة الفرضية ، واما على جهة الوجوب النازل عن رتبة الفرضية ، والعمل فى مزاولة الأحكام التكليفية على تفاوت مراتب الدليل معهود فى الشرع كما بينا —

خصائص هذه الأحكام : الفرض والواجب

الفرض لازم على المكلف علما وعملا بمعنى انه يجب عليه اعتقاد حقيته والعمل به . ويكفر جاحده ، ويعاقب تاركه بغير عذر .

والواجب لازم على المكلف عملا ، لا اعتقادا، لأنه ظنى الثبوت والاعتقاد لا يلزم المكلف الا بما ثبت قطعا .

وتارك العمل بالواجب ان ترك العمل به متأولا لا مؤاخذة عليه ، لأن التأويل فى مظانه من سيرة السلف ، وان تركه مستخفا به يفسق ، ويضلل — لأن العمل بالظن فى غير المعتقدات — كخبر الواحد والقياس مما صح دليله . ونقل عن السلف العمل به وان تركه لهوا واهمالا ، لا مؤلا ، ولا مستخفا به استحق العقاب تعزيزا على ترك العمل لخروجه عن طاعة الشارع فيما ترجح الخطاب به الا أن عقابه يكون أخف من عقاب تارك الفرض ، فعقاب الممتنع عنالزكاة اهمالا أشد من عقاب الممتنع عن صدقة الفطر اهمالا .

وقد يطلق لفظ الواجب فى اصطلاح الحنفية — على ما هو أعم من « الفرض » و « الواجب » ، فيراد به حينئذ ما ترجح فعله على تركه مع منع الترك مطلقا — سواء كان بدليل قطعى ، أو ظنى : فيقال : صلاة الفجر واجبة مع كونها فرضا ، كما يقال تعديل « الأركان » فرض مع كونه واجبا ، حيث يكون المراد بـ « الواجب » هنا معنى يشمل الاثنين معا .

السنة والنفل :

السنة — كما أشرنا — هى الطريقة المسلوكة فى الدين — وهى تنقسم الى سنة الهدى وسنة الزوائد : وسنة الهدى ماكانت عملا تكميليا وتحسب للفرائض الثابتة كالجماعة والأذان ، والركعتين قبل الفجر ، وقبل العصر ، وتركها يوجب الاساءة وكراهة التحريم ،

أما سنة الزوائد فتلك سنته — عليه السلام — فى قيامه وقعوده ، ولباسه وتنعله ، وترجله، وماكان من جنسها — وتركهايقتضىكراهةتنزيهية — ومعناه أن يثاب فاعلها ، ولا يعاقب تاركها.

والسنة المطلقة عن التقييد باضافة معينة — كقول الراوى « من السنة كذا » يمكن أن يراد بها سنة النبى — وسنة غيره من الصحابة عند الحنفية كقولهم (سنة العمرين) يريدون بذلك « أبا بكر » و « عمر » — رضى الله عنهما —

وقال « الشافعى » : لا يجوز أن يراد منها عند الاطلاق غير سنته — صلى الله عليه وسلم — والحق مع الشافعى فى هذا الخلاف — لأن استدلال الحنفية بقول السلف « سنة العمرين » غير مقيد لوجهة نظر الحنفية — لأن النص المستدل به مقيد ، وما يفيده اللفظالمقيد من المعنى هو غير ما يفيده اللفظ ، وهو مطلق عن القيد : ولا يجوز التسوية فى الدلالة بين لفظ مطلق ، ولفظ آخر مقيد . والا لبطلتفائدة ذكر القيد .

والنفل ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .. وهو أقل مرتبة من سنن الزوائد .

لزوم النفل بالشروع فيه :

ويلزم النفل بالشروع فيه عند الحنفية — ولا يلزم بالشروع فيه عند الشافعية .

استدل الشافعى بأن المكلف مخير فى فعلمالم يأت به بعد من أجزاء النفل — ان شاء فعله ، وان شاء تركه ، فيكون مخيرا فى ابطال الجزء الذى فعله تبعا للجزء الذى لم يفعله . ورد الحنفية على وجهة نظر الشافعى من ثلاثة وجوه .

الأول : هو أن ابطال الأعمال غير جائز لقوله — تعالى — « ولا تبطلوا أعمالكم » .

الثانى : هو أن المؤدى من النفل صار حقا لله — تعالى — فيجب صيانته عن البطلان . لذلك . فلزم أن نجعل الجزء الذى لم يؤد تبعا للجزء المؤدى فى ايجاب أدائه ، فذلك أولى من أن نجعل الجزء الذى صار بالأداء حقا لله تبعا للجزء الذى لم يؤد فى تسويغ بطلانه . لأن ذلك كله عبادة ، والعبادة مما يحتاط فى صيانتها تعظيما للمعبود .

الثالث : ولأن ما ثبت حقا لله بالتسمية — وهو

النذر - لا يجوز ابطاله ، فكذلك ما ثبت حقا لله فعلا كالجزء المؤدى من النفل ، هو من باب أولى فى عدم جواز ابطاله .

الحرام والمكروه :

الحرام - كما قلنا - ما كان تركه أولى من فعله مع منع الفعل بدليل قطعى . ويعاقب فاعله على فعله عقابا أشد من فاعل المكروه تحريما - وهو قسمان حرام لعينه كأكل الميتة ، وشرب الخمر ، فان العين هنا - وهى الميتة والخمر قد خرجت عن كونها محلا للفعل - أصلا وهذا القسم أشد فى التحريم من الحرام لغيره . لأنه راجع لامتناع المحل عن قبول الفعل كنحوان يسكب الماء من قدح فيستحيل شربه عن القدح.

وحرام لغيره - وذلك كحرمة أكل خبز الغير اغتصابا منه - فان الحرمة راجعة الى فعل المكلف - لا الى عين المحل ، الا ترى لو وهبه المغصوب منه أو ضمنه الغاصب يكون حلالا له - فيكون المحل فى الحرام لعينه أصلا ، والفعل تبعا له ، وفى الحرام لغيره يكون الفعل أصلا، والمحل تابع له .

وأما « المكروه » فهو قسمان : مكروه تحريما، ومكروه تنزيهـا .

فأما المكروه تحريما فهو ماكان للحرام أقـرب .

وقال محمد : هو حرام : فهو عنده مقابل للواجب مع الفرض - فالحـرام عنده ما ثبت بقطعى ، والمكروه حرام - أيضا - لكنه ثبت بدليل ظنى وذلك ، على موافقة ترتيب الفرض مع الواجب - اذ كلاهما يترجح فعله على تركه مع منع الترك ، وان تفاوتت قوة الحرمة فيهما. تبعا لتفاوت قوة الاثبات بين الدليل القطعى ، والدليل الظنى .

وأما المكروه تنزيها - فهو ماكان للحلال أقرب: ويحصل بتركه أدنى ثواب - كما لايحصل بفعله أدنى عقاب .

العزيمة والرخصة :

وأما القسم الثانى من أقسام الحكم الذى اعتبرت فيه المقاصد الأخروية اعتبارا أوليا فهـو الرخصة - « وهى الحكم المبنى على أعـذار العباد » - وذلك فى مقابلة « العـزيمة » - « وهى الحكم المبنى على غير أعذار العباد ». والعزيمة تنقسم الى أربعة أقسام : الفرض ، والواجب والسنة ، والنفل .

وكذلك الرخصة تنقسم الى أربعة أقسـام: قسمان من الرخصة الحقيقية : أحدهما أحـق باسم الرخصة من الآخر .

وقسمان من المجاز : أحدهما ، أتم فى المجازية من الآخر .

فأما القسمان الأولان ، فأولهما : مااستبيح مع قيام الدليل المحرم ، وبقاء الحرمة فى المرخص به : ومثاله : جواز النطق بكلمة الـكفر عنـد الاكراه على ذلك بقتل النفس أو ذهاب عضو الانسان المكره . فان ذلك رخصة جائزة له ، لكن يقترن بها قيام الدليل المحرم للنطق بكلمة الكفر ، وهى الدلائل الدالة على استمراروجوب الايمان بالله بغير انقطاع فى وقت واستمرار قيام الحرمة فى الفعل - وهو أن الكفر بالله لايمكن أن يكون مباحا فى حال لأن حرمته مؤبدة .

وكذلك الاكراه على ترك الصلاة . والصوم. أو على ترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، والاكراه على أكل مال الغير ففى كل هذه الأمثلة - اذا كان الاكراه على ترك شىء أو فعله بقتل النفس ، أو قطع العضو . يجوز للمكره أن يفعل مااستكره عليه - لأن حق العبد يفوت صورة ومعنى بهلاك جسده . وزهوق روحه التى هى محل الايمان - وحق الله يفوت صورة فقط بعدم النطق بالشهادة مع بقاء الاقرار بقلبه الذى هو الأصل .

وفى الاكراه على أكل مال الغير يترجح فوات المال على فوات النفس عند الاضطـرار على فوات أحدهما - لأن المال - اذا فات - يمكن استرداده ، أو المسامحة فيه بخلاف النفس اذا فاتت ..

اما اذا استعصى المستكره فى هذا الباب على فعل ما أريد منه تصلبا فى دينه واحتسابا لنفسه فى ذات الله : فذلك أعلا مقاما له وهو مثوب على فعله . وانما يظهر كون هذا القسم من قسمى الرخصة الحقيقية أحق باسم الرخصة من الآخر لأن الرخصة فيه تتضمن خرقا لمقتضى الدليل القائم ، والحرمة القائمة على خلاف ماسيجىء **من الأقسام .**

وأما القسم الثانى فهو ما استبيح مع قيام الدليل المحرم . وعدم بقاء « الحرمة » فى المرخص به - وذلك كالفطر فى السفر فان الدليل المحرم للفطر قائم ، وهو شهود الشهر لقوله تعالى - **« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، وأما الحرمة فغير قائمة لقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، وتقـدير الكلام : فأفطر فواجبه عدة من أيام أخـر : فقد دلت هذه الآية على أن الحكم ، وهو وجوب الصوم بالنسبة للمسافر - هو متراخ عن سببه الى عدة من أيام أخـر - هى التى يجب على**

المسافر فيها فعل الصوم . ففى هذه الأيام التى نقول : ان حكم الصوم فيها يتراخى عن سببه لسفر الصائم فيها يسقط حرمة الفطر فى حقه، لأيصبح فطره فيها مساويا لفطره فى أيام شعبان مثلا فيقع ذلك شبهة فى كون الفطر فى أيام السفر حكما أصليا .

وهذا بخلاف القسم الأول — اذ ينعدم فى تصوره أن يكون النطق بكلمة الكفرأو أكل مال الغير مباحا أصلا أو يأخذ شبهة الحكم الأصلى البتة .

وأما القسمان المجازيان ، وأحدهما أتم فى المجازية من الآخر .

فما كان أتم فى المجازية من الآخر فهو ماوضع عنا من التكاليف الشاقة التى كلفت بها الأمم السابقة بقوله — تعالى — « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » ولم تشرع هذه التكاليف بالنسبة لنا أصلا ، فهى من أجل هذا مفرقه المعنى فى البعد عن حقيقة الرخصة ، التى هى فى حقيقتها استثناء من حكم مشروع ولو فى الجملة هذا أحد القسمين .

وأما القسم الثانى الذى هو أقرب لحقيقة الرخصة من الأول فما سقط التكليف مع كونه مشروعا فى الجملة ، وذلك كالرخصة فى السلم فان الأصل فى البيع أن يتعين فيه المبيع ويكون مقدور التسليم — لقوله — عليه السلام — « لا تبع ما ليس عندك » لكن هذا الحكم سقط فى السلم ، فلم يبق عزيمة ولا مشروعا ، لقول الراوى — « ورخص فى السلم » — لكن هذا الحكم — وهو عدم تعيين المبيع المرخص به السلم لحاجة الناس فى بيع الآجل بالعاجل قد بقى مشروعا فى الجملة فى البياعات غير السلم.

وكشرب الخمر للمضطر ، وأكل الميتة له ، فان حرمتهما حكم سقط شرعه عند الاضطرار ، فصار احلالا للمضطر كشرب اللبن وأكل الذبيحة المذكاة — لكن هذه الحرمة ثبتت مشروعيتهما فى الجملة وذلك عند عدم الاضطرار **لقوله — تعالى — « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » ..**

فبين النص أن ما اضطررنا اليه من المحرم علينا لم يتناوله التحريم — فهو حلال أصلا .

وكالقصر فى السفر فانه رخصة اسقاط لقول عمر بن الخطاب لرسول الله : « انفطر ونحن آمنون » ؟ فقال . عليه السلام — : « ان هذه صدقة تصدق الله بها عليكم : والتصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط لا يحتمل الرد ، وان كان ممن لا يلزم طاعته من المخلوقين — كولى القصاص — اذا عفا عن الدم ، ولم يطلب القصاص من نفس القاتل ، فلا يملك القاتل المطلوب بالقصاص أن يرد على ولى الدم هذا العفو . فلا يجوز للمكلف قياسا على ذلك من باب أولى — أن يرد على الله صدقته مما لا يحتمل التمليك كأسقاط بعض التكليف عنه .

وأيضا — فان الخيار انما يثبت للعبد اذا تضمن رفقا للعباد — كما فى خصال الكفارة . والرفق هنا — وهو اختذال الصلاة الرباعية الى ثنتين فى السفر — متعين فى حق المسافر فلا يتم أن يثبت له الخيار .

أما فى حالة اباحة الفطر فى السفر حيث حكمنا بتخير الصائم بين الصوم . والافطار فلأن كل واحد من الأمرين تضمن رفقا للمكلف من وجه.

أما حصول الرفق مع الصوم ، فلأن صوم الصائم مع جمهور المسلمين فى رمضان — أيسر على النفس للمشاكلة فى العمل وعموميته من الا نفرد به وسط المفطرين فى غيره ، لشعور النفس حينئذ باحتمالها لقيد مرفوع عن كل المخالطين لها .

وأما حصول الرفق مع الفطر فى السفر فبزوال مشقة الصوم فيه — كما هو ظاهر .

فان قيل ان لصلاة « الأربع » من الثواب أكثر مما يكون لصلاة ركعتين منه .

قلنا : أن الثواب المقدر لكل منهما — انما هو مقدر لهما من حيث كونهما فرضا واحدا . لا من حيث كمية أجزائهما زادت أم نقصت .

ويختلف هذا القسم عن القسم الثانى من حيث ان دليل التحريم قائم مع الرخصة فى القسم الثانى : مثلا ، فان دليل حرمة الافطار فى نهار رمضان فى السفر لم يزل : **وهو قوله — تعالى — فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. وان صحت الرخصة بالفطر فيه لتراخى الحكم عن السبب** — كما قدمنا . أما فى الرخصة للمضطر بأكل الميتة — كما هنا — فدليل التحريم للمضطر غير قائم أصلا ، لأن معنى قوله : **«وقد فصل لكم ، ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه »** أن لا حرمة أصلا فيما وقع به الاضطرار — لأن الاستثناء راجع الى التحريم — لا التفصيل — **قال السعد :** « ولا يجوز أن يكون **المستثنى منه «** هو (ما) حرم » ليكون الاستثناء . اخراجا من حكم « التفصيل » لا عن حكم التحريم لأن المقصود بيان الأحكام — لا الاخبار عن عدم « البيان » .

وبهذا يتبين أن هذا القسم من الرخصة يشبه أن يكون فى المعنى — أصلا .

وبالله التوفيق .

الأنبياء بين الشدائد والفرج

الدكتور محمد كامل الفقي

الحياة معترك بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والحياة مجال للحب والكره ، وما خلت سماء أحد من غيم أو ظلمة ،ولا يتصور العقل سرورا يتصل ، أو فرحا يمتد ، بل لابد أن يثور فى أفق البهجة ولو بعد حين أنكاد ومصاعب ، وكأنى بالسرور لا وجود له الا بعد محن ذابت ، وشدائد تبددت ، فالمسرات انما تجد طريقها الى نفوس أدت ضريبة الضيق والبأساء ،والشدة لا وجود لها الا بعد صفاء ذهب ، أو أمل خاب ، فالانسان بوجه عام مهما تواتت له أسباب المسرات ، لابد يوما أن يدخل فى أزمات ومحن ، ولابد أن يمتحن بضر موجع ، وضيق مفزع ، ومفهوم الدنيا كذلك .

وقديما قال ابن الرومى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد

يبكى الطفل حين يواجه الدنيا ، مع أنه انتقل من ضيق الى سعة ، ومن ظلمة الى نور ، وبعد أن كان يحمله أرحم الناس ، صار يحمل الهم والعنت وتنوشه الأحداث من كل جانب ، وسنة الله فى خلقه أن يبتليهم فان صبروا أدركهم لطفه، وفتحت لهم سبل الفوز والنجاة ، وكذلك ينجى الله رسله ، وكل من كان على الحق ، ومن ثبت على بلائه وآثر المبادىء والغايات الكريمة وكان صادق الايمان والعزيمة .

والبلاء قديم قدم الدهر ، والشدة مظهر ولد مع آدم ، غير أن شدائد الأنبياء والرسل على قدر عزائمهم ، وابتلاؤهم مكافىء لرسوخ عقيدتهم وايمانهم ، انهم تختلف محنهم عن محن الناس ، فهم لم يؤذوا فى مال قل أو كثر ، ولم تكن الاساءة اليهم من حيث كانوا كسائر الناس أملا وغاية ، لكنهم غايتهم أن يعلو الحق على الباطل ، وأن يستعلى الخير على الشر ، وأن يذوب الضلال ليبقى الحق صافيا مرئيا .

ان الله عهد اليهم أن يحرروا البشرية من الوثنية والأوهام وعبادة الأصنام ، وقد كان ذلك بين الأمم المتوالية دينا موروثا ، وضلالا متبعا ، درج عليه آباء وأجداد ، ومن ثم لقى الأنبياء

والرسل من هؤلاء الزائغين عن الحق متاعب وعذابا أليما ، حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصر الله . وما يتصور العقل وسيلة من وسائل الكيد الا شحذها أعداء الحق لدعاة الحق من الأنبياء والمرسلين .

وكل مصلح داع الى خير أمته وسعادتها يعلم أنه هدف لسهام الذين انحرفوا عن الجادة ، وهو يمضى فى طريقه قدما لا يبالى بما يناله ما دام قد رضى ضميره ، وقرت عينه .

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولا ريب أن الذين جندوا أنفسهم لاصلاح مجتمعهم ، يضعون نصب أعينهم أنهم عرضة لسهام مسمومة ، لكن الصبر يفلها ، وكأنى بهم يقولون ما كان يقوله ابن شبرمة اذا نزلت به شدة ، سحابة ثم تنقشع ، والله سبحانه يبشر الصابرين على عسرهم فيقول « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » فالعسر معه يسران لا يسر واحد ، ولذلك قال مولانا محمد صلى الله عليه وسلم « لو كان العسر فى كوة لجاء يسران فأخرجاه » . وهو عليه الصلاة والسلام الذى يقول : انى لأن أكون فى شدة أتوقع بعدها رخاء ، أحب الى من أن أكون فى رخاء أتوقع بعده شدة .

وأول شدة عرفتها الدنيا ، وأقدم محنة لقيها الوجود ، وكان لها من الله فرج وسعة ، انما هى شدة آدم أبى البشر ، ان الله خلقه فى الجنة ، وعلمه الأسماء كلها . وأمر الملائكة أن يسجدوا له ، ونهاه عن أكل الشجرة ، فوسوس اليه الشيطان وعصى آدم ربه فغوى ، وأهبطه الله من الجنة الى الأرض ، واشتدت محنته فقتل أحد ولديه أخاه ، ثم طال بكاؤه وامتد حزنه ، فاستغفر ربه ودعاه ، ومن الله عليه بالفرج بعد الكرب والمحنة فتاب عليه وهدى ، وكشف غمته ، وبدد ظلمته ، فآدم أول من امتحن من الخلق ، وأول من دعا ربه فاستجاب له ، وعوضه بدل ابنه المفقود ، وابنه العاق ، أول أولاده البررة وهو سيدنا شيث عليه السلام ، وجعل ذريته هم الباقين ، وأفاء الله عليهم من النعم بما يتقاصرونه الشكر والحمد ، وامتحن الله سيدنا نوحا ، اذا اختلف عليه ، وعصاه مع العصاة ولده ، كما ابتلاه بالطوفان وركوب السفينة وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، واعتصم ابنه بالجبل ، ودعا نوح ربه أن ينجى ولده فأبى ربنا اذ هو ليس من أهله فكان من المغرقين ، لكن الله تعالى تداركه بلطفه ، وساق اليه الفرج بعد الشدة ، فمكن له فى الأرض ، وقال يا أرض ابلعى ماءك وأنشأ منه جميع البشر كما أنشأهم من آدم أولا ، يقول الله فى محكم كتابه : « ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ، وجعلنا ذريته هم الباقين ، وتركنا عليه فى الآخرين » « ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم » .

وهذا حديث ابراهيم عليه السلام محنة وابتلاء ، وصبر ويقين وايمان ، ثم كشف للضر ونجاة وأنعم ، سنة الله فى خلقه وفى أنبيائه .

ان ابراهيم أنكر على أبيه وقومه عبادة التماثيل ، وكسر أصنامهم التى هاموا بها ، وأراد به هؤلاء كيدا عظيما « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم » فنجاه مولاه وقال : « يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين — الى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » .

ومن محنة ابراهيم أن سارة كانت قد أصابتها الغيرة من هاجر أم ولده الذبيح اسماعيل عليه السلام فأمره الله تعالى أن يغادر الشام ، وأن يلجأ الى واد غير ذى زرع بهاجر واسماعيل ابنها ، ثم كشف الله غمة ابراهيم ونبع الماء وفاضت النعماء ، واستجاب الله دعوته « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وابتلى الله ابراهيم بشدة لا يحتملها الا قلب مطمئن ، وروح اتصل بالله فكان الله كل شىء له ، « يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى

ان شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين »

ولوط عليه السلام نهى قومه عن الفاحشة فقال : أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» لكن قومه عصوه وكذبوه ولم يستجيبوا للخير الذى دعاهم اليه ، واذ ذاك كشف الله ضره ، وخسف بهم دارهم ، وكان هو من الناجين .

ويوسف ويعقوب عليهما السلام ، امتحنهما الله فصبرا ، وابتلاهما فما وهن لهما عزم ، وكفل لهما النجاة وصرف عنهما الضر، وان اخوة يوسف حسدوه على الرؤيا التى كانت بشرى من الله له. وألقوه فى غيابة الجب، فأرسل الله اليه من أدلى دلوه وصار الى من أكرمه وأحسن اليه واتخذه ولدا ، وفتنت به امرأة العزيز وراودته عن نفسها فأراه الله برهانه وكتب له العصمة من كل سوء ، وصار ملكا بعد أن كان حبيسا .

ويعقوب عليه السلام يبتلى فى ولده حتى تبيض عيناه من الحزن على ولده ، حتى أنفذ يوسف قميصه الى أبيه فألقى على وجهه وارتد بصيرا .

وأيوب عليه السلام يأكله السقم ، ويستشرى به الداء ، حتى تناقلت الدنيا خبره ، وشرقت وغربت محنته ، حتى انقشعت عنه المحنة بامر الله « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » .

ويونس عليه السلام تشيع قصته الغريبة فى كتاب الله ، متضمنة التقام الحوت له ، وتسبيحه فى بطنه ، وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع ، يقول الله فى كتابه « وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا فمتعناهم الى حين » .

ويقول : « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين .

أما قصة موسى بن عمران عليه السلام فقد سجلها الكتاب الحميد فى أكثر من موضع ، ومن ذلك قول الله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

انه لا شك أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم ، ويستحى نساءهم ، ولقد تفاقم ذلك حتى ألقت أم موسى بابنها فى البحر ، ولكن يد اللطيف الخبير امتدت اليه فى هذا اليم الواسع العميق الهائج فالتقطه آل فرعون لفرعون ، وقد ألقى الله فى قلوبهم من الرأفة به والحدب عليه ما ألقى ، حتى استحبوه ، وحرم عليه المراضع حتى ردوه الى أمه ، ان الله كشف عنها الشدة فى فراقه ، وكشف عنه الشدة فى براثن البحر العظيم .

وفى قصة ابن عمران عليه السلام جانب آخر ، يظهر منه كيف زوجه شعيب من ابنته بعد أن استأجره ثمانى حجج ، وأنه خرج بأهله من عند شعيب فرأى نارا فمضى ليقتبس منها ، فكلمه ربه وجعله نبيا ، وأرسله الى فرعون فسأله أن يرسل

معه أخاه هارون فشد الله به عضده وجعله نبيا معه ، فذلك هو الفرج الذى كفله الله لموسى عليه السلام ، لقد كان خائفا ، هاربا ، فقيرا ، أجر نفسه ثمانى حجج ، فجازاه الله بالنبوة والملك .

أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشرف الرسل ، وأقوى الخلق عزما ، وأكثرهم بلاء ، وأثبتهم جنانا ، فهو عجب كله ، ارتصدت له العداوات ، واجتمعت عليه السفاهات ، وأفتن الضالون المستكبرون عن الحق ، فى الشر الذى يوجهون سهامه اليه ، فما زاده ذلك الا ايمانا وتثبيتا ، وهيأ له الله أصحابه (الذين) عززوه ونصروه ، بل وافتدوه بأنفسهم وأموالهم ، وملكت عليهم العقيدة حواسهم فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، وكانت الغاية التى يتسابقون اليها أن يجودوا بأرواحهم فى سبيل الله .

لقد وجد النبى صلى الله عليه وسلم ما وجد من بغضاء القوم ومكائدهم ، اتهموه بالكذب ، وبالسحر ، وبالجنون ، وسلطوا عليه سفهاءهم ، ورموه بالحجارة والروث ، ثم صار شغل القوم أن يحبسوه أو يقتلوه ، وخرج من مكة ينشد وطنا آخر تنمو فيه دعوة الحق ، وهاجر معه أبو بكر ثم فريق من المؤمنين الصابرين فيما بعد ، وكان للأشداء المردة منهم اصرار على الخلاص منه صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك محاولة أبى جهل وشيبة وعتبة ابنى ربيعة وأبى سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل وعقبة بن أبى معيط .

لكن الله نجاه من كل سوء ، ورد عنه كل مكروه ، وعصمه من الناس ، حتى بلغ الأمانة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، واندك صرح الشرك ، وذل من كان متطاولا ، وأصبحت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ان منهج الأنبياء فى حياتهم أن يتذرعوا بالصبر، وأن يدوسوا الكيد والضلال ، واثقين أن الله ناصرهم ، فكل غمراتهم ذاهبة ، وكل شدة حلت بهم لابد أن الله كاشف سحبها .

وما دام خط الحياة أية حياة محفوفا بالمكاره ، فالنجاة فى عبوره بالصبر والجد والثقة بالله والتوكل عليه ، والمؤمن مصاب دائما ، فان صبر قوى نصف ايمانه ، وانى لأهدى لكل مكروب — وما أكثر المكروبين ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه ، فقد قال : عجبا لمكروب غفل عن خمس وقد عرف ما جعل لمن قالهن ، قوله : **((ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) .**

وقوله تعالى **((وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا))** وقوله تعالى : **((وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا لهونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين))** وقوله : **((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)) .**

وقوله تعالى : ((وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)) .

التكليف الإسلامى موافق لطبيعة الإنسان

الدكتور/ طه الدسوقى

ومن خصائص التشريع الاسلامى انه يوافق الطبيعة الانسانية ، ولا يجافيها، وهو يصطحبها فى جميع تفاصيل التشريع ـ بحيث لا يقع بينه وبينها تناقضا أو اختلافا .

غير أن هذه الموافقة للطبع الانسانى كلمة عامة تحتاج الى تبيان المراد منها والتعرف على مدلولها والقصد من ورائها .

ونحن اذا تأملنا طبيعة الانسان نجد ان هناك بعض الأفعال خارجة عن طاقته متأبية على قدرته فاذا كلف بأدائها ، فانه يكون قد كلف بشىء يكون مستحيل الأداء بالنسبة اليه ، وان كان هو ممكن الأداء فى ذاته .

وهناك أفعال أخرى تكون ممكنة الأداء بالنسبة الى عامة أفراد الانسان ، ولكنها قد تكون متأبية على الأداء بحكم ظرف طارىء أو عجز قاهر فى بعض أفراد الانسان لا يمثل قاعدة عامة وانما يمثل شذوذا فرديا ، فاذا كلفت به الانسانية فانها تطيق أداءها على الجملة ، ولكنها تتعثر حين تطرأ هذه الظروف على بعض الأفراد أو يقع العجز على من شاءت القدرة الالهية أن تسلب منه بعض مقوماته ، وهذه الظروف الطارئة تمثل استثناء فى القاعدة العامة كما قلنا ، ولكنه استثناء لو لم يأخذ فى الاعتبار لعرض القاعدة التشريعية الى شىء من الهزال والضعف أو شىء من النقص الذى يسلبها تمام الكمال .

ومن وجهة نظر ثالثة فاننا نجد بعض الأفعال يستطيع الانسان أن يأتيها اذا توفر له قدر كاف من العزيمة وقوة الارادة فى حين أن بعض أفراد الانسان لا يطيقون مثل هذا اللون من الأفعال ، وان كانوا يطيقون ما دونها من أضرب الفضيلة وخيار الأفعال، والمتأمل يجد أن هاتين الارادتين جميعا قد تلمستا الطريق الى الفضيلة ووضعتا الأقدام على درجها الصاعد من السفح الهابط الى القمة السامقة ، غير أن احدى الارادتين قد قطعت شوطا اختياريا بالقدر الذى لم تتمكن الأخرى من الملاحقة فيه .

ومن هنا فهل نستطيع أن نحكم على الارادتين بأنهما فاضلتان كلتاهما مع تفاوتهما فى درجات الفضل ؟ أم أننا نحكم على الصاعدة فى سلم الفضيلة القريبة من القمة انها هى الفاضلة ومادونها لا فضل لها ولا قيمة فى معيار الخير والفضيلة ؟ .

تلك هى المشاكل الثلاث التى يمكن لنا أن نتصورها حين نتصدى لمشكلة التوافق بين الطبع الانسانى والقانون أو التشريع ، فاذا نجح التشريع (أى تشريع) أن يحدث نوعا من الوفاق بين الطبيعة الانسانية ومواد التشريع بحيث يستشعر الانسان الذى شرع له بأنه قد أشرب حب هذا التشريع ، وأن التشريع قد خالط لحمه وعظمه ، فان ذلك يكون منتهى أمل المشرع ، ذلك لأنه يكون قد حل مشكلة التناقض المفتعل بين المشرع باعتباره سلطة يحرص على سلطانه ودوام هذا السلطان وبين المشرع له بوصفه مأمورومقهور وخاضع لأوامر المشرع، وتلك مشكلة يستشعرها المشرع اذا كان المشرع انسانا ، ولكنها قد تذوب وتختفى اذا كان التشريع له صلة وثيقة بالسماء

ونحن نريد الآن بتوفيق الله أن نعرض عليك هذه المظاهر الثلاثة للطبيعة الانسانية مع الالزام بالتكليف وكيفية تحليلها من وجهة نظر المشرع الاسلامى دون الأخذ فى الاعتبار وجهات النظر الأخرى لوضوحها فى التقصير المحسوس عن ايجاد هذا التوافق بين ما تراه من قوانين ومبادىء الالزام وما يستشعر الانسان من نفسه من فطرة وطبيعة .

(أ) التشريع لا يكلف بمستحيل :

ان التشريع الاسلامى لا يتأتى له أن يكلف بأمر هو مستحيل بالنسبة الى طبيعة أفرادالانسان وقدرهم لأن التكليف بأمر لا يستطيعه الانسان ليس أمرا تأباه الفطر السليمة فقط ولكنه أمر يرفضه المشرع الاسلامى أيضا .

فاذا كان الطبع لا يتحمل أن يطيق تكاليف الانسان بغير أجنحة أن يطير فى الهواء بلا وسائط أو أن يحبس أنفاسه الساعات الطوال حتى الموت بغير استمتاع بالهواء ، فان الاسلام كذلك لم يرد عنه انه قد كلف الانسان بما يقارب هذه التكاليف المستحيلة النفاذ من الناحية العملية ، ولم يدع التشريع الاسلامى لنا أن نجتهد لاستنباط هذه القاعدة ، ولكنه صرح تصريحا واضحا بما يشرحها ويؤكدها . قال تعالى فى محكم التنزيل : « لايكلف الله نفسا الا ما آتاها » الطلاق ٧ « لاتكلف نفسا الا وسعها » الأنعام ٥٢ « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » البقرة ٢٨٦ .

وليس من قبيل الوسع والطاقة أن يكلف الانسان بفعل هو فوق طاقته وارادته بمعنى أن الأفعال اللاارادية لاتدخل ضمن مسئولية الانسان ولا تنحصر فى المنطقة التى يترتب عليها الثواب والعقاب ، وتلك نتيجة هامة يجب أن تأخذ فى الاعتبار ، غير أن هذه النتيجة نفسها قد يقلقها ويزعجها أن هناك فى التنزيل أيضا آيات تفيد أننا مكلفون بخلجات النفس ووساوس الصدور قال تعالى : **« وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير » البقرة ٢٨٤ .**

ولقد استشعر الصحابة أنفسهم هذه الصعوبة فى التكليف على نحو ما تطلبه هذه الآية الكريمة ، وانزعجوا لذلك انزعاجا شديدا على نحو ما حدثنا عنه أبو هريرة فى حديث مطول (مسلم كتاب الايمان) وقد روى ابن عباس هذه الحادثة نفسها بأسلوب مختصر قال : لما نزلت هذه الآية **« وان تبدوا ما فى أانفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » قال دخل قلوبهم منها شىء لم يدخل قلوبهم من شىء، فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا قال ، فألقى الله الايمان فى قلوبهم فأنزل الله تعالى لا يلكف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ماكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال : قد فعلت ، ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال : قد فعلت ، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا قال : قد فعلت) . (مسلم كتاب الايمان) .**

وتصرح رواية أبى هريرة بأن الآية الثانية **« لا يكلف الله نفسا الا وسعها »** تعتبر ناسخة للتى قبلها بحيث تبقى القاعدة على أصلها ، وهى أن التكليف لا يكون الا بأمر مستطاع فعلا .

ولو أننا تأملنا التشريع فى جملته وتفصيله فاننا لن نجد فيه مسألة واحدة تكلف الانسان فيها أكثر من طاقته الى الحد الذى يضاد القاعدة العامة ويقف معها على طرف النقيض ، فالقران والتشريع الاسلامى على العموم لا يكلفنا بالوساوس ولا بخلجات النفس ، ولا يحاسبنا على نتائج عمل قلبى لا ارادى فيما عدا أن يكون هذا العمل القلبى نتيجة أو سببا لفعل ارادى نحن نستطيع أن نتحكم فيه أو نتغلب عليه .

وطبقا لهذا التحليل فنحن مأمورون بحب الله تعالى ، وحب الله عمل قلبى لا ارادى ، ولكن الوسائل التى تؤدى اليه ، ويصبح هو نتيجة لها مملوكة لنا من الناحية الارادية ، فنحن نملك أن نتأمل فى نعم الله علينا ، ونحن نملك أن نحلل

أسباب وجودنا وأسباب استمرار هذا الوجود باعتبار أن لهذه وتلك ارتباطا سببيا بالله خالقها ومدبرها ، وهذا ما يشير اليه الحديث النبوى الشريف **(أحبو الله بما يغذوكم به الله من نعمة)** (الترمذى ـ السيوطى فى جامع الصغير) .. وهكذا يتضح أن عاطفة الحب وهى عمل قلبى لا ارادى انما تتكون من مجموعة انفعالات يوجه اليها مثيرات متعددة هى التفكر فى نعمة الله التى لا تحصى .

وحين يأمرنا النبى عليه الصلاة والسلام أن نمسك عن انفعال الغضب فاننا ربما نتوهم أننا مكلفون بالامساك عن الغضب وهو انفعال نفسى وفيزيقى معا فى جسم الانسان وروحه على نحو يشبه أن يكون ميكانيكيا بحتا ، ولقد أجمع شراح الحديث على أننا غير مكلفين بمقاومة الغضب كانفعال طبيعى وانما نحن مكلفون بمقومات مثيرات الغضب وعدم التجاوب معها وهى أمور ارادية واختيارية ، واذا فاتنا مقاومة المثيرات ووقع الانفعال فعلا فعلينا أن نشغل المركز العصبى بشىء آخر حتى لا يتوجه الى الجسم باشارات تجل فيه نظام الحركة كأن نغير وصفنا الى وضع آخر أو ننصرف الى الوضوء أو نفزع الى الصلاة ، وهذه الأخيرة اشغال للمركز العصبى وتوجيه للنفس نحو الأسمى وشغل الجسم بحركات وأعمال وهى أمور فى مجموعها تذهب اثر الانفعال الذى هو فى الحقيقة فعل غير ارادى يتوسط فعلين كلاهما يعد من قبيل الأفعال الارادية .

واذا تأملنا القرآن الكريم والسنة النبوية لوجدنا فيهما هذه اللفتة الكريمة الى فن مقاومة العواطف والانفعالات ففى نحو انفعال الغضب يقول تعالى : **« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون »** .

ومن أحاديث النبى ما رواه البخارى فى كتاب الأدب (عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال : لا تغضب فردد مرارا قال : لا تغضب) . وهذا أمر عام يبينه ماروى عن النبى فى أكثر من موضع متصل بباب الغضب والنهى عنه روى ابو هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) . وعن سليمان بن صرد قال : (استب رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقالوا ألا تسمع ما يقول النبى صلى الله عليه وسلم؟قال انى لست بمجنون) (كلاهما فى البخارى)، ولقد أوصانا النبى « فاذا غضب أحدكم فليتوضأ» (أبو داود ـ كتاب الأدب باب/٣) و « اذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد ، فان ذهب عنه الغضب، والا فليضطجع » (نفس المرجع) .

ولو أننا تأملنا الأوامر أو النواهى التى تتصل بالعواطف والانفعالات لوجدناها جميعا تركز على أمور وأفعال تتقدم العاطفة تقدم السبب على المسبب أو تصاحبها أو تتأخر عنها كنتيجة أو أثر لها ، وكل هذا انما يقصد الاسلام من ورائه أن يحتوى أثر ومسببات الأعمال القلبية باقرارها والدفع اليها ان كانت فاضلة ، وبمجاهدتها والنهى عنها ان كانت رذيلة من الرذائل .

وهذا كله وغيره مما يشابهه يؤكد من غير تهيب أن الاسلام حين يكلف أو يشرع انما يكلف أو يشرع بأمور تتصل بارادة الانسان وتقع فى نطاق قدرته .

وهذه الخاصية فى التشريع الاسلامى يؤكدها الفحص العملى والواقع الميدانى لتطبيق الشريعة نفسها ، وهذا هو أسلم الطرق للبحث عن خاصية أو ميزة التشريع الاسلامى وتفوقه على غيره .

أما علماء العقائد فقد اتجهوا بالمسألة وجهة أخرى حولتهم عن طريق الجادة الى أسلوب الجدل ذلك أنهم قد طرحوا المسألة على هذا النحو : هل يجوز للمشرع فى الاسلام أن يكلف الانسان بما لا يطيقه الانسان أم أنه يجب عليه أن يراعى طبيعة الانسان فلا يكلفه بأمر مستحيل النفاذ عمليا من ناحيته ؟ .

ونحن نرى أن طرح المسألة على هذا النحو يعد انتقالا مباشرا من بحث الموضوع بحثا موضوعيا الى الجدل الميتافيزيقى ، ومنذ أن طرح السؤال على هذا النحو والى فترات طويلة تالية قد شهدت الساحة الاسلامية وسوف نشهد خلافا مستعرا بين علماء أصول الدين الاسلامى ، ولسوف نحاول أن نعرض نماذج من الاجابات الخاصة بهذا التساؤل والتى تنتسب الى كبريات المدارس الاسلامية .

يرى المعتزلة ان الله سبحانه وتعالى يستحيل

عليه استحالة مطلقة أن يكلف الانسان بما هو مستحيل بالنسبة اليه ، اذ أن التكليف بذلك المستحيل فضلا عن أنه ضرب واضح من ضروب العبث فانه لا يليق بالعناية الالهية أن تفعل مثله.

ولقد حاول المعتزلة من منطلق عقلى أن يدافعوا عن وجهة نظرهم هذه باعتبار أنها مسألة حساسة فى المذهب الاعتزالى كله لا تتصل بالتشريع والتكليف وحده وانما تتصل بكل مناحى الحياة واحتياجات الانسان بالمعنى الواسع لهذه الكلمة بحيث تشمل رعاية الصلاح والأصلح من الله للعباد واستحالة صدور القبح عنه ووجوب اثابة المطيع وتعذيب العاص الى آخره .

وهذا الخط الاعتزالى العام قد أحدث رد فعل بعيد الأثر عند مدرسة كلامية من كبريات المدارس فى الاسلام وهى مدرسة الأشاعرة الذين رأوا أن الله له السيطرة الكاملة على الكون كله بما فى ذلك الثقلين وهو يتصرف بحكم هذه السيطرة فى الكون تصرفا مطلقا ، ومن هنا فانه يكون من حق الارادة الالهية أن تكلف الانسان مثلا بشىء هو من قبيل المستحيلات فى الواقع العملى .

وهاتان المدرستان المتقابلتان قد تطرفت احداهما فى الجانب العقلى ، والأخرى قد بالغت فى التطرف فى فهم النصوص الخاصة بالتشريع .

ولقد رأينا قبل قليل أن حسم هذا الخلاف لا يتأتى عمليا الا بطرح المسألة طرحا صحيحا كما طرحناها فى صدر معالجتنا لهذه الجزئية ، ولو أننا تأملناها على نحو ما طرحناها سلفا ثم تتبعنا جزئيات الشرع الحكيم لم نجد مسألة واحدة قد كلفنا الله فيها بما هو فوق طاقتنا .

ويحاول الأشاعرة أن يتلمسوا فى القرآن الكريم مسألة تؤيد وجهة نظرهم ، واعتقدوا أنهم قد توصلوا الى ما يريدون حين رأوا أن القرآن قد حكم على بعض الناس بالكفر المؤبد والعذاب المقيم ، كما حدث بالنسبة لأبى لهب ان الله قد حكم عليه بالهلاك فى الآخرة باعتبار أن هذا الهلاك هو الجزاء الطبيعى الذى يناله عقوبة له على كفره وعناده ، على أن أبا لهب هذا من جهة أخرى يعتبر داخل فى التكليف بالايمان ومتابعة النبى ، وهم يقولون أن أبا لهب يستحيل أن يؤمن برغم أن الله قد أمره بالايمان ضمن الأمر العام لأنه لو آمن لخالف العلم الالهى بأنه لن يؤمن ، وبذلك يكون الله قد كلفه بالمستحيل ، وقل مثل هذا فى الكافرين الذين علم الله عدم ايمانهم ثم كلفهم بالايمان .

ويلحظ بعض الكتاب فى حديث الأشاعرة هذا شيئا من التطرف المذهبى غير قليل كما أن فى هذا الاستدلال مغالطة منهجية لا تخفى ، ذلك أننا نعلم — وحتى على مذهب الأشعرية أنفسهم — أن صفة العلم ليست صفة تأثير ، وانما هى صفة انكشاف وفقط ، ومن هنا فانه لا يترتب عليها تأثير عملى فى أحداث الكون أو تتابع الوجود ، ولو كان الأمر كذلك الذى يدعيه الأشاعرة لوقعنا فى خلط منطقى لا مبرر له ، فنحن نعلم أن الأشياء تنقسم عقليا الى الواجب والممكن (الجائز) المستحيل ، فلو قلنا ان كل ما علم الله عدم وجوده يكون مستحيل الوجود فانه يكون بالقياس على ذلك أن كل ما علم الله وجوده فى المستقبل يكون واجب الوجود ، ومن حقنا هنا أن نسأل عما عسى أن يكون قد بقى للقسم الثالث الذى هو الجائز ، واذا لم يبق للجائز شىء من حظ فى هذا الواقع العملى فما هو متعلق الارادة والقدرة اذا ؟ انها معضلات ومشاكل يمكن اثارتها أمام مذهب الأشاعرة بحيث يصعب عليهم اجتيازها ، الأمر الذى دفع بالقاضى عبد الرحمن الايجى الى التعليق على نحو هذا الاستدلال بقوله : (...وبه يعلم أن كثيرا من أدلة أصحابنا مثل ماقالوه فى ايمان أبى لهب نصب للدليل فى غير محل النزاع) .

ولقد حاول الايجى أن يقترب من الواقعية شيئا من الاقتراب وهو يحلل مسألة التكليف بالمحال ، فهو يقسم هذا الذى يتراءى لنا على أنه محال الى أقسام ثلاثة : أولها : الأشياء التى علم الله عدم وجودها كايمان أبى لهب وغيره ، وهذا القسم لا يبدو أنه من قبيل المحالات عمليا على نحو ما بينا سلفا ، وأن التكليف بمثل هذه الأشياء التى تعد من قبيل المحالات أمر لا يقتصر على ايمان أبى لهب ، وانما ينطبق كذلك على تكليف العاصى بالاقلاع عن المعصية والتزام الطاعة مع أنه ينكشف للعلم الالهى أن بعض العصاة لن يقلعوا عن عصيانهم .

وثانى هذه الأقسام : المستحيلات بحسب مفهومها كأن يكلفنا الله بالجمع بين الضدين أو قلب الأجناس أو نحو ذلك ، وهذا أمر اختلف الناس فى كيفية تصوره وعلى الجملة فان من يقر التكليف به يكون قد خالف عقله وفكره ، وهناك نوع ثالث من الأفعال التى قد يقال عنها بأنها مستحيلة كأن يكلف الانسان بفعل هو ممكن فى ذاته ، ولكنه فوق طاقة الانسان كأن يكلف بالطيران فى الهواء أو حمل أثقال لا تتحملها طاقة

الانسان ، ولا يطيقها أو ، لا يقوى عليها . وهذا اللون برغم أنه من الناحية العقلية ليس بمستحيل ولكنه من الناحية الاجرائية كما يرى الايجى لا وجود له فى الشريعة الاسلامية .

وهذا التحليل الموضوعى الذى اختار الايجى أن يسير عليه منهجيا لا يفيدنا فى هذه المسألة الا فائدة ضئيلة فى كسر حدة الخلاف المذهبى ، والذى ينبغى أن يرفع عن علماء الأمة الاسلامية وعامتهم رفعا تاما ، ولا يتأتى له أن يرفع إلا باعادة طرح المسألة على نحو جديد .

(ب) التشريع والموقف :

فى الفقرات السالفة الذكر اتضح لنا بجلاء أن الشريعة الاسلامية قد أزاحت من طريق الانسان التكليف بأمر هو من قبيل المستحيلات على الأداء الفعلى للانسان .

ويبدو أن هذه الخاصية لابد وأن تكون ميزة كل تكليف سماوى أو فكر انسانى يتصل بالانسانية ويكون ناتجا عن عقل رشيد ومفكر يتحمل مسئولية فكره .

غير أن التشريع الاسلامى هنا — وفى هذا الموضوع الذى نتصدى له الآن — يعلن عن ارادة قوية ترغب فى ازالة كل عقبة تشريعية من طريق الانسان ، ولكن العقبة هذه المرة لا تتصل بأمر مستحيل الأداء بالنسبة للانسان ، ولكنها تتصل بأمور هى فى طاقة القدرة الانسانية الا أن الانسان يتحمل فى سبيل أدائها شيئا من الجهد ونوعا من الارهاق ، وهى أمور يرغب المشرع الاسلامى أن لا تكون سمة التشريع وظاهرة أساسية فى التكليف بأداء الأمور العملية .

ونحن نستطيع أن نتأمل بعض نصوص القرآن الكريم لنجد فيها لفتة قوية الى ازالة هذه العقبات عن طريق التكاليف بأمور الشريعة « يريد الله بكم اليسر ، ولايريد بكم العسر » البقرة ١٨٥ « وماجعل عليكم فى الدين من حرج » الحج ٧٨ « يريد الله أن يخفف عنكم » النساء ٢٨ ، « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الأنبياء ١٠٧ .

وهذه الآيات ومثيلاتها تعلن عن بداية تشريع

التكاليف الاسلامى موافق لطبيعة الانسان

جديد ربما تغيب سماته فى التشريعات الأخرى التى عدلت من طبيعتها فى بعض المواقف لترضع نشوزا طرأ على مواقف المكلفين ، كما حدث من الاجراءات الطارئة على الخط العام للرسالات السماوية حين كانت الرسالة موجهة الى بنى اسرائيل ، وهذه الاجراءات الطارئة حملت الاسرائيليين من الجهد ما يرهقهم ومن التكليف ما يتعذر عليهم « ذلك جزيناهم ببغيهم » .

ولقد لفتنا القرآن الكريم الى أن نعنى بالاستعاذة من هذا الموقف الشديد « **ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به » البقرة ٢٨٦ .**

وفى التشريع الاسلامى مراعاة شديده للموقف بحيث يتأتى أن يكون له اعتبار شديد فى القاعدة التشريعية نفسها سواء فى الصعود بها أو فى التنازل عن بعض مستلزماتها .

ففى آداء العبادات مثلا نجد التشريع الاسلامى يتلاءم مع طبيعة الانسان غاية التلاؤم، فهو يطالبه بأداء ما كلف به دون أن يكلفه أن يشتط فى هذا الأداء الى درجة التحمل مع المشقة الشديدة .

فاذا كان الانسان المكلف قد زود بنفسية قوية يتحمل أكثر مما يتحمل غيره من الناس بحيث يكون هو شاذ فى هذا المجال ، فانه يكون له فى الشريعة ما ليس لغيره ، وهذه النفسية الشاذة فى الكمال التى قد توفر لها من الاستعداد مالم يتوفر لغيرها منحصرة تمام الانحصار فى شخص النبى محمد نفسه ، ولذا كان هو المخاطب بقوله تعالى : **« قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ، ورتل القرآن ترتيلا » المزمل ٢ — ٤ ، وهذا التكليف الذى اختص به النبى قد رأى بعض الصحابة أن يقلدوه فيه الا أنهم فى حقيقة الأمر ربما لا يطبقونه لأنهم ليس لهم من المؤهلات ماله ، ولا من قوة النفس مثل ماللنبى منها ، ولذا يوجههم القرآن الى شىء أيسر عليهم فى الأداء فيقول : « فاقرءوا ما تيسر منه » المزمل ٢٠ .**

وأنت ترى من مقارنة هذين الموقفين أن التكليف فى الشريعة الاسلامية انما يراعى تماما الموقف التكليفى بكل ظروفه ، ذلك أن الشرع فى الاسلام لا يريد أن يكون التكليف مظهرا لعلاقة بين حاكم ومحكوم أو بين متسلط بالقهر والغلبة وخاضع بالذلل والاستكانة ، وانما المشرع يقصد الى تكليف

يتعشقه المكلف ويتودد الى المشرع بحب لا بنفاق وتزلف .

رغب بعض الصحابة أن يتابع النبى فيما اختص به من التكاليف بالتهجد فاشتدوا على أنفسهم فكرة النبى منهم ذلك حيث روى أنس بن مالك عنه قال (دخل النبى صلى الله عليه وسلم فاذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل قالوا : هذا حبل لزينب فاذا فترت تعلقت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا . حلوه ليصل أحدكم نشاطه فاذا فتر فليقعد) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان عندى امرأة من بنى أسد فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذه قلت فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها فقال : مه عليكم ماتطيقون من الأعمال فان الله لا يمل حتى تملوا) (كلاهما فى البخارى ـ باب التهجد) .

وهذه الميزة فى الاسلام ربما يستثمرها بعض ضعفاء النفوس استثمارا خاطئا فيقصر فى التشريع، ويتهاون فى بعض الأداء أو يحول العبادة الى شىء آلى ميكانيكى ، وتلك هى خطيئة فى حق التشريع الاسلامى وفهمه يترتب عليها من الضرر مالايترتب على المقابل لها من التشدد فى أمر الدين والزام المرء لنفسه مالا يلزم منه ، ومن هنا فان من يشتد على نفسه فى الدين لا يترتب على تشدده من ضرر الا خشية الانقطاع والفتور ، أما الكسالى فانهم ليس لهم من أعمالهم شيئا اذ أنه من المقرر فى الاسلام أن المكلف ليس له من تكليفه الا ما عقل منه .

والنقطة الهامة التى تجمع بين الطرفين المتقابلين هى أن الانسان يجب أن يؤدى التكليف وهو فى حالة تجاوب تام وانسجام مطلق بين القلب والجوارح ، وهذا ما يرمى اليه حديث رسول الله (ولا تبغض الى نفسك عبادة الله) (مسند أحمد ـ مسند أنس) .

ونحن نريد الآن أن نتحول الى جانب آخر يتضح فيه تجاوب التشريع مع الموقف على نحو تام .

ان تاريخ الأديان يكشف لنا عن قاعدة مقررة، هذه القاعدة تفيد ان الدين فى أول أمره وبداية عهده يتبعه عدد قليل من الناس يتحملون تبعة عظيمة فى حمل لواء الصراع القائم بينما هو مقرر ثابت من العقائد والتقاليد الاجتماعية الفاسدة وما هو مأمول منشود من المثاليات التى ترقى بالانسان نحو طريق الرقى والكمال .

والجيل الأول الذى سيتحمل هذه التبعة يملك من كمال الهمة ورصيد العاطفة وقوة التعقل مالا يملكه العديد من أبناء الجيل التالى ، فاذا انتشر الدين وكثر أتباعه ضعفت العاطفة شيئا من الضعف وحل كثرة العدد محل قوة الاندفاع الفردى ، وتغير الحال واختلف الموقف .

وفى ضوء هذه القاعدة المقررة فى تاريخ الأديان سوف نجد صدى قويا لها اذا تأملنا التكليف الاسلامى مقارنين بين المواقف المختلفة فيه ، فحينما فرض الجهاد على المسلمين وأصبح أمرا تكليفيا واقعا كان المؤمن فى أول صدر الاسلام مكلفا بقتال المشركين مادامت النسبة العددية لم تتعد واحد الى عشرة ، أى أن المؤمن فى صدر الاسلام الأول مكلف بالثبات فى الميدان حتى ولو كان فى مواجهة كل فرد من المسلمين عشرة أفراد من المشركين « **يأيها النبى حرض المؤمنين على** القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، **وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » الأنفال ٦٥ ، وهذا التكليف على هذا النحو منسجم غاية الانسجام مع قوة الارادة عند المؤمنين والصبر على تحمل الأداء مع قلة العدد فى أول صدر الاسلام .**

غير أن هذا الموقف يطرأ عليه بعض التغيير حين يكثر عدد المنتسبين الى الاسلام ومازال الوحى ينزل ، وهذا التغير فى الموقف منشؤه هو أن الارادة العامة المركزة فى عدد من الأفراد القلائل قد توزعت على عدد أكبر من الأفراد فتغير التكليف طبقا لتغير الموقف ذلك أن كثرة العدد تحدث جوا من الاسترضاء النفسى الملحوظ بين المتحمسين للمبدأ غير أنه ينبغى أن نلاحظ هنا أن هذا الاسترخاء النفسى له حد أدنى ينبغى أن يقف عنده بشرط ان يكون الحد الأدنى نفسه يحتفظ للفرد المسلم بميزة التفوق على فردين على الأقل من غير المسلمين « **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » الأنفال ٦٦ .**

وهذا التغيير فى الوقف على نحو ما رأينا مربوط بسبب واضح هو شيوع الفتور النسبى مع كثرة العدد ، وشيوع الفتور على هذا النحو أمر طبيعى لا دخل لارادة الانسان فيه ، ومادام كذلك فان الثبات على الموقف التكليفى الأول يعد من قبيل تكليف الانسان بما لا يستطيعه .

ولعله من الواضح عند تأمل الشريعة الاسلامية

أن أى تغيير غير ارادى يطرأ على أى فرد من الأفراد يؤثر فى مستواه الأدائى وقدرته على الممارسة فانه يبيح له الاستمتاع بحق التخفيف المشار اليه ويجد له مجالا رحبا فى الشريعة للاستمتاع بالرخصة « **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** » النور ٦١ والفتح ١٧

وهناك بعض الأفراد فى الاسلام لا يطيقون الصوم ولا يرجى منهم فى المستقبل أن يطيقوه فهؤلاء يسقط التكليف بالفرض مع استبداله بما يتمكنون من أدائه وهو اطعام المساكين ، أما اذا كان يمكن أن يصوم فى المستقبل فان الرخصة بالنسبة اليه « فعدة من أيام أخر » ، وقد يكون التيسير باسقاط بعض التكاليف كما للمسافر فى الصلاة من جواز القصر والجمع ، وقد يكون التيسير بالابدال بعملية رمزية فقط ، فالذى يتعذر عليه استعمال الماء يمكن له أن يستبدله بالتيمم وهو عملية رمزية فى الوجه واليدين .

وهكذا يتضح لنا أن أى عقبة طبيعة تقف أمام تنفيذ التشريع وتحول بين المكلف وأداء ما ألزم به فانها تجد لها حالة استثنائية من القاعدة العامة للتعامل معها .

ولكن ماذا يكون الموقف التشريعى اذا كانت العقبة المعوقة هى من صنع الانسان المكلف نفسه كأن يتدخل فى حركة الجسم الميكانيكية من غير مبرر سوى الهوى فيحدث فيها تأثيرا يعوق تنفيذ بعض الشرائع أيتركه الشرع الحكيم باعتبار أنه هو المتسبب ليتحمل مسئوليته ونتيجة فعله ؟ .

ربما يكون هذا معقولا غير أن المشرع الحكيم لم يتعامل معه بهذه الجفوة ، ولم يقف منه موقفا سلبيا ، ولكنه اذا وجد منه صدق النية فانه سوف يجد من المشرع ما يساعده على تخطى العقبة التى صنعها هو بيده وبارادته حتى صارت بالنسبة اليه كطبيعة ثانية .

والمثال الجزئى الواضح هو فى طريقة تعامل الاسلام مع الخمرة ومدمنيها .

لقد دأب العرب فى الجاهلية على شرب الخمر حتى كانت موادها جزء لا يتجزأ من مطالب الجسم الأساسية التى تعود عليها ولا يستطيع الحركة العادية بدونها ، ولكثرة المتعاطين للخمر فى المجتمع الجاهلى أصبحت صناعته والاتجار فيه يشكلان جزءا هاما وأساسا قويا من أسس الاقتصاد فى مكة ، فلما أراد المشرع أن يلغى الخمرة من المجتمع الاسلامى تدرج فى هذا الالغاء لكى يساعد الجسم الذى تعود عليها أن يتدرج فى التخلص منها ويساعد الاقتصاد المكى على أن يتهيأ لاستبدال أساس هام من أسسه التى يعتمد عليها ، ولذا جاء تحريم الخمر على مراحل أربع تترقى فى الابانة عن القصد الحكيم وراء التحريم، فكان أول هذه الآيات : « **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا** » النحل ٧٦ لفتا خفيفا الى هذه الآفة ، وفى الآية الثانية مقارنة بين مافى الخمر من نفع اقتصادى وضرر يتصل بالاجسام والأرواح : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما** » البقرة ٢١٩ وعلى أساس من هذه المقارنة تهيأ المسلمون الى نزول حكم يحرم الخمر تحريما قاطعا ولكن المشرع لم يعط فى الخمر حكما على نحو ماكانوا يترقبون وانما حرمها تحريما جزئيا « **لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » المائدة ٤٣ وبتحليل هذا التصريح الذى يحرم الخمر تحريما جزئيا نجد أن هذا الحذر يستغرق النهار كله وجزءا كبيرا من الليل وهو قد أتى بعد تهيىء اقتصادى وتدريب عملى للجسم البشرى على أن يتعود هذه المرحلة ، ولم يعد الا أن يبين الله فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية الأخيرة « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » **المائدة ٩٠ .**

وهذه الطريقة المنهجية التى اختطها القرآن ليعالج بها عقبة كان الانسان سببا فى ايجادها وخلقها هو منهج مفهوم عند علماء الاقتصاد والطب جميعا وغيرهم من علماء التربية والاجتماع، ان عالم الطب حين يتعامل مع الأطفال الرضع يحاول أن يتكيف مع جهازهم الهضمى بالتدريج فلا يلقى اليه من الأطعمة الا بمقدار ما يطيق جهازهم الهضمى أن يتعامل معه ، وهكذا تفعل الأمهات الماهرات مع أطفالهن .

وهذه الطريقة المنهجية لم تكن خاصية هذا المثل الجزئى فحسب ، ولكنها كانت سمة التشريع الاسلامى كله فحين نزل القرآن على النبى لم ينزل عليه جملة وانما نزل عليه منجما يعالج قضية فى المجتمع فاذا ما استقرت نزلت الآيات لتعالج قضية أخرى، وهذه المعالجة الجزئية تهيىء النفس البشرية بعد كل مرحلة لتلقى المرحلة التالية وهى تكتسب فى كل مرة من القوة مايجعلها أكثر استعدادا وحماسة لتلقى أوامر الشرع الحكيم .

غير أن هذه الطريقة المنهجية قد عابت على فهم جهلاء المجتمع المكى فقالوا : « **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** » فأجابهم القرآن ببعض الحكم من وراء التنجيم « **كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا** » **الفرقان ٣٢** « **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث** » الاسراء ١٠٦

ومما سبق يتضح لنا أن التكليف فى الاسلام ليس تكليفا جامدا على موقف وانما هو قد ربط الالزام بكل موقف .

(د) التدرج فى سلم الفضيلة :

من المناقشة السالفة الذكر اتضح أن الالزام فى الشرع الاسلامى يتسم بسمتين أساسيتين حيث أنه أولا لم يكلف الأفراد بأمر مستحيل الأداء وهو ثانيا لم يثبت على موقف جامد بحيث تكون لقضاياه ضحايا قد غفل عنهم وضحى بهم فى سبيل القاعدة ذلك أن المشرع فى الاسلام لا يقر بمبدأ ضحايا القانون وانما هو يوجد لهم استثناء فى القاعدة يتلاءم مع مواقفهم وظروفهم الطارئة .

واستكمالا للتوافق مع الطبع الانسانى نجد أن المشرع فى الاسلام لا يضع قواعد صارمة للواجب الا اذا كان الواجب نفسه لا يحتمل غير هذه الصرامة ، فهناك أمور اذا تأملناها لا نجد لها الا وجها واحدا للفضيلة لا تقبل التدرج أو التساهل بحيث يكون التراجع عنه يعتبر من قبيل الاثم والرذيلة .

غير أن بعض الفضائل تحتمل التدرج بحيث يكون لها حد أدنى يعتبر هو الفضيلة التى يجب أن تتحقق وما عداها من الفضائل فهو فضل وترقى يحض عليه الرغبة فى الثواب والتطلع الى المكانة العالية .

ونريد أن نوضح الموقف هنا بمثال من الأمثلة **العديدة التى يحتويها القرآن الكريم ، ان الانسان اذا ما اعتدى عليه وهو قادر على الانتقام فان أقل درجات الفضيلة التى يمكن للمعتدى عليه** أن يفعلها هو أن يرد الاعتداء عن نفسه ، ولما كان رد الاعتداء هو أدنى درجات الفضائل كان مشروطا بشروط الحيطة والحذر ، اذ ان ماتحته مباشرة يعد رذيلة يجب الاحتراز عنها « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » **البقرة ١٩٤ .**

وهذا الحد الأدنى للفضائل يعلوه مراحل ثلاث يكون الصعود اليها بالاختيار « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » **آل عمران ١٣٤ .**

وعلى نمط هذا المثال تجد أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم قال تعالى : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » ، « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ، « وأن تصوموا خير لكم » .

وامهال المدين عندما يكون عاجزا عن الوفاء ــ واجب ، ولكن اعفاءه نهائيا من دينه بادرة جديدة بالثناء . « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم » .

والدفاع عن النفس ضد الظلم حق ، ولكن التحمل والمغفرة أجمل . « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » وأداء الفرائض خير ، ولكن « ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » .

وأنت حين تتأمل الفضيلة فى جانبها الايجابى لا تجد الواجب يتمثل لك فى صورة صارمة لا مرونة فيها ولا تجاوب مع المواقف المختلفة ، وانما تجدها على نحو ما رأينا تضع حدا أدنى يشترك فيه جميع الناس وتطيقه جميع الطباع ولكنه يترك الباب مفتوحا أمام المتطلعين الذين يغريهم الثواب ويدفعهم التطلع نحو المثل الأعلى .

ولو أننا تأملنا الفضيلة فى جانبها السلبى فاننا نجد هذا التدرج موجودا أيضا ، اذ ان الحرام فى الاسلام ليس على درجة واحدة فى صالات الاثم وتحمل نتائج المخالفات ، وانما سوف نجد الكبائر تتربع القمة من الرذيلة ، ونجد أقل منها الفواحش أو اللمم وهى صغار المخالفات أو الرذيلة ، فى أدنى درجاتها قربا من الفضيلة .

وبين هاتين القائمتين المتوازيتين للفضيلة (أعنى الفضيلة فى جانبها الايجابى والفضيلة فى جانبها السلبى) نجد قائمة ثالثة لنوع آخر هو نقطة الالتقاء بين هاتين القائمتين المتدرجتين ، وهذه القائمة تشتمل على المباح أو المعفو عنه ، والمباح والمعفو عنه هما فى الحقيقة نقطتان تلتقى عندهما الفضيلة فى جانبها الايجابى والسلبى ولولاهما لظلت الفضيلة بهذين الاعتبارين تسير فى خطين متوازيين لا يتم الالتقاء بينهما على نحو من الأنحاء .

وعند هذه النقطة من التحليل فانه بالامكان أن نقول شىء من الثقة ان أى عقل مهما أوتى من عمق التفكير لا يستطيع أن يضيف الى هذه القوائم الثلاث ما يعطى التشريع مزيدا من القيمة أو ينتقص

منه شيئا من غير أن يحدث خللا فى ميزان الفضيلة والرذيلة .

وبعد أن تعرفنا على هذه الدرجات الثلاث التى تعبر عن قوائم مختلفة للأخلاق فى جميع نواحيها، من حقنا أن نتوقف هنا لتأمل قائمة المباح والعفو عنه حتى نتأملهما لنتفادى ما عسى أن يوقعنا فيه من لبس فى الفهم أو زيف فى الحكم .

فالمباح هنا والذى نقصد اليه هو أمر لا تتعلق به الأخلاق . وليس هو فى مجال عملها لا بالسلب ولا بالايجاب ، فالانسان حين يختار نوعا من الأطعمة التى لا تضر بجسمه ولا روحه ويختارها لتوافق هواه ومزاجه فان هذا الاختيار منه لايحكم عليه بأنه فاضل أو غير فاضل ، وهو حين يختار مضجعه فى هذا المكان أو ذاك داخل بيته لا يقال ان فعله هذا يعد فضيلة مرموقة أو رذيلة مستهجنة، وهو حين يختار لون ثيابه أو نوع النسيج الذى يلبس منه فى دائرة ما شرع الله له لا يقال عنه أنه فاضل من أجل هذا الفعل أو أنه غير فاضل ، والأمثلة متعددة ومتنوعة فى هذا المجال وكلها تؤكد أن كل فعل لا يقع فى مجال الفضيلة أو الرذيلة يعد من قبيل المباح .

ولكن النقطة المحيرة هنا انما تتعلق أساسا بالمعفو عنه وحول الضابط الذى سيحكم أفعال هذا النوع ويحددها بغير لبس ، اذ ربما يتخيل القارىء أن المعفو عنه كل فعل خيل الينا الهوى بأننا لا نطيقه لأنه يحملنا نوعا من المشقة حين نكابد الرغبة والعاطفة ، وهذا الأمر الذى يثير الخيال هنا لو صح لجرد الانسان من كل قيمة وقعد به عن كل فضيلة كان يأمل أن يرقى اليها ، وفهم هذه المسألة فى غاية اليسر والسهولة ذلك أن الأخلاق فى جانبها الايجابى (الفضيلة) لا تتأتى الا من مصارعة الهوى والرغبة وانتصار الارادة والعقل على الهوى الجامح والنفس الأمارة بالسوء، والشعور بالذات الانسانية التى ترقى بالانسان فوق كل شعور هابط أو اندفاع مرذول ، وهكذا يتبين لنا أن المعفو عنه ليس من قبيل تلك الفعال التى يعارضها الهوى وتقف العاطفة والغريزة فى وجه تحقيقها والالتزام بها ، ولعل هذا هو مايشير اليه القرآن الكريم حين يعبر فى صرامة عن وجوب التزام طريق الجادة حين يكون المعوق هو الهوى أو يكون الضاغط هى الغرائز الدنيا والعواطف غير الراقية « **أرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله** » « **ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » ، « **فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا** » « **ومن أضل ممن اتبع هواه** ».

ومن هذه النصوص وأمثالها تتضح صرامة التشريع الاسلامى فى مواجهة الهوى والرغبة اذا كان كل من الهوى والرغبة سيقعدان بالانسان عن مواصلة رقيه وكماله .

وهذه الصرامة التى تبدو ظاهرة فى مثل هذا الموقف ربما تلوح لبعض الناس بأن المعفو عنه لا مجال له فى التشريع الاسلامى ، وحينئذ تختل القاعدة التى شرحناها سلفا والتى تتصل بالقوائم الثلاث للأخلاق .

والحق أن المعفو عنه يجد له مجالا كاملا وضروريا ضمن اطار التشريع الاسلامى العام ، ولكنه حين يظهر انما يظهر لحل مشكلة ماتعرض للتطبيق العملى وازالة عقبة تظهر على طريق الأداء فتحدث شيئا من البلبلة فى عقل الملتزم بتطبيق الشرع على نفسه أو صعوبة لايمكنه تفاديها مع التزامه بتطبيق الشريعة .

ولو أننا تأملنا المعفو عنه فى الشريعة لوجدناه كله تقريبا من هذا القبيل .

فأكل الميتة فى الشريعة حرام لا يجيزه المشرع ولا يوافقنا عليه ، ولكن ربما يطرأ على الانسان فى صحراء أنه لا يجد ما يقتات به سواها ، فهو الآن يوازن بين أمرين ، بين الاحتفاظ بالحياة مع ارتكاب المحرم وتعريض نفسه للتهلكة المؤكدة مع الاحتفاظ بالمبدأ ، وهنا يوجد له المشرع المخرج الكامل انه يعفى من تطبيق القاعدة على نفسه فى هذه الظروف ليحافظ على حياته « **فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم** ».

والخمر فى الاسلام حرام لما له من ضرر يقع على الجسم والروح ، ولكن الانسان اذا غص بالطعام ولا يجد من الماء ما يذهب عنه غصته فله أن يزيلها بالخمر اذا وجد فى حالة من العفو التى تحافظ له على حياته ووجوده قياسا على الحالة السابقة الذكر .

فالانسان يجب عليه أن يتنزه عن النجاسات ولكنه قد يتعرض الى أشياء لايمكنه الاحتفاظ بنفسه عنها وهنا يجد فى الشريعة متسعا للعفو فى حالة ما اذا كان يعمل فى بعض المهن التى تعرضه لبعض النجاسات الحسية غير المرئية أو المرئية التى لا يمكن الاحتراز عنها بسهولة .

وهكذا يتبين لنا توافق الشريعة الاسلامية مع الطبيعة الانسانية فلم يرد تكليف الانسان بالمستحيل ، كما رفع عنه كل متعذر غير ميسور وتجاوبت القاعدة مع الموقف تجاوب التغيير والتبديل اذا لزم الأمر .

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

الأمل في فجر جديد

قطع دعاتنا خطوة .. وبقيت خطوات

المستشار محمد التهامي

تتميز هذه الفترة بما يشبه الصحوة الدينية الفكرية ، ومن بعض مظاهرها اهتمام الناس ويقظة الدعاة وتعدد الصحف والمجلات الدينية ، وتلك سمة من سمات النفس البشرية فان الانسان عندما يؤوده أمر أو تذهله ظاهرة يهرع بفطرته الى حمى الدين يلتمس الأمان والحماية .

وانسان عصرنا هذا يجره الانطلاق العالمي جرا يكاد يفقده الأرض التي يقف عليها ، والانسان المسلم بالذات — للأسف — حكمت عليه مجريات الأحداث المعاصرة، وصراعات الحضارات المتنازعة ، واختلال موازين القوى ، وتمركز عوامل القوة والتقدم والسيطرة بعيدا عنه ، بأن يعيش في العالم الثالث ، الجانب الأضعف من العالم حيث تشد السيطرة والتبعية للامبريالية العالمية من يده لقمة العيش ، وتكاد تحرمه نعمة الحياة ، وحتى أصبحت تصفعنا صباح مساء أخبار قاسية أهونها أن هناك مسلمين في بعض بقاع الأرض يموتون من الجوع ، هكذا بكل مرارة وقسوة وعنف .

والمسلم تقر في أعماقه رواسب الحقيقة المضيئة من بعض ما عرف وقرأ ووعى وآمن بأن دينه الحنيف هداية السماء للأرض وطريق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة وهو من هذا المنطلق يتطلع الى الحضارة والقوة والنعيم الدنيوى في يد الغير ، ويؤمن بأن هذا النعيم فيه خواء الروح ، وفيه فساد المعتقدات وفي بعضه جراثيم الالحاد ، واذلك فهو يلعنه بقلبه وأن كان يتطلع اليه بعينه لما فيه من اغراء وما يجره اليه من اشتهاء وبين هذا وتلك يكاد يتمزق وجدان المسلم ويتشتت فكره ، ولا أقول يزيغ فؤاده .

وبديهى أن لا يغيب ذلك عن فطنة الدعاة الاسلاميين وما أكثرهم وما أجلهم ، وقد هرعوا الى أقلامهم وأداروا ألسنتهم وقالوا أشياء كثيرة ، منها الغثاء الذى لا غناء فيه ومنها ما ينفع الناس .

ومن نعم الله على المسلمين أن فجر الله في بعض بلادهم ينابيع البترول ، ومن النعم ما يبتلى به الله عباده ، ومنها ما هو امتحان للنفس البشرية ، وفي بعضها الخير والشر ، ومنها ما يستلزم الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ، وقد ينجح فيه البعض وقد لا ينجحون .

المهم أن من بعض آثاره في بعض بلادنا أن غرق الناس في بحار من المطبوعات من كتب

وصحف ومجلات ، الكثير منها يحمل الطابع الاسلامى عن صدق فى الهدف والوسيلة ، وبعضها يتخذ ستارا يحسب الناس به أنهم يؤدون واجبا مفروضا ، ويلبسون رداء يحميهم ، ومع هذا قد يثاب المرء رغم أنفه .

ولكنا فى هذا المقام — الذى نعرف له قدره — نضرب صفحا عن الفئاة ، الكثير ، والعصبية المتشنجة ، والتشبث المستميت بالماضى الدارس، وكذلك الانطلاق الجامح الى الآفاق الغربية ، وننشد الهدى وراء الأقوال الجادة التى تشير الى الطريق السوى ، ولنا معها وقفات نبدأ بها متشبثين فى محاولة رجاء ملح ، لعلها تخطو بعد ذلك خطوات ، تلاحق بها الركب المادى المنطلق اللاهث ، الذى لا يتريث ولا يتلبث ، ويكاد يجرفنا جميعا فى مسالك لا يعلم مداها الا الله ، ولا عاصم منها الا عنايته عز وجل .

ولسنا فى مجال السرد ، ولكنا نضرب الأمثال لنستنهض الهمم ، والله من وراء القصد ، **فلا يكتفى فى هذا الزمن** — الذى لا يكفى وصفه بما سبق أن أشرنا اليه — **من القادة الاجلاء بأن يقفوا عند الاشارة الى طريق الحق فى اجمال دون تفصيل ، فقد فعل ذلك كثيرون قبلهم وما أغنانا ذلك شيئا ، فما بالك فى وقت يكاد ضجيج الحياة المنطلقة فيه يصم الآذان ، ويحملنا الى مجاهل التيه .**

قرأت منذ أيام لداعية كبير مقالا رائعا عن الدين والحياة المعاصرة جاء فيه « هل يصلح ما جرى عليه الناس فى مجتمع أو آخر من أعراف ونظم أن يكون مقياس الصواب بحجة أنها مجتمعات متقدمة ؟ وهل كل ما يجرى فى مجتمعاتنا المعاصرة حق كله وصواب كله لمجرد أنها مجتمعات قوية أخذت به ومارسته فى شئون حياتها ؟

ويشرح المقال كيف أنه لا خلاف بين الدين والعلم فى الحقائق العلمية الثابتة وقد يثور الخلاف فيما يتعلق بالنظريات العلمية التى تخضع للتجربة وتحتمل الصواب والخطأ ، وهنا فالغلبة للدين .

وهذا كلام صحيح وصادق ورائع ، يفحم المتشدقين بالتقدم عن غير علم ولا دين ، ويخاطب المترددين بما يقنعهم بمقدرة ويردهم الى الهدى.

واننا لنتشبث بالكاتب الكبير وقرناءه أن يستمروا فى هذا السبيل فيشرحون للمسلمين الصادقى الايمان الثابتى اليقين وما أكثرهم ، كيف السبيل الى العلم المتقدم المعاصر والى حقائق التكنولوجيا الحديثة القائمة على النظريات العلمية الثابتة ، والبلاد الاسلامية الآن تمتلك أدوات العلم **فاديها المال الذى لا تعرف لكثرته كيف تنفقه ، ولديها الملايين من البشر المسلمين فقد قاربوا الآن الألف مليون ، وفى البلاد الاسلامية جامعة عمرها ألف سنة ،** وفيها جامعات حديثة تخرج العلماء والمتخصصين فى كل فروع العلم الحديث منذ ما يقارب القرن من الزمان ، **ومع ذلك تفتقر الى العلم الحديث ، ولا تعرف الطريق الى أن تلتقى الأموال الكثيرة مع القوى البشرية الكبيرة لتحقق رسالة الاسلام الصحيح ، الذى نؤمن جميعا بانه الوسيلة الناجعة الى سعادة الدنيا والآخرة ، وحينذاك لا يجرؤ متشدق بالتقدم والمدنية أن يولى ظهره للاسلام .**

وهل للكاتب الكبير أن يشير العلماء المسلمين المتخصصين بأن بينوا للمسلمين حقائق النهضة العلمية المعاصرة وكيفية نقل التكنولوجيا والاستفادة منها وهل ما يحدث الآن فى البلاد العربية الاسلامية هو محاولات صادقة أو أخطاء وتكريس للتبعية ؟

وفى حوار مع داعية آخر نجله ونحترمه نشر هذه الأيام جاء ما يلى : « لكى يعود المسلمون الى أمجادهم يجب أن يكونوا مجتمعا تشرق فيه الحقائق ويمكن فيه للأمة أن تقدم نموذجا عالميا لتعاليم الاسلام .. الاسلام دين النظافة بمعنى أنه نظف البدن ، ونظف الملابس ، ونظف البيوت ونظف الطرق ، فاذا جاء السائح الأجنبى ووجد فعلا هذه الأمة نظيفة فى ملابسها ومنازلها وطرقاتها فانه يعجب بها حتما » .

وهذا كلام صحيح وليته يستمر فيشرح الداعية للمسلمين أن النظافة ظاهرة تنطلق من واقع ومستوى اقتصادى معقول ، وان السبيل الى

هذا هو العمل والانتاج ، وان العمل يتضاعف عائده بزيادة الثقافة المهنية ، التى لا تستلزم التخصص الرفيع الشاق ، وان من جوانب المشكلة تنظيم الثقافة وحسن استثمار المعلومات المتاحة ، وتنظيم قطاعات المجتمع الاسلامى ، بحيث تتكامل جهودها وتتكافل طاقاتها .

وان فى الاسلام ما يدفع الفرد الى أن يستثمر وقته كله وجهده كله ، وان يبحث بكل ما يستطيع عن أسباب القوة والتقدم ، عن ايمان وصدق ، ليخدم نفسه ومجتمعه ، فهو يعلم نفسه ما استطاع ويبحث ويعرف ويتحرى الخير ، ويسمع ويطيع ويعمل ما فيه الصالح ، ويتعاون ويشارك ويملك حريته ، ويحقق ذاته لخير نفسه وأسرته وأهله ومجتمعه والناس كافة .

وان فى الاسلام ما يلزم القائمين بالأمر بالسهر على تنظيم المجتمع وحمايته وكفالة الحقوق فيه ، وتيسير وسائل الحياة من علم وعمل ، وتوفير أسباب الرخاء والقوة ، ومن هذا تقديم الثقافات المختلفة المهنية والفنية والمتخصصة حسب حاجات المجتمع وضرورات حياته وتقدمه وكل ميسر لما خلق له » . وان يتم ذلك على أساس الدراسات الخبيرة بمختلف الظروف والأحوال حتى يستثمر المجتمع كل طاقاته البشرية والمادية على هدى وبصيرة ، وحتى لا ندور حول أنفسنا ، ونعيد كلاما قلناه منذ حوالى مائة سنة وما زلنا نقوله حتى كاد الناس أن ينصرفوا عنه حين اتسع المدى بين انطلاق الواقع وجمود القول .

فلو ارتفع المستوى الاقتصادى وأدى الفرد المسلم مجرد شعائر الدين لأصبح دون أن يقصد نظيفا .

ليت الداعية الكريم يطلب من العلماء المتخصصين أن يشرحوا لجماهير المسلمين لماذا يتحول المجتمع كله تقريبا فى الدول المتقدمة الى قوى عاملة منتجة ، بينما هو فى العالم الاسلامى فى أغلبه عالة على غيره ، وهذه ظاهرة خطيرة متعددة الجوانب فى بعض نواحيها مزالق كثيرة ، لا يحسن عبورها الا داعية عالم واثق مؤمن غيور شجاع صادق .

ان النظرة فى المجتمعات المتقدمة تكشف أن جميع أفراد المجتمع تقريبا قوة عاملة : الشيوخ حتى سن متقدمة ، والشباب منذ التحاقهم بالتعليم العالى فهم يعملون ويدرسون فى أغلبهم فى نفس الوقت ولا يتفرغ للعلم الا المتخصص صاحب الاستعداد أو الموهبة ، ويستوى فى ذلك الجنسين من النساء والرجال .

أما فى مجتمعنا فالأسرة كلها تقريبا مهما كان عدد أفرادها ومهما كانت طاقتهم عالة على عائل واحد وقد يكون انتاجه محدودا ، ويضاف الى ذلك أن نسبة الأطفال دون الرابعة عشرة فى المجتمعات الاسلامية ٤١٪ بينما هى فى المجتمعات المتقدمة لا تتجاوز ١٥٪ وقد يكون ذلك نتيجة لعوامل متعددة مختلفة .

ان التقدم البشرى الآن يحسب بالدقيقة وان المشاكل تنطلق كالمارد من القمقم . ولا مناص من اللحاق بها وهى كثيرة ومتنوعة « وللحديث بقية » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

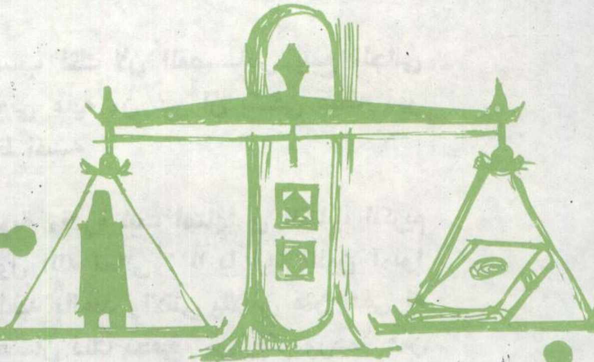

العقوبات في الشريعة الإسلامية
أحكام القصاص

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد انتهينا فى مقالاتنا السابقة من بيان أحكام الحدود وأوضحنا أن احكام العقوبات فى الشريعة قد تكفلت بما يسعد البشرية فى الدنيا والآخرة وما يقضى على الشر ونوازعه . ذلك لأن أحكام الشريعة عامة — وفى جوانبها المختلفة تجمع بين المعنى الروحى العقيدى وهو طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه . والمعنى المادى الدنيوى بتحقيق مصالح العباد والمجتمع الأمر الموجب الى المبادرة لتنفيذها والالتزام بها . اذ قد خلت التشريعات الوضعية من هذه المعانى وغيرها مما تسمو به أحكام الشريعة الغراء .

وفى هذا المقال وما يليه ان شاء الله — سنتكلم عن أحكام القصاص تحقيقا لما وعدنا به فى نهاية مقالنا السابق .

واذ كنا نتكلم عن العقوبات فى الشريعة وهى تشمل الحدود والقصاص والتعزيرات فنرى من المناسب هنا أن نشير باختصار الى الفرق بين كل من الحدود والقصاص والتعزيرات .

لقد بين الفقهاء على نحو ما أسلفنا أن الحد عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى ولذا لا يسمى القصاص حدا لأنه وان كان عقوبة مقدرة لكنه يجب حقا للعبد اذ هو الغالب فيه . ولذا يجرى فيه العفو والصلح بخلاف الحد فانه لا يجرى فيه ذلك لأنه حق الله تعالى . وكذلك لا يسمى التعزير حدا لأنه غير مقدر اذ قد يكون التعزير بالضرب وقد يكون بالحبس وقد يكون بغيرهما .

هذا والقصاص فى اللغة المساواة باطلاق .. وفى الشريعة المساواة بين الجريمة والعقوبة — ومن معانى القصاص اللغوية أيضا التتبع ومنه قص أثره بمعنى

تتبعه ــ وبين هذا المعنى والمعنى الشرعى تناسب ذلك لأن القصـــاص يتبع الجانى فلا يترك من غير عقاب رادع ولا يترك المجنى عليه من غير أن يشفى غيظه فهو تتبع للجانى بالعقاب وللمجنى عليه بشفاء غيظ نفسه .

ولذا يعرف الفقهاء القصاص بانه عقوبة مقدرة ثبت اصلها فى الكتاب الكريم وثبت تفصيلها بالسنة المطهرة اما الكتاب فقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألبـــاب لعلكم تتقون » . (الآيتان : ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة) .

ولقد نزلت الآية الكريمة تصحح الأوضاع الجائرة التى كانوا عليها فى الجاهلية بسبب الأحقاد والضغائن وما بينهم من ثار مستمر تندلع ناره كلما حانت لديهم فرصة الأخذ به وكانت الحياة وقتئذ للقوى فقط أما الضعيف فليس له فيها أى مكان الا فى ظلال المهـــانة والذلة . وحمـــاية بعض الأقوياء له ــ وكثيرا ما كانت تندلع الحروب فى الجاهلية لأتفه الأسباب كما كانت تقوم فى أغلب الأوقات للأخذ بالثار كما قلنـــا ولقد كانت كل قبيلة اذا قتل منها أحد طلبت فى مقابله عددا يكون مكافئا لمنزلة القتيـــل فيها ــ فاذا قتل عبـــد زعيما من زعماء القبائل لا يقتل العبد وحده بل يقتل حر فى منزلة الزعيم أو عدد يساوى الزعيم المقتول فى مجموعهم وعددهم وان كان كل واحد منهم لا يساويه فى شخصه فى نظرهم ــ ولقد كان ذلك النظام الجاهلى من أكبر عوامل النزاع والحروب بين القبائل وكانت قبيلة القاتل لا تقبل أن تقدم ما يطلب منها وتعد ذلك ذلا ومهانة وتندفع الى مقاومة القبيلة الأخرى بشن الحرب والقتال ..

فجاء الاسلام وحارب تلك العادة الانتقامية الجاهلية وأوجب ان تكون النفس بالنفس لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين عربى وأعجمى الا بالتقوى اذ يقول الله جل شأنه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير » . (الآية : ١٣ من سورة الحجرات) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » ولا شك أن فى اقامة عقوبة القصاص التى جاءت بهـــا أحكام الشريعة الغراء على أساس المساواة بين الجريمة والعقوبة هى التى تحقق الرحمة بالناس وبها تسود العدالة بينهم وتستقر حياتهم على أساس قوى من الهدوء والاطمئنان . وهذه هى الحياة الحقيقية الكاملة التى لا فساد فيها ولا بغى ولا عدوان الحيـــاة الآمنة التى أوجدها وحققها القصاص للمعتدى ــ ولهذا كان النص الآمر بالقصاص نصا عاما تدخل تحته كل معانى المساواة فى القصاص كما انتهى النص ببيان الحكمة فى ذلك اذ يقول الله جل شأنه : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قـــال : من قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يفتدى واما أن يقتل وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : من أصيب بدم أو خبل (قطع الأطراف) فهو بالخيار بين احدى ثلاث اما أن يقتص واما أن يأخذ العقل واما أن يعفو فان أراد رابعة فخذوا على يديه » .

والقصاص كما جاء فى الأديان السماوية فيه العدالة التى لا يتصور العقل أمثل منها وفيه مزايا كثيرة لا توجد فى عقوبات القوانين الوضعية كالسجن وغيره ــ فهو جزاء وفاق للجريمة .

فجريمة الاعتداء العمد على النفس توجب العدالة أن يؤخذ هذا الجانى بمثل فعله ولا يكون ذلك إلا بالقصاص الذى يلقى فى نفس الجانى عند ارتكاب الجريمة الاحساس اذا قوى قد يمنعه من ارتكاب فعله فيحدث الاضطراب فى نفسه اذ يحس بأنه لا فكاك من عقوبة القصاص وان ذلك الأحساس اذا قوى قد يمنعه من ارتكاب الجريمة . واذا ارتكبها ونزل به العقاب فانه يقبله مطمئنا الى عدالته لأنه جزاء ما كسبت يداه ولا يستطيع أن يقول أنه ظلم اذ هو حكم الله وهو أعدل الحاكمين .

هذا وفى القصاص شفاء غيظ المجنى عليهم اذ لا يرضيهم أو يرد غيظهم عقوبة السجن مهما يكن مقدارها بل يرضيهم ويشفى غليل نفوسهم أن يصنع بالجانى مثل ما صنع بالمجنى عليه ــ وشفاء غيظ المجنى عليهم أمر لابد منه حتى تزول الاحقاد .

وفى القصاص فوق ذلك كله حياة المجتمع حياة عالية سامية هادئة اذ يجتث الأشرار ولذا قال سبحانه وتعالى : ((ولكم فى القصاص حياة)) .

وقد بين الله جل شأنه أن فى احياء النفس المقتولة بالقصاص لها أحياء للجماعة اذ يقول سبحانه : ((من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)) (الآية : ٣٢ من سورة المائدة)

والاشارة فى الآية بقوله تعالى . من أجل ذلك هى أشارة الى قصة وقعت حوادثها بين ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين وانتهت القصة بأن قتل الأخ أخاه حسدا وحقدا وعاوده الندم على ما اقترف وحاول ان يوارى جثة أخيه فلم يهتد حتى رأى غرابا يوارى جثة صاحبه .

وفى الربط بين تشريع عقوبة القصاص ــ ((كتب عليكم القصاص)) ــ وهذه الواقعة التى حدثت من أحد ابنى آدم اشارة الى الداء وعلاجه . اما الداء فهو الحقد والحسد وفقد العواطف الانسانية للجانى عند ارتكاب الجريمة الأمر الذى قطع كل علاقته بالانسان والانسانية وصار شاذا متمردا ولا شك ان من كان كذلك فانه يكون عنصر تدمير فى وحدة الانسانية وبناء المجتمع .

ولذلك كان الدواء من جنس الداء بابعاده عن الانسانية والحياة ولا يكون ذلك الا بالبتر والقطع بقتله قصاصا .

كذلك كان تشريع القصاص فى الأطراف . وقد بين القرآن الكريم ذلك وفصلته السنة النبوية ..

والى لقاء فى حديثنا المقبل ان شاء الله نبين فيه حكمة تشريع القصاص فى الأطراف كذلك مع بيان أنواع القتل ومايترتب على كل نوع من أحكام ..

أحرف أصلية

«لا» زائدة

الدكتور أحمد الحوفي

(الآية الأولى)

قال سبحانه وتعالى : « ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا: مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم : ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ، ان كنا عن عبادتكم لغافلين »(١) .

لم يذكر الطبرى ولا الزمخشرى ولا النيسابورى ولا ابن كثير(٢) شيئا عن الباء فى قوله تعالى : « فكفى بالله شهيدا » .

ولكن عبد القاهر الجرجانى قال : يجب الحكم بزيادة الباء فى نحو قولهم : بحسبك أن تفعل وفى « كفى بالله شهيدا » فان لم تقض بزيادة الباء لم تجد للكلام وجها تصرفه اليه وتأويلا تتأوله عليه البتة ، فلابد أن نقول ان الأصل حسبك أن تفعل وكفى الله ، وذلك أن الباء اذا كانت غير مزيدة كانت لتعدية الفعل الى الاسم ، وليس فى بحسبك أن تفعل تعدية بالباء الى حسبك ، وهكذا الأمر فى كفى أو هو أقوى ، وذلك أن الاسم الداخل عليه الباء فى نحو كفى يزيد فاعل كفى ، ومحال أن تعدى الفعل الى الفاعل بالباء أو غير الباء ، ففى الفعل من الاقتضاء للفاعل مالا حاجة معه الى متوسط وموصل ومعد(٣) .

فلنرجىء التعقيب الى ما بعد الآية الثانية ..

(الآية الثانية)

قال تعالى : « ويقول الذين كفروا : لست مرسلا، قل : كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب »(٤) .

وقد صمت المفسرون الأربعة هنا كما صمتوا فى الآية السابقة(٥) .

ولكن الزركشي ذكر أن الباء زائدة مع الفاعل ، وأن شهيدا حال أو تمييز ، ودخلت الباء لتأكيد شدة ارتباط الفعل بالفاعل ، لأن الفعل يطلب فاعله

(١) سورة يونس ٢٨ — ٢٩ .
(٢) الطبرى ٧٩/١١ والزمخشرى ١٨٨/٢ والنيسابورى ٧٥/١١ وابن كثير ٤١٥/٢ .

(٣) أسرار البلاغة ٣٤٧ .
(٤) سورة الرعد ٤٣ .
(٥) الطبرى ١١٨/١٣ والزمخشرى ٢٩١/٢ والنيسابورى ١٠٠/١٣ وابن كثير ٥٢١/٢ .

طلبا لابد منه ، والباء توصل الأول الى الثانى .

قال ابن الشجرى: فعلوا ذلك ايذانا فان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فى عظم المنزلة ، فضوعف لفظها ليضاعف معناها .

وقيل: دخلت الباء لتدل على المعنى ، لأن المعنى اكتفوا بالله .

وقيل : الفاعل مقدر ، والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحذف المصدر وبقى معموله دالا عليه .

وفيه نظر ، لأن الباء اذا سقطت ارتفع اسم الله على الفاعلية ، كقوله :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا(١) .

تعقيب

اتفق ما ذكره الجرجانى والزركشى على زيادة الباء فى الآيتين الكريمتين ، وقد سبق أن القاعدة العامة التى يجب الاعتماد عليها هى رفض القول بزيادة كلمة فى القرآن الكريم ، بل فى أى أسلوب بليغ .

ويكفى لبيان التكلف أن يقول باحث ان البـاء دخلت لتوكيد شدة ارتباط الفعل بالفاعل ، ايذانا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من سـواه ، وكأنما نسى صاحب هذا التكلف أن الباء دخلت فى أمثلة أخرى نحو بحسبك أكثر وكفى بك كذا .

أما القول بأن الفاعل محذوف تقديره الاكتفاء فانه بادى التكلف أيضا .

وكذلك القول بأن الباء دخلت لتدل على المعنى وهو اكتفوا بالله شهيدا .

والذى أرجحه أن الفاعل ضمير مفهوم من الجملة كلها وأصل الكلام : كفى الاستدلال أو الوثوق أو الاستشهاد أو اليقين بالله شـهيدا بينى وبينكم ، فالباء اذن أصلية لا زائدة .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٥٢/٤ .

وقد حذف الفاعل من آيات أخرى ، وبقى فى الكلام دليل عليه ، نحو قوله تعالى : **« كلا اذا بلغت التراقى »** أى بلغت الروح ، وقوله سبحانه: **« حتى توارت بالحجاب »**(٢) أى الشمس ، وقوله تعالى : **« فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين »**(٣) أى العذاب ، وفى قوله سبحانه **« فلما جاء سليمان »**(٤) أى الرسول .

الكاف

قال تعالى :

« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »(٥) .

ذكر الطبرى رأيين :

أحدهما أن المراد ليس هو كشىء ، وكلمة مثل توكيد ، كما قال أوس بن حجر :

وقتلى كمثل جذوع النخيل
تغشاهم سيل منهمر

ومعناه كجذوع النخيل .

ومعنى هذا أن كلمة مثل هى المزيدة للتوكيد .

والآخر ان المراد ليس مثله شىء ، وتكون الكاف هى المدخلة فى الكلام ، كما قال الراجز :

وصاليات ككما يؤثفين .

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه(٦) .

وذكر الزمخشرى أنهم يقولون مثلك لا يبخل ، فينفون البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فسلكوا طريق الكناية . **ونظيره** قولك للعربى : العرب لا تخفر الذمم ، فهو أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم ، **ومنه قولهم : قد أينعت لداته ، وبلغت أترابه ، يريدون ايناعه وبلوغه .**

فاذا علم أنه من باب الكفاية لم يقع فرق بين

(٢) سورة ص : ٣٢ .
(٣) سورة الصافات : ١٧٧ .
(٤) سورة النمل : ٣٦ .
(٥) سورة الشورى : ١١ .
(٦) تفسير الطبرى ٩/٢٥ صاليات : احجار تلاقى النار يؤثفين : يجعل اثافى للقدر .
أى أحجار توضع عليها القدر للطبخ

قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها .

ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال : وصاليات ككما يؤثفين ،ومن قال : فأصبحت مثل كعصف مأكول(١) .

وذهب عبد القاهر الجرجانى الى أن الكاف زائدة فى الآية ، والأصل ليس مثله شىء(٢) .

وكذلك ذهب ابن هشام ، وقال انها زيدت لتوكيد نفى المثل ، لأن زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة كما قال ابن جنى(٣) .

وذكر الزركشى آراءا منها : المراد مثل الشىء ذاته وحقيقته ، كما يقال مثلى لا يفعل كذا ، أى أنا لا أفعل ، وعلى هذا لا تكون الكاف زائدة(٤) .

تعقيب

الرأى الذى افترض أن كلمة مثل هى الزائدة مردود ، وكذلك الرأى الذى افترض الكاف هى الزائدة ، حتى وان كانت لتوكيد نفى المماثلة .

(١) الكشاف ٣/٣٩٩ .
(٢) أسرار البلاغة : ٣٤٦ .
المغنى ١/١٥٥ .
البرهان ٤/٣١٠ .

ويبدو فى الرجز الذى استشهد به الطبرى والزمخشرى الافتعال أو الشذوذ .

لهذا أرجح أن المثل فى الآية الكريمة معناه الذات أو الحال أو الصفة ، وأن الكاف أصيلة ، وكلمة مثل أصيلة أيضا ، والمعنى ليس كذاته ذات أو ليس كحاله حال أو ليس كصفته صفة .

ولعله مما يرجح هذا أن الآية مسبوقة بآيات تبين عظمة الخالق وتفرده بالقدرة وهى :

((ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ،ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمون مالهم من ولى ولا نصير . أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولى ، وهو يحيى الموتى ، وهو على كل شىء قدير ، وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ، ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب . فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير(٥))) .

وبعد هذا آيات فى المعانى نفسها ، منها قوله تعالى : ((له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه بكل شىء عليم))(٦) .

(٥) سورة الشورى : ٨ — ١١ .
(٦) سورة الشورى : ١٢ .

عن أنس بن مالك — رضى الله عنه— قال : بينما ذات يوم بين اظهرنا — (يريد النبى صلى الله عليه وسلم) اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما فقلنا له : ما اضحكك يا رسول الله ؟ قال :نزلت على آنفا سورة : (بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحران شانئك هو الأبتر) — ثم قال : هل تدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه نهر وعدنيه ربى فى الجنة، آنيته اكثر من عدد الكواكب ، ترده على أمتى ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : يا رب انه من أمتى ، فيقول : انك لا تدرى ما أحدث بعدك) .

الدعوة إلى الله

فضيلة الشيخ عبد الوهاب محمد الساكت

الأديان كلها تنبعث من مشكاة واحدة فجميعها من وحى السماء ووظيفة الرسل جميعا تعليم الناس ما به يصلح حالتهم فى الدنيا والآخرة وما جاء دين بعد دين الا ليزيد فى هيكل الهداية الربانية ركنا من الأركان أو الى قانونه مادة من المواد : والاسلام يعتبر الأديان التى سبقته مراحل هداية وأنها كانت موافقة لحال عصرها ولحاجات الناس فى زمنها حتى اذا تم نضج البشرية وتبلورت حاجاتها جاء الاسلام أكثر شمولا وأوفى بمطالب الحياة التىطرأت على البشرية بعد رسالات الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فجمع الناس على الاسلام هو جمع على هدى السماء متضمنا روح الأديان السابقة مع زيادة فيه جعلته مهيمنا عليها صالحا . لقيادةالبشرية دونها لقصورها : ولظهوره عليها وصلاحيته لقيادة الناس وهدايتهم : واذن فظهوره على تلك الأديان السماوية جميعا هو ظهور مرحلة الختام على مراحل البداية كما قال تعالى **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ولهذا يقول سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (مثلىومثلكم كمثل رجل بنى دارا وأحكم بناءها الا لبنه فجعل الناس ينظرون اليها معجبين بها ويقولون انها حسنة لولا هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين والمرسلين) .**

أمر الله تعالى لرسوله بالتبليغ

لقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالتبليغ فى قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »

وقد بلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربهعلى أكمل وجه وحملت التبليغ من بعده أمته ولها فيه الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ولما كانت الدعوة عامة فان التبليغلاينتهى الى قيام الساعة ليعمم العلم للجميع حتىتنقطع الحجة وتنتفى المعذرة كما قال الله تعالى **« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »** وقد بعث صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وعلم أصحابه وجعلهم رسلا من قبله للناس أجمعين وربى ذلك الجيل من أصحابه تربية عظيمة وقال فيهم **« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »** ثم تعلم منهم التابعون الذين

جاءوا من بعدهم ثم توارث الناس العلم بالرسالة المحمدية جيلا بعد جيل وحمل العلماء أمانة التبليغ ونشروها بين الناس **وكما ورد الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل)** وكانوا هم الذين يبلغون الرسالة ويجب عليهم تبليغها وبيانها وتطبيقها بين الناس ونشرها فى ربوع الأرض قام الصحابة بالدعوة وخلفهم التابعون **وكان من الحكام من قام بها كالحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه** ــ بل كان من العلماء من قام بحق الدعوة والدفاع عنها كمنهج من مناهجهم كالمعتزلة وغيرهم لنشر الاسلام والرد على الزنادقة والمتهجمين على الحقائق الاسلامية كما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة الى شعوب الأرض جميعا حيث أرسل رسله الى الأمم المجاورة والموجودة فى ذلك العهد كهرقل عظيم الروم والمقوقس عظيم قبط مصر والاسكندرية والنجاشى ملك الحبشة وكسرى ملك فارس وغيرهم فمنهم من رد ردا جميلا وان لم يستجب ومنهم من قبح رده ومزق الكتاب فمزق الله ملكه .. وهذا منه صلى الله عليه وسلم كبيان عملى لعموم الدعوة كما قال الله تعالى **(قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)** .

وكما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث له (كل نبى بعث الى قومه وانما بعثت للأحمر والأسود) وأنه النبى الخاتم كما قال الله تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الخ الآية وقد صرح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يجب أن يعم قوله وتنتشر هدايته بالرواية عنه وتبليغ قوله عن الله تعالى فقد روى الشافعى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها وحفظها ثم أداها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه) كما قال (فرب مبلغ أوعى من سامع) .

منهج الدعوة الى الله تعالى

لقد قرأت فى كتاب الله تعالى آيات تتعلق بالدعوة وأمعنت النظر فيها ثم فيما يجرى من حولنا من تصدى أناس للدعوة الى دين الله تعالى وهم ليسوا من أهلها لعدم استعدادهم وعدم توافر الصفات التى يجب توافرها فى الداعين الى الله تعالى .. ومن وجود آخرين يقفون من الدعوة موقفا سلبيا مع أنهم قادرون على القيام بها لو أخلصوا نفوسهم واتجهوا اليه تعالى والى الدعوة لدينه خصوصا فى هذا العصر حيث أطلت الفتن برأسها وتحكم الهوى فى كثير من الناس وظهر فى سلوكهم مايخالف قضايا الاسلام وتفككت الروابط التى حرص الاسلام على تقويتها لتثمر أخوة قوية وتعاونا وعزة وأمنا وسلاما للمسلمين جميعا ولمن نهج نهجهم فى هذه الحياة .

الآية الأولى : قول الله تبارك وتعالى **(قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين) سورة يوسف عليه السلام ففى هذه الآية الكريمة يأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لأمته وللناس أجمعين : ان الدعوة الى الله تعالى الى الايمان به والى توحيده وتنزيهه** عن أن يكون له شريك أو شبيه أو نظير أو ولد أو صاحبة والى الايمان باليوم الآخر ومابعده والى كل ما أمر الله به وما نهى عنه هى سبيلى ومنهجى وسنتى أدعو اليها ولا أزال أدعو أن لا اله الا الله عليها أحيا وعليها أموت لا أحيد عنها أبدا : أدعو جميع الناس (على بصيرة) أى على فهم بالدين بالحجة الواضحة النيرة التى علمنيها ربى لا عن جهل وعمى **(أنا ومن اتبعن)** يدعون اليها على طريقتى .. فالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه كانوا على بصيرة بالدين وفهم دقيق له فكانوا لذلك أهلا للدعوة الى الله تعالى وحث الناس على اتباعها **كما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لاتعلمون)** ولهذا كان منهجهم فى الدعوة الى الله تعالى أنهم يستدلون على دعواهم كما يستدل القرآن فان الدعوة الى الله لا تكون بالسيف والسنان ولكن بالدليل والبرهان قال تعالى **« فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقال تعالى (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ) وقال تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) وقال تعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) والآيات كثيرة فى هذا المعنى .**

وهاك أمثلة من استدلالاتهم .

لقد كانوا يستدلون على قدرة الله تعالى وسائر صفاته بالآيات الكونية التى يرشد اليها

القرآن كقوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والأجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم وعلى وحدانيته تعالى ونفى وجود الهين صفات كل منهما مثل صفات الآخر لترتب الفساد على وجودهما بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ، وعلى نص الولد والآلهة معه ، لما يلزم من التقالب المفضى الى عدم وجود شىء بالكلية لأن من أهم صفات الاله القهر والغلبة والاستئثار بالسلطان .

يقول تعالى (ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) ولذلك ختم الآية بقوله (**سبحان الله عما يصفون**) منزها اياه عن وجود الولد والشريك والنظير .. وغير ذلك من الآيات . حتى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليستدل على الأحكام الشرعية كما يستدل القرآن بما يترتب عليها من نفى المضرات أو الافضاء الى المنافع فالأولى كآية الخمر فقد بين بعد النهى عنها ما يترتب عليها من المضرات بقوله (**انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة**) **ثم قال (فهل أنتم منتهون) أى بعد هذا البيان — ومثال ما يفضى الى المنفعة قوله تعالى فى آية الحجاب (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)** فقد بين علة الأمر بادناء الثياب وهو أن يعرفن بالحشمة والوقار والتدين فلا يؤذين من هؤلاء الشباب المنحلين الذين لا يتمسكون بالدين وهكذا اتبع المنهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم مع معرفتهم بالاساليب التى توصل قضايا الاسلام الى قلوب الناس لاستمالتهم بها وتأثيرها فيهم لكونهم على بصيرة ويقين مما يدعون اليه من أمر دينهم لهذا كان واجب الداعى التحقق مما يدعو اليه ذا بصر بالأمور فهذا هو منهج الأنبياء جميعا ولذلك نجد يوسف عليه السلام قبل أن يقول لمن يدعوهم الى توحيد الله كما حكى القرآن (**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) قال (ذلكما مما علمنى ربى)** أى أنه متحقق مما يدعو اليه لأنه من تعليم الله الحكيم العليم الخبير .

ومتى كان الداعى متحققا مما يقول اقتنع الناس بارشاده ودعوته ، وبعدت الشبهات

والشكوك عن نفوسهم ولننظر لقول شعيب عليه السلام لقومه (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) الآية . سورة هود عليه السلام والمعنى .. أنه يقول لا أريد ان أسبقكم الى ما نهيتكم عنه فاستأثر بشهواتكم . دونكم بل أنا قدوة لكم فيما آمركم به وأنهاكم عنه) .

وهذا تفريع لمن يخالف قوله فعله .

وللامام الشاطبى الأصولى كلام فى أمارات العالم المتحقق ننقله لفائدته قال رضى الله عنه .. ان للعالم المتحقق بالعام أمارات .

أولا — العمل بما عمل حتى يكون فعله مطابقا لقوله فيكون قدوة حقا يؤخذ عنه .

ثانيا — أن يكون ممن رباه الشيوخ فى ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك .. وهكذا كان السلف الصالح — فأول ذلك ملازمة الصحابة رضى الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذهم بأقواله وأفعاله واعتمادهم على ما يرد منه كائنا ماكان وعلى أى وجه صدر فهم قد فهموا مغزى ما أراد به أولا : حتى علموا وفهموا أنه الحق الذى لا يعارض والحكمة التى لا ينكر قانونها ولا يحوم النقص حول حمى كمالها : وانما ذلك بكثرة الملازمة وشدة المثابرة وتأمل قصة عمر بن الخطاب فى صلح الحديبية حيث قال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل قال بلى : قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال : بلى : قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولم يضيعنى الله أبدا فانطلق عمر ولم يصبر متغيظا فأتى أبا بكر فقال له مثل ذلك فقال له أبو بكر انه رسول الله ولم يضيعه الله ابدا قال فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح فأرسل الى عمر فأقرأه ذلك فقال يارسول الله أو فتح هذا ؟ ، قال نعم فطابت نفسه ورجع فهذا من فوائد الملازمة والانقياد للعلماء والصبر عليهم فى مواطن الاشتباه والاشكال حتى لاح البرهان للعيان ثم قال وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالما اشتهر فى الناس الأخذ عنه الا وله قدوة اشتهر فى قرنه بمثل ذلك وقلما وجدت فرقة زائغة ولا احدا مخالفا للسفة الا وهو مفارق لهذا الوصف وبهذا الوجه وقع

التشنيع على ابن حزم الظاهرى وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بآدابهم مع ما بلغ من الذكاء وغزارة العلم وترك الكتب القيمة ومناضلته عن كثير من حقائق الاسلام بالحجج الباهرة ولكنه لم يهذب حاشية منطقه فكان يرمى بشر من عبارات الازدراء بالعلماء والفظاظة في شأن أئمة السلف ولم يحتمل منه علماء عصره هذه السيرة فنهضوا فى وجهه ودارت بينه وبينهم مناظرات حتى امتدت اليه يد الدولة وأبعدته عن وطنه وتوفى بالبادية سنة ٤٥٦ والكلام الأخير من تعليق الامام الأكبر المرحوم الخضر حسين على (كتاب الموافقات للشاطبى) فأخذ العلم عن المتحققين واجب وجريان العادة كاف فى أنه لابد منه وقد قالوا ان العلم كان فى صدور الرجال ثم انتقل الى الكتب وصارت مفاتيحه بأيدى الرجال وهذا يقتضى بأن لابد فى تحصيله من الرجال اذ ليس وراء هاتين المرتبتين مرمى عندهم وأصل هذا فى الصحيح (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء) الحديث فاذا كان كذلك فالرجال مفاتيحه بلاشك فيجب علينا جميعا أن تأخذ ممن تحقق منه العلم .

فالواجب على كل من أراد أن يتصدى للدعوة الى الله تعالى أن يتحقق مما يريد أن يدعو اليه فهذا سبيل رسل الله جميعا وعلى رأسهم رسول الله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم والا وقع فى كثير من الخطأ وأساء الى الدعوة والدعاة الذين نهجوا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة

الآية الثانية قوله تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » .

يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يكون أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن فيقول تعالى : ادع يامحمد من بعثت اليهم الى سبيل ربك وهو الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة بالدين الموضح للحق المزيل للشبهة والقاضى عليها فبهذا تكون قد دعوت بالحكمة التى هى حسن تصريف الأمور ووضع الشىء فى موضعه فالله تعالى يقول (**يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب** » .

والموعظة الحسنة لا تكون الا بالخطابات المقنعة والعبر النافعة وذلك بضرب الأمثال للناس كما قال الله تعالى « **وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون** » .. وبذكر القصص ففيه العظة والعبرة والقرآن ملىء بذكره وبالأمثال .. ولاتكون الموعظة حسنة الا اذا عرف الناس منك أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم : وكانت بالقرآن فهو حكمة وموعظة حسنة وشفاء لما فى الصدور **قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)** .

والموعظة الحسنة تقتضى أن يخاطب الداعى الناس على قدر عقولهم وأن تكون سرا فقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه (**من وعظ أخاه سرا فقد نصحه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه** (.

الأمر الثالث فى هذه الآية الكريمة (**وجادلهم بالتى هى أحسن**) وهو أمر بجدال المعاندين منهم بالخصلة التى هى أحسن من غيرها من غير فظاظة ولا تعنيف بل بالرفق واللين فى القول مع طلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند الأمر والنهى فقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفضوا من حولك**) الآية : وكما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام بقوله (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**) بل علم موسى ما يقول بقوله (**فقل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى**) فان هذا انفع فى تسكين لهيبهم وتبيين شغبهم وكشف أمرهم .

ومن المحاولة بالتى هى أحسن أن لا يجهلهم لأن التجهيل ايذاء ولا يرضى به أحد لنفسه لأنه يدعو الى مجاهدة الحق بعد معرفته وهذا يعوق سبيل

الدعوة الى الله تعالى ثم يقول تعالى « **ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)** مبينا أنه وحده أعلم بالناس فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة : ومن لاخير فيه عجزت عنه أنواع الحيل وكأنك بوعظك تضرب فى حديد بارد ومن جهة أخرى فانما عليك البلاغ يا محمد وأما حصول الهداية وخلق الايمان فيه أو الضلال ويتبعهما المجازاة فليس ذلك لك بل هو أعلم بالمهتدين والضالين وهو المجازى لهما .

أحسن القول والعمل عند الله تعالى

قال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

يبين الله تعالى أنه لا أحد أحسن قولا ممن دعا الى توحيد الله وطاعته وعمل صالحا فيما بينه وبين نفسه وأعلن أنه من المسلمين فرحا بأنه منهم وأنه اتخذ الاسلام دينا ونحلة ومذهبا .. وهذه الآية لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وربه وهى عامة فى كل من دعا الى الله تعالى مؤذنا أو آمرا بالمعروف أو ناهيا عن المنكر بفعله أو قوله وليست مخصوصة بالأذان لأنه حال نزول هذه الآية لم يكن هناك أذان حيث نزلت بمكة والأذان شرع بالمدينة .

ثم يبين الله محاسن الأفعال الجارية بين العباد بقوله **(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن)** ترغيب لرسول الله ومن معه فى الصبر على أذى المشركين وأعداء الله وكذلك من تبعه فى كل عصر : ومقابلة سيئاتهم بالاحسان فيقول انه لا تستوى الخصلة الحسنة والخصلة السيئة عند الله ولا عند العقلاء فى آثارها وأحكامها فى الدنيا والآخرة واذا كان كذلك فا **(ادفع بالتى هى أحسن)** اى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالخصلة التى هى أحسن من غيرها كالاحسان الى من أساء اليك بدلا من العفو عنه فقط .

ثم بين ما يترتب على ذلك بقوله **(فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)** أى أنك ان فعلت ذلك صار عدوك صديقا لك شديد الحنو عليك أو المعنى ان فعلت ذلك قادته تلك الحسنة الى مصافاتك ومصادقتك ومحبتك والشفقة عليك كأنه ولى لك قريب حميم كما يشاهد ذلك واقعا مع من سلكوا هذا المسلك القرآنى مع الناس فى وعظهم .

ثم يبين تعالى رفعة قدر السالك فى وعظه هذا المسلك بقوله « ومايلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

المعنى : وما يلقى هذه الخصلة وهى مقابلة الاساءة بالاحسان ويقبلها ويعمل بها الا الذين تمرنوا على الصبر حتى أصبح سجية لهم وشأنا من شئونهم ثم أكد علو مرتبتهم عند الله تعالى بقوله : وما يعطاها ويتصف بها الا صاحب حظ عظيم من الخير وافر السعادة فى الدنيا والآخرة ثم يحذر الداعين الى الله من وساوس الشيطان بقوله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) فشيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه . أما شيطان الجن فانه لا حيلة لك فيه اذا وسوس اليك الا بالاستعانة بخالقه وخالقك بأن تقول : أعوذبالله من الشيطان الرجيم فاذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك وحرف كيده وقد سماه الله وسواسا وخناسا لأنه يخنس ويتأخر متى استعذت بالله منه .

أو المعنى اذا صرفك عما وصاك الله به فاستعذ بالله منه ولا تطعه فانه تعالى هو السميع باستعاذتك والتجائك اليه العليم بنياتك فكن حذرا منه على الدوام .

وفقنا الله للعمل بأوامره واجتناب نواهيه وهدانا سواء السبيل .

الإسلام ومشكلات العصر

الأستاذ عبد المقصود عبد الغني

أشرنا فى مقالنا السابق « الاسلام ومشكلات العصر » الى أن البشرية تعاني اليوم من مشكلات العصر التى كانت ثمرة للحضارة الغربية الحديثة ، وذهبنا الى أن الاسلام هو السبيل لحل هذه المشكلات ، وهو القادر على أن يشفى علل البشرية ويطب لأدوائها ، بما تضمنه من عقائد ومبادىء وقيم وأخلاق أرساها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وشيد على أساسها مجتمعا فاضلا كان وسيظل أمل المصلحين ..

واليوم نتابع معك ــ عزيزى القارىء ــ حديثنا عن « الاسلام ومشكلات العصر » محاولين أن نركز الحديث حول نقطة أحسب انها تلقى مزيدا من الضوء على القضية التى نحن بصددها ، وتبرز أثر الاسلام فى حل المشكلات التى تعانى منها البشرية ، وهذه النقطة التى نود ان نتناولها بالحديث تتصل ببناء الانسان وتربيته تربية روحية .

ويجدر بنا ــ قبل ان ناخذ فى توضيح ذلك ــ أن نشير الى اهمية بناء الانسان وتربيته فى حل مشكلات العصر ، ولكى تتضح هذه الأهمية نذكر ان الانسان العصرى الذى ضاع ايمانه ومات ضميره كان المصدر لكثير من هذه المشكلات ، ذلك ان هذا الانسان قد أعشاه نشاطه العقلى وكف عن توجيه روحه الى حياة روحانية تتغلغل فى أعماق النفس ، فهو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه ، وهو غير قادر على كبح اثرته الجارفة ، وحبه للمال حبا طاغيا جعله يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئا فشيئا ، وباختصار اصبح الانسان العصرى يجد نفسه فى ورطة ، فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق اليه ، لكنه قد سلبه ايمانه فى مصيره هو .

لقد سيطر الالحاد على هذا الانسان ، وطغت المادية عليه ، واصبحت نفسه خاوية لا تجد برد اليقين ، وصار قلبه مظلما لا يشع فيه نور الايمان لقد ضاع منه الايمان ، واذا الايمان ضاع فلا أمان .

وفى ظل الالحاد أصبح الانسان شيطانا ماردا ، لا يهمه الا اشباع غرائزه ، وتحقيق رغباته

وأطماعه من أى طريق ، مشروع أو غير مشروع أصبح الانسان لا يجد من نفسه رادعا يردعه ، ولا زاجرا يزجره ، لأن احساسه قد تبلد ، وشعوره قد مات ، فلم يعد يحس بتأنيب الضمير بل ان ضميره لم يعد له وجود .

وفى غيبة الضمير يطغى الانسان ، وتكثر الآثام وتموج البشرية — كما هى الآن — فى نيران من الأحقاد والعداوات ، وتمرج فى الشر مرجا شديدا ، أفرادا وجماعات ، حتى ان الانسان ليحسب أن الشر هو الأصل فى الوجود ، والخير عارض له ، وقد ذهب العارض وبقى الأصل ، ولا أعتقد أن ذلك من الظن الذى يأثم صاحبه ، وانما هو الظن المستمد من الواقع المحسوس ، فها هو الانسان قد اتخذ كل ما آتاه الله من فكر وتسخير للكون فى سبيل الافناء لبنى الانسان غير متحرج ولا متأثم ، وها هو يهلك الحرث والنسل ويفسد الزرع والضرع ويأتي على كل قائم فيهدمه ، وعلى كل موصول فيقطعه .

لقد أصبح حق الحياة نسيا منسيا ، اذا تحاربت دولتان فكل ما فيهما مباح من غير قيد ومن غير سلطان لضمير انسانى يمنع ، بل السلطان للهوى ، فالحرب ان قامت لا تقتصر على الدول أو الحكومات ، بل تكون الشعوب فريستها، والشعوب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وانما يساقون الى الموت سوقا من غير رحمة من رحيم، ولا عفو من كريم ، ولا ضمير خلقى سليم ، انما هو قانون الغابة فوق كل القوانين ، وان وضعت الحرب أوزارها فان المنتصر تأخذه العزة بالاثم ويقول : « ويل للمغلوب » وهذا بدوره قد يؤدى الى أن يتحفز المغلوب ليدافع ويناضل ويأخذ الأهبة ليثأر لكرامته ، فتشتعل الحرب مرة ثانية ، وقد تستمر الحرب بينهما لفترة طويلة تعانى الشعوب فيها الأمرين ، وتسيل دماء الأبرياء ، ويشرد الأطفال والنساء والضحايا ، وربما تستجيب الحكومتان لمساعى الصلح بينهما عندما ينال الجهد منهما ويعقدان معاهدة صلح ، ولكن سرعان ما تنقض هذه المعاهدة ، ولا شك أن السبب فى ذلك راجع الى التناحر الأحمق ، والرغبة فى أن تكون دوله أكثر أرضا وأربى ثمرات من الأخرى ، وقد اكد القرآن هذه الحقيقة واشار الى ان ذلك كان السبب فى نقض العهود ، قال تعالى : « تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة ، انما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » .

ولعل هذا يوضح ما ذهبنا اليه من أن المشكلات القائمة فى العالم اليوم والتى تعانى منها البشرية — سواء أكانت فى الاقتصاد أم فى الاجتماع أم فى السياسة — ترجع الى الانسان الذى ضل عن الايمان ففسد قلبه ومات ضميره ، ومن هنا فان الاسلام ببنائه للانسان وتربيته وتهذيب ضميره يكون قد أسهم اسهاما حقيقيا فى حل مشكلات العصر ، لأنه قد اتجه مباشرة الى الانسان باعتباره مصدر المشكلات وحاول ان يجعل منه ملاكا ومصدرا لكل خير ، لا شيطانا وأداة لكل شر .

ولعلنا نستطيع — بعد أن اتضحت أهمية بناء الانسان وتربيته — أن نوضح أثر الاسلام فى هذا البناء .

والواقع أن الاسلام ينظر الى الانسان أو الفرد على أنه اللبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع ويقوم عليها ، فمتى نشىء تنشئة صالحة صلح المجتمع بلا ريب ، ومن هنا فانه قد عنى عناية كبيرة بتربية الانسان الذى كرمه الله واختصه بالخلافة عنه فى الأرض ، وجعله أسمى من الطبيعة من أجل أنه حمل الأمانة التى أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها .

ان الانسان فى نظر الاسلام مكون من جسم ونفس ، فهو ذو طبيعة مزدوجة فيها عنصر مادى وعنصر روحى ، ولابد من تغذية هذين الجانبين حتى ينشأ نشأة سوية بعيدة عن الأمراض والعقد النفسية ، ومن عظمة الاسلام أنه عرف لكل منهما حقه ، فلم يأمر بارهاق الجسم وحرمانه من طيبات الحياة ، ولم يأمر بكبت الغرائز وعدم اشباعها بالطريق الحلال الذى لا لوم فيه ولا تثريب ، بل انه اهتم بصحة الأجسام ووقايتها من الأمراض ، وجعل حفظ الحياة فرضا مقدسا وأباح التمتع بالطيبات والتزين فى غير اسراف ، قال تعالى : **« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »** .

ولكن اذا كان الاسلام قد اهتم بتربية الأجسام فانه اهتم اهتماما شديدا بتربية النفوس ، لأن الانسان انسان بهذه النفس التى اختصه الله بها ، ولا يمكن أن يكون جديرا بوصف الانسانية الا اذا زكى نفسه ، وسما بروحه ، قال تعالى **« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »** .

وفى سبيل تربية النفس وتزكيتها كان لابد من الايمان بالله ، الايمان بالله الذى ينشىء فى الانسان الأنفة وعزة النفس ، ويرفع قدره ، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة

واللؤم ، وما الى ذلك من أمراض النفس ، الايمان بالله الذى يجعل الانسان يلتزم بمنهج الله — بما فيه من أوامر ونواهى — فى السر والعلن ، لأنه يعلم أن الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض والسماء — مطلع عليه ، وأنه خبير بكل شىء ، وأنه أقرب اليه من حبل الوريد ، وأنه جبار لا يستطيع أن يفلت من عقابه أحد ، وأنه عادل لا ينجو أحد من مساءلته ، وأنه لامالك غيره ، ولا ضار ولا نافع سواه « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » .

ان الانسان الذى آمن بذلك واطمأن قلبه لابد أن يلتزم بمنهج الله ويقبل على الفضائل التى حثه عليها ، ويجتنب الرذائل التى حذره منها .

ولكن الاسلام يعلم أن النفس الانسانية لها رغباتها وأهواؤها ، وأنها أميل الى شهواتها وأسرع الى تحقيق رغباتها ، ومن ثم فانه أمر أن يجاهد الانسان نفسه حتى لا تميل مع الهوى وتضل طريق الرشاد ، **وهذا الجهاد جهاد شاق ، ولهذا فانه الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الجهاد الأكبر ، فقد روى أنه قال لقوم قدموا من الجهاد « مرحبا بكم ، قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : جهاد النفس .. وقد جعل الله جزاء الذين ينتصرون على شهواتهم الجنة، قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » .**

ولست فى حاجة الى القول بأن على الانسان ان يراقب نفسه حتى لا تنحرف عن الجادة ، وحتى لا تضل الطريق ، وعليه ايضا ان يحاسبها بعد العمل لتعرف حظها من الرضا والثواب ، او من السخط والعقاب .

هكذا حرص الاسلام على تربية الانسان تربية روحية ، تلك التربية التى تقوم أساسا على تربية الضمير ليكون صاحبه مؤتلفا مع الجماعة ومرتبطا بها ارتباطا روحيا ، وقد روى أن النبى صلى عليه وسلم قال « لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » ومن هنا كانت التكاليف الشرعية التى تهدف أول ما تهدف الى تربية هذا الضمير حتى يكون ضميرا حيا مستضيئا بنور الله يهدى صاحبه الى الخير ، ويحثه على الفضيلة ، ويدعوه الى تجنب الرذيلة .

واذا كان من الصحيح أن التكاليف الاسلامية كلها لها أثر فى تربية الضمير ، وتطهير القلب ، وتزكية النفس ، وتنمية الرجولة ، واعداد المواطن الصالح ، فان من الصحيح أيضا ان العبادات — فى الاسلام — لها اكبر الأثر فى هذا المجال .

ومن الحق أن العبادة تعتبر فى الاسلام غاية من الخلق ، واعترافا من العبد بربوبية الله ، وشكراً منه على أنعمه ، وتقوية لصلة الانسان بسيده ، ولكن من الحق أيضا أنها تعتبر مدرسة لتربية الضمير الدينى ، وتهذيب النفس الانسانية وسكينة القلب وطمأنينته ، قال تعالى « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

فالصلاة مثلا تطهير للقلب ، وتزكية للنفس ، وتنقية للضمير من أدران الحقد والحسد ، ان المصلى يستحضر الله وعظمته ، فيشرق النور فى قلبه ، ويقدم على العمل بقلب سليم ، ويتعامل مع الناس بتلك النفس الطاهرة فيكون ربانيا لا يعمل الا لله ، ولا يحب الا لله ، متمثلا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » وعندئذ يكون من قال فيهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « ان لله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله تعالى يوم القيامة ، قيل : ومن هم يارسول الله ؟ قال : قوم تحابوا بروح من الله على غير أرحام تربطهم ، ولا اموال يتعاطونها ، والله انهم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يحزنون اذا حزن الناس ، ولايخافون اذا خاف الناس « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

واذا كان المجال لا يسمح لنا بتفصيل القول فى العبادات وأثرها فى النفوس ، فلابد وأن نشير الى أمرين : الأول أن العبادات فى الاسلام لاتقتصر غايتها على التقوى السلبية ، ولكنها تتجه ايضا الى النفع الانسانى العام ، والى ايجاد مجتمع متحاب متواد ، لا مكان فيه للتباغض او التنازع، فاذا لم تحقق العبادة هذا الهدف الجليل منها لايحمد صاحبها ولا ينال رضا الله ، بل تكون محسوبة عليه ، لانه لم يخلص النية لله ، ولو اخلص النية لله لطهرت قلبه وقضت على الشر فيه والفت بينه وبين الناس، ومن ثم كان الرياء فى العبادة مذموما، وكان من الشرك الخفى ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « من صلى يرائى فقد اشرك ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك » .

الأمر الثانى أن هذه العبادات — الصلاة والزكاة، والصوم والحج — تهدف الى تربية الوجدان الدينى الذى يجعل صاحبه مؤتلفا مع غيره ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع انسانى متحاب .

ولعلنا نستطيع الآن أن نقرر — ونحن مطمئنون — أن الاسلام قد تضمن من العقائد والمبادىء والقيم والأخلاق ما هو كفيل بتربية الانسان تربية مثالية تجعله ملاكا نزل من السماء ليقود العالم الى المحبة والحق والخير والسعادة ، تربية تجعله يراقب الله فى كل شئونه ، فيكون مصدر خير ورحمة لأخيه الانسان ، ومنبع سعادة واحسان ينشر المحبة والاخاء والمساواة والعدل والحرية والسلام ، لأنه يعلم أن أوامر دينه لاتقتصر على العبادات فقط ، ولكنها تتناول كل أعماله ما يخفى منها وما يعلن ، ان هذه الأوامر معه فى كل مجال ، فى مكتبه وفى مصنعه ، فى مزرعه وفى متجره ، فى سره وفى علانيته ، فى سلمه وفى حربه، فاذا كان قائدا فى الحروب يرى أوامره تناديه لا تقتل الا من يقاتلك ، واذا كان معاهدا يرى أوامره تناديه ، وبعهد الله أوفوا ، واذا كان حاكما أو قاضيا يجد أوامره تناديه « ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » .

ان مثل هذا الانسان — الذى نشأ على الايمان، وتربى على الفضيلة ، والتزم بمنهج الله ، وكان من المتقين « الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، .... والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .... ولم يصروا على ما فعلوا » لايمكن أن يكون مصدرا للمشكلات التى تعانى منها البشرية ، لن يسرق ، ولن يكذب ، ولن يخون ، ولن يحقد ، ولن يحسد ولن يتآمر ولن ينقض عهدا ، ولن يظلم بريئا ، ولن يغتصب حق أحد ، ولن يفكر فيما يؤذى أخيه الانسان ، ولن يضر أحدا ، ولن يطمع فى مال أحد ولن يتعدى على حق أحد انه سيكون آية من آيات الله ، وعبدا من عباده «**الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا** سلاما..» سيكون رسولا للسلام والمحبة والرحمة والمودة والتعاون والتسامح والاخلاص والوفاء ، وبهذا الفرد وهو اللبنة الأولى فى المجتمع ، بهذا الفرد الذى التزم بمنهج الله ، وتخلق بأخلاق الله سوف يسعد المجتمع ، وسوف تسعد البشرية ويتحقق لها الأمن والأمان ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وتطمئن القلوب بذكر الله ..

(حديث فضل الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم) .

أخرجه النسائى — فى سننه — باب —(فضل التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم جـ ٣ ص ٤٤ .

عن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أبيه — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جاء ذات يوم ، والبشرى فى وجهه ، فقلنا : انا لنرى البشرى فى وجهك ، فقال : انه أتانى الملك ، فقال : يا محمد ، أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد ، الا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد ، الا سلمت عليه عشرا ؟) .

***

(ماجاء فى الأخلاص فى العمل وذم الرياء ، وترك النهى عن المنكر) .

حديث (أنا أغنى الشركاء عن الشرك) .

أخرجه الامام مسلم فى صحيحه — (باب تحريم الرياء) جـ ١٠ ص ٤٤٣ هامش القسطلانى .

حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ، أخبرنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال الله — تبارك وتعالى — أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيرى ، تركته وشركه .

الأمر بالمعروف.. والنهى عن المنكر.. من الإيمان

الدكتور موسى شاهين لاشين

عن طارق بن شهاب قال : أول من بدأ الخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام اليه رجل ، فقال : الصلاة قبل الخطبة . فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى الى المصلى ، فأول شىء يبدأ به صلاة العيد ، ثم يقوم فيتوجه الى الناس ، والناس جلوس على صفوفهم ، فيخطبهم ويعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، فان كان يريد أن يخرج طائفة من الجيش الى جهة من الجهات أخرج ، أو يأمر بشىء أمر به . ثم ينصرف واستمر العمل على هذه السنة فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، فلما كان معاوية ، وكان مروان أمير المدينة من جهته ، بدأ بالخطبة قبل صلاة العيد ، ورأى الغيورون على الاسلام أن عليهم واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، واجب الاتباع ، وأن عليهم أن ينبهوا الأمير ليعود الى السنة .

من هؤلاء الغيورون أبو مسعود عقبة بن عمرو الانصارى ، قام الى مروان وهو يتهيأ للصعود على المنبر ، فقال له : عليك بالصلاة قبل الخطبة ، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعبأ به مروان ، وقال له : قد ترك هذا الوضـع . فجذب أبو سعيد الخدرى مروان من ثوبه ليمنعه من ارتقاء المنبر فجذبه مروان « فارتقى فقال أبو سعيد : غيرتم والله سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مروان : قد ذهب ما تعلم . قال أبو سعيد : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ، وخطب مروان ، ثم صلى ثم قال لأبى سعيد : ان الناس لم يعودوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلت الخطبة قبل الصلاة للمحافظة على سماعها : قال أبو سعيد أما أبو سعيد مسعود فقد أدى ما عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد أديت ما على وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **من رأى أو علم منكم منكرا فليغيره وليزله بيده فـان لم يستطع الازالة باليد فليطلب ازالته وليهاجمه بلسانه فان لم يستطع استخدام لسانه فلينكره بقلبه ومن لم يكره المنكر ويغضب له فى نفسه ، ويمقته فى دخيلته ويغار على أمور ايمانه ، من لم يفعل ذلك فليس بمؤمن . لان ذلك أضعف الايمان .**

مذهب العلماء كافة أن خطبة العيد بعد الصلاة قال القاضى عياض : هذا هو المتفق عليه من مذاهب

علماء الأمصار وأئمة الفتوى ،ولا خلاف بين أئمتهم فيه ، وهو فعل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده .اه

والجمهور على أن مروان أول من قدم الخطبة على صلاة العيد والحديث الذى معنا نص فى هذا .

وقيل : ان عثمان فى شطر خلافته الأخير قدم الخطبة ، لأنه رأى من تفوته الصلاة ، فحرصا منه رضى الله عنه – على ادراك الناس الصلاة قدم الخطبة .

وقيل : ان – عمر رضى الله عنه – قدم الخطبة ، قال النووى بعد أن ساق القولين المذكورين وليس ما روى عنهما بصحيح .اه

فالمعتمد فى أول من قدم الخطبة هو قول الجمهور ، وأنه مروان حين كان أمير المدينة .

والسر فى عمله هذا أن الناس كانوا ينصرفون عن سماع خطبته ، ولم يكن يجلس لها بعد الصلاة الا عدد قليل ، وكان الكثير منهم يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سب من لا يستحق السب ، والافراط فى مدح من لا يستحق المدح ، فقصد أسماع الناس خطبته بهذا الأسلوب .

وهل كان دافعه احراج الناس ، والزامهم سماعه فحسب ؟ أو كان يهدف الى تحصيل ثواب أكثر لهم بسماعهم خطبة العيد ، فسماع الخطبة سنة يثاب عليها ؟ نميل الى الثانى والله أعلم بالسرائر .

هذا ، وبعد أن اشترط العلماء تقديم صلاة العيد على خطبته « اختلفوا فيمن خالف ذلك وقدم الخطبة على الصلاة ، فذهب الحنفية الى انه يسن تأخير الخطبة عن الصلاة ، ولكن يعقد بها ان قدمت وان كانت على خلاف السنة ولا يعيدها بعد الصلاة .

وجمهور الفقهاء على أنه لا يعتد بالخطبة اذا قدمت ، ويندب اعادتها بعد الصلاة ، وقيد المالكية ندب اعادتها الا بقرب الزمن عرفا فان طال الزمن بعد الصلاة فلا تعادان .

ومن هذا العرض يتضح أن موضوع **الأمر** بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذا الحديث هو مخالفة سنته ، من هنا ندرك مدى غيرة الصحابة على الدين ومدى قيامهم واهتمامهم بهذا الواجب حتى مع حكامهم ، نعم أنكر الرجل بلسانه واكتفى منه أبو سعيد بهذا الانكار **وقد أثار الامام النووى هنا اشكالا وجوابه فقال : قد يقال :**

كيف تأخر أبو سعيد – رضى الله عنه – عن انكار هذا المنكر حتى سبقه اليه هذا الرجل ؟ وجوابه انه يحتمل أن أبا سعيد لم يكن حاضرا أول ماشرع مروان فى أسباب تقديم الخطبة فأنكر عليه الرجل ثم دخل أبو سعيد وهما فى الكلام ويحتمل أن أبا سعيد كان حاضرا من الأول ، ولكنه خاف على نفسه أو غيره حصول الفتنة بسبب انكاره فسقط عنه الانكار ولم يخف ذلك الرجل شيئا ، لاعتضاده بظهور عشيرته أو غير ذلك أو أنه خاف وخاطر بنفسه ، وذلك جائز فى مثل هذا بل مستحب ويحتمل أن أبا سعيد هم بالانكار فبدره الرجل فعضده أبو سعيد . والله أعلم اه .

وهذه الاحتمالات التى ساقها النووى جوابا عن الاشكال لا تتفق وما رواه مسلم فى باب العيدين فقد روى عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر ، فيبدأ بالصلاة فاذا صلى صلاته وسلم قام فاقبل على الناس وهم جلوس فى مصلاهم ،فان كانت له حاجة يبعث ذكره للناس ، أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها ، وكان يقول : تصدقوا تصدقوا : وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف، فلم يزل كذلك حتى كان مروان بن الحكم فخرجت مخاصرا مروان (أى يده فى يده) حتى أتينا المصلى ، فاذا كثير بن الصلت قد بنى منبرا من طين ولبن فاذا مروان ينازعنى يده كأنه يجرنى نحو المنبر وأنا أجره نحو الصلاة ، فلما رأيت ذلك منه قلت : أين الابتداء بالصلاة ؟ فقال : لا : يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم قلت : كلا والذى نفسى بيده لا تأتون بغير مما اعلم . ثلاث مرار ثم انصرف .

فهذا الحديث يبعد تأخر أبى سعيد فى الانكار عن الرجل ويبعد أن يكون قد سكت خوفا على نفسه ، فى الوقت الذى لم يخف فيه الرجل أو خاف وخاطر ، بل هذا الحديث يثبت أن أبا سعيد

أنكر المنكر بيده ، ثم بلسانه بصورة أشد من صورة انكار الرجل والجمع بين الحديثين سهل دون حاجة الى هذه الاحتمالات ، فأبو سعيد حاول منع مروان بيده كما أنكر بلسانه فلما صعد مروان المنبر انكر الرجل فأيده أبو سعيد . ولا اشكال ولا حاجة الى القول بأنهما قضيتان .

وقد أفاد الكتاب والسنة واجماع الأمة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب فالقرآن يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

فهذه الآية صريحة فى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية وهو محل اتفاق بين من يعتد بهم من العلماء ولا يضر هذا الاتفاق ما ذهب اليه الشيخ أبو جعفر من الامامية من أنه فرض عين ولا ماذهب اليه الرافضة من أنه لايجوز الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا باذن الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم ، وهو لم يخرج بعد حسب عقيدتهم . **قال الغزالى : وهؤلاء** أخس رتبة من أن يكلفوا بل جوابهم أن يقال لهم اذا جاءوا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم : ان نصرتكم أمر بالمعروف ، واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الامام الحق لم يخرج بعد .اهـ .

ولا يضر فى هذا الاتفاق أيضا ما ذهب اليه المعتزلة من أن وجوبه بالعقل لا بالشرع لكن هؤلاء المتفقين أخلفوا فى الواجب على الكفاية « هل هو واجب على جميع المكلفين ويسقط عنهم بفعل بعضهم ؟ أو هو واجب على البعض ؟

ذهب الامام الرازى وأتباعه الى أنه واجب على البعض للاكتفاء بحصوله من البعض ولو وجب على الكل لم يكتف بفعل البعض ، اذ يستبعد سقوطا الواجب على المكلف بفعل غيره .

وذهب الجمهور الى أنه واجب على جميع المكلفين وهو ظاهر نص الامام الشافعى فى الأم واستدلوا على ذلك باثم الجميع بتركه ، ولو لم يكن واجبا عليهم كلهم أثموا بالترك . وفى المسألة بحث طويل يطلب من محله .

ومعنى كونه فرض كفاية أنه اذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين واذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ، وقد يكون الأمر بالمعروف فرض عين، كما اذا كان فى موضع لا يعلم به الا هو، أو لا يتمكن من ازالته الا هو ، كمن يرى زوجته أو ابنه على منكر .

وقد أوضح الحديث أن انكار المنكر على درجات مرتبة على معنى أنه تجب الدرجة الأولى وهى التغيير بالجوارح لمن قدر عليها ، ولا يغنى عنه الاكتفاء بالدرجة الثانية والاقتصار على اللسان الذى لا يغير المنكر مع القدرة على الدرجة الأولى .

وليس معنى ذلك أن المكلفين مطالبون باستعمال جوارحهم قبل استعمال ألسنتهم بل الواجب استعمال الأخف أولا ، فاذا لم ينجح فى تغيير المنكر استعمل ما فوقه شدة فيبدأ مثلا بالتعريف وتنبيه المرتكب الى أن ما يرتكبه منكر ، فقد يقدم على المنكر الجاهل بأنه منكر ، فاذا عرف أنه منكر تركه كمن لا يحسن الصلاة .

فاذا لم ينفع التعريف فى تغيير المنكر انتقل الى النهى والوعظ والنصح والتخويف ، فاذا لم تنجح هذه الوسيلة فى تغيير المنكر مع القدرة على منعه بالجوارح وجب استعمال الجوارح .

فالآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ينبغى أن يكون كالطبيب مع المريض ، كل همه العلاج من أسهل الطرق ، فاذا كان لابد من الكى والبتر من أجل صلاح باقى الجسم وجب الكى والبتر .

وفى حد الاستطاعة التى يتعرض لها الحديث بقوله : « **فان لم يستطع** » خلاف بين العلماء فمنهم من يذهب الى وجوب تحمل الأذى فى سبيل الأمر بالمعروف الا أن يصل الى الخوف على النفس بل منهم من يرى الانكار بكل حال وان قتل ونيل منه كل أذى وبعضهم يرى أن خوف المكروه يحقق عدم الاستطاعة .

والتحقيق أن الأمر يختلف باختلاف نوع الأذى ومدى احتماله ، ونوع المنكر ومدى خطورته ، والأثر الحسن أو القبيح المترتب على هذا الانكار . وللامام الغزالى فى هذا المقام كلام نفيس نلتقط منه بعضه ، قال : رحمه الله — واعلم أنه لا يقف سقوطا لواجب على العجز الحسى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذلك اذا علم أن انكاره لا ينفع .

فان اجتمع المعنيان : بأن علم أن كلامه لا ينفع وخاف أن يضرب ان تكلم فلا يجب عليه الأمر بالمعروف ، فان علم أن انكاره لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة ، لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين ، وذهب بعضهم الى وجوبها بناءعلى أن الواجب الأمر بالمعروف لا القبول قال تعالى : **« ما على الرسول الا البلاغ »** .

فان علم أنه يصاب بمكروه ، ولكن يبطل المنكر بفعله ، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب . ثم قال ويستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر أو فى كسر جاه الفاسق ، أو فى تقوية قلوب أهل الدين وأما اذا رأى فاسقا متغلبا ، وعنده سيف وبيده قدح ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته ، فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك ، وتعريض النفس للهلاك من غير أثر لا وجه له بل ينبغى أن يكون حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه فان علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه فلا تجوز له الحسبة ، بل تحرم .

ثم قال : والظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم . اهـ بتصرف .

والمقصود من تغيير المنكر بالقلب كراهيته ومقته وبغضه ، اذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها ، ومظاهر هذا الانكار فى اكفهرار الوجه أمامه ، وعدم حضور موضعه ، **قال تعالى :**

« واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

وظاهر الحديث أن انكار المنكر باليد عام حيث قدر عليه الآمر فيشمل انكار الابن على أبيه والزوجة على زوجها ، والعبد على سيده لكن هذا العموم يتعارض مع قوله تعالى فى حق الولد مع والديه **« فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما »** . **« وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا »** .

وفى هذا يقول الغزالى : والذى نراه أن للولد الحسبة بالتعريف ، ثم بالوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب .

ثم قال : وهذا ينبغى أن يجرى فى العبد مع سيده وفى الزوجة مع زوجها .اهـ

وعموم الحديث فى قوله : « من رأى منكم منكرا » يشمل العالم والجاهل . فكل من يعلم أنه منكر يجب عليه أن ينكره ، ولا يختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالعلماء وأصحاب الولايات .

كل مافى الأمر أن الذى يأمر وينهى هو العالم بما أمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف باختلاف الآمر والمأمور به فان كان المأمور به من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام أو كان المنهى عنه من المحرمات الواضحة كالزنا والخمر ، فكل المسلمين علماء بها واجب على آحادهم كما هو واجب على علمائهم وان كان وجوبه على العلماء بصفة أشد اذ فيهم قوة الانكار ، ولهم تزيد الاستجابة ومنهم تؤخذ أحكام الشريعة .

وان كان المأمور به أو المنهى عنه من دقائق الأفعال والأقوال كان الامر بالمعروف واجب العلماء .

ثم انهم ينبغى لهم ألا ينكروا أمرا مختلفا فيه وهو محل للاجتهاد ، فليس للحنفى أن ينكر

عن الشافعى أكله للضب مثلا ، لأن كل مجتهد مصيب عند كثير من المحققين ، وعلى الرأى الآخر المصيب واحد ، والمخطىء غير متعين لنا ، والاثم مرفوع عنه ، نعم ان ندبه على جهة النصيحة — الى الخروج من الخلاف فهو حسن مندوب اليه برفق فان العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف اذا لم يلزم منه اخلال بسنة ، أو وقوع فى خلاف آخر .

ولا يشترط فى الآمر الناهى أن يكون كامل الحال، **متمثلا لما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر وان كان مخلا بما يأمر به والنهى وان كان متلبسا بما ينهى عنه فانه يجب على المسلم شيئان.**

١ — أن يأمر نفسه وينهاها — أى يمتثل حكم الشرع .

٢ — وأن يأمر غيره وينهاه ، فاذا أخل بأحدهما فانه لا يباح له الاخلال بالآخر

وأما قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » فهو توبيخ على نسيان النفس لا على الأمر بالبر « وقوله تعالى : **« يأأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .**

فهو فى قوم قالوا : لو نعلم أى الأعمال أحب الى الله لعملناه ، فالتوبيخ مداره فى الحقيقة عدم فعلهم ، لا قولهم ، فالمعنى : لم لا تفعلون ؟ وليس فى الآيتين ما يمنع الأمر بالمعروف للمخل به.

ولا يتعارض فى وجوب الأمر بالمعروف مع قوله **« يأأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »** اذ الاهتداء لا يتم الا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « فان تركه من القدرة عليه ضلال فالمعنى : اذا استقمتم فى أنفسكم وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا يضركم ضلال من يضل فهو قريب من قوله تعالى : ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وقد روى أن أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — صعد المنبر — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، انكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة « يأأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » الآية .

والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله تعالى منه بعقاب .

هذا وليس من حق الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يتجسس للبحث عن المنكرات وتتبعها.

فان كل من ستر معصيته فى داره ، وأغلق عليه بابه لا يجوز أن يتجسس عليه لأن الله نهى عن التجسس ، وقد روى أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — تسلق دار رجل ، فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه. فقال: يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه . فقال وما هى ؟ فقال: قد قال الله تعالى : **«ولاتجسسوا»** وقدتجسست، وقال تعالى : **« وأتو البيوت من أبوابها »** وقد تسورت من السطح . وقال **« ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها »** وما سلمت . تركه عمر ، وشرط عليه التوبة .

نعم ان علم منكرا يجب ادراك خطره وهو قادر على دفعه ، جاز له التجسس ثم اقتحام الدار ، وفى هذا يقول الماوردى : ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات فان غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت فذلك ضربان : أحدهما أن يكون ذلك فى انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزنى بها . فيجوز له فى مثل هذا الحال أن يتجسس ، ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات مالايستدرك. الضرب الثانى : ما قصر عن هذه الرتبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه ، فان سمع أصوات الملاهى المنكرة من دار أنكرها خارج الدار ، ولم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر ، وليس عليه أن يكشف عن الباطن .

وعلى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أمور منهـــا :

١ — أن يكون رفيقا فى دعوته ليكون أدعى الى القبول ، فقد قيل : ان المأمون وعظه واعظ ، فعنف فى القول فقال له : يا رجل ارفق فقد بعث

الله من هو خير منك الى من هو شر منى ، وأمر بالرفق فقال : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

٢ — وأن يكون مسرا بانكاره ، فقد قال الشافعى : من وعظ أخاه سرا نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

٣ — وألا يسرف فى الكلام والوعظ لئلا ينفر المرتكب .

٤ — وأن يكون حليما صبورا يتحمل جهل الجاهل وسفهه ، ولذلك قرن الله الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان « يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور .

٥ — وأن يكون على جانب طيب من حسن الخلق ، فان فاقد الشىء لا يعطيه ، وهداية الغير فرع هداية النفس ، ولا يستقيم الظل والعود اعوج .

هذا أرباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم القدر ، جليل الشأن ، بالغ النفع شديد الخطر ، به كانت الأمة الاسلامية خير أمة قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وبسبب التقصير غضب الله على اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازين قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » .

وقد قلت عناية المسلمين به فى هذا العصر، حتى ندر منهم الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر جبنا من السطوة حينا ، وحرصا على الدنيا أحيانا تركوه خوفا على الصداقة والمودة ، ونسوا ان المودة توجب حقا وحرمة وحقها النصح والهداية الى سواء السبيل ، وحرمتها الانقاذ من النار .

تركوه مداهنة للرؤساء ، وطلبا للمنزلة عندهم وابتغاء رضاهم للوصول الى عرض زائل حقير ، ونسوا أن الأمر كله لله ، وانه لو اجتمع أهل السماء والأرض على أن ينفعوا لم ينفعوا الابشىء قد كتبه الله .

نرى فى المساجد المسيئين فى صلاتهم ثم لانكترث بنصحهم ونسمع الغيبة والنميمة عشرات المرات فى اليوم الواحد ونبتسم لقائلها ، ونرى المتكلمين فى الطرقات من الشباب يعاكسون الفتيات ،فنهز أكتافنا ثم نمضى كأنه لا يعنينا . واصبح عرى النساء وكشفهن العورات ومواطن اثارة الغرائز وضعا مألوفا ، والاحتشام والتستر أمرا غريبا ، بل أصبحت القوانين المدنية تدعو الى عدم التعرض للمنكر الذى حصل بتراضى الطرفين ، ولاشك أن عدم التعرض للمنكر منكر ، فهى صراحة تأمرنا بالمنكر وتنهانا عن المعروف .

وتلك سمة اختلاف الزمان وتغير الحال وقرب الانتقام من الحليم المتعال ، وقد أخبر الصادق المصدوق بما نحن عليه اليوم اذ قال لأصحابه : كيف أنتم اذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم وتركتم جهادكم ؟ وقالوا : وان ذلك لكائن يارسول الله ؟ قال : نعم : والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم . والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله .؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف انتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم .

وقد تحققت كل هذه المساوىء فى زماننا فاستنصرنا فلم ينصرنا الله ودعا خيارنا فلم يستجب لهم وسلط الله علينا من لا يوقر كبيرنا ولا يرحم صغيرنا ، ولا يصون اعراضنا ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولا سلامة الا بالرجوع الى دين الله .

وكلنا راع وكلنا مسئول .

فاللهم أكشف عنا الغمة ، واهدنا سواء السبيل انك رءوف رحيم .. » .

عزة الايمان

فضيلة الدكتور الحسيني هاشم

فى رحاب الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر تكون العزة والطمأنينة وعندما لا يخشى المؤمن الا الله وحده لا شريك له تتنسم حياته بالعزة الحقة فهو سعيد آمن مطمئن فى دنياه قوى بالله وقوته خير للمجتمع الانسانى لأنه يخشى الله ولا يخشى فى الله لومة لائم فهو واضح خير ظاهره كباطنه صفاء وطهر بعيد عن النفاق والغدر ليستمد قوته وقوانينه من خالقه وخالق الكون وواهب الحياة والموت فمده لا ينفذ وصدق الله تعالى :

((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون))(١) .

وشتان بين من تستعبده الشهوات والأموال والحاجة فيذل ويضعف للمخلوقات وبين من لا يخشع ويركع الا لله القادر على كل شىء الخالق لكل شىء المطلع على كل شىء عقيدة المؤمن الاستعانة بالله وما دام على الحق فالأمة كلها لا تستطيع أن تذله وهو يعلم أن كل أمر بيد الله ولو اجتمع أهل الدنيا على أن يضروه بشىء لم يكتبه الله لكان مصيرهم الفشل وكذلك لا ينفعوه الا بأمر قد كتبه الله ولذا فهو متجه الى الله عابد **ومستغفر ومطيع ومنفذ لتعاليمه وقارىء لكتابه . عن ابن عباس قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف رواه الترمذى وفى رواية غير الترمذى احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا فالمؤمن مع الله فى رخائه ويسره وفى شدته وكربه متطلع الى رحمته مؤمل فى غفرانه متوكل عليه راض بقضائه واثق فى نصر الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) ومقاييس الايمان والعزة ليست بالمال ولكن بالتقوى مع الثراء أو الفقر قال تعالى ((ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) .**

---

(١) المنافقون : آية ٨

ليست بالجسم وحجمه وانما بالتقوى والتقوى محلها القلب وأثرها الأفعال الصادقة **قال صلى الله عليه وسلم « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم »** وكل مسلم له قلب يستطيع أن يطهره ويزكيه ويملأه علما ونورا وتقوى ويثمر كل ذلك أفعالا حميدة لعز الاسلام وأهله روى عبد الله بن دينار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى قال عبد الله ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ـ ثم قالوا حدثنا ما هى يا رسول الله قال فقال هى النخلة قال فذكرت ذلك لعمر . قال لأن تكون قلت هى النخلة أحب الى من كذا وكذا فالمؤمن كله خير فى كل أحيانه بما أعزه الله بالعقيدة الصادقة الطاهرة** المطهرة وسبيل المؤمن هو سبيل الله المستقيم ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن يبتغ غير سبيل الله ويتبع السبل البشرية الشيطانية تفرق عن سبيل الله ويلق جزاءه قال تعالى :

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »(١) .

ومن يعادى الله رسوله ويتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين المتقين فالويل له ومأواه جهنم وساءت مصيرا فيقول الله تعالى :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »(٢) .

ولزوم سبيل المؤمنين وجماعة المسلمين والتعاون معهم والتضامن والعمل على وحدتهم أمر أوجبه الاسلام .

قال صلى الله عليه وسلم : « ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » (ومن شذ عن الجماعة فقد شذ فى النار) .

ويقول ابن قيم الجوزية : « فالعاملون بكتاب الله ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل الى مقصوده والطريق الموصل الى الهلكة فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم وهم الهداة وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم الى يوم القيامة فانهم نشئوا فى سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة الى الهلاك وعرفوها مفصلة ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات الى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم فخرجوا من الظلمة الشديدة الى النور التام من الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى العلم من الغى الى الهدى والبصائر فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به وعرفوا مقدار ما كانوا فيه فان الضد يظهر حسنه الضد فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا اليه ونفرة وبغضا لما انتقلوا عنه وكانوا أحب الناس فى التوحيد والايمان والاسلام وأبغض الناس فى ضده عالمين بالسبيل على التفصيل وفى ذلك المعنى يقول الرسول **صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف به فى النار »** متفق عليه .

فالمؤمنون موقنون من سبيلهم ، وسبيلهم واضحة فيها سعادة وعز وطمأنينة وأمن وسلام فهم متمسكون بحقهم شاكرون فضل الله عليهم يجدون للايمان حلاوة لأنهم أحبوا الله ورسوله مضاعفا ايمانهم واشرق الايمان فى صدورهم فهم على نور من ربهم يكرهون أن يعودوا الى الظلمات التى أنقذهم الاسلام منها كما يكرهون أن يقذف بهم فى النار الحامية .

وبهذه العقيدة دعوا الناس الى رب الناس وفتحوا الأمصار والدنيا واجتمعت عليهم وعلى دينهم القويم قلوب السعداء وارتضوا سبيل المؤمنين .

يقول ابن قيم الجوزية . والناس أربع فرق :

الأولى : من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علما وعملا وهؤلاء أعلم الخلق .

الفرقة الثانية : من عميت عنه السبيلان من أشباه الانعام وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك .

الثالثة : من صرف عنايته الى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة . ، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل .

وقد كتبوا الى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة أيهما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تر بباله ورجل نازعته اليها نفسه يتركها لله فكتب عمر أن الذى تشتهى نفسه المعاصى ويتركها لله عز وجل من « الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

فاللهم عرفنا سبيلك المستقيم سبيل المؤمنين الهادية الى المغفرة والأجر العظيم وجنبنا المعاصى والآفات ووفق المسلمين الى العمل بكتابك .. يا رب العالمين ..

---

(١) الانعام ١٥٣
(٢) النساء ١١٥

صفحات من التراث

أبو حامد الغزالى .. وجواهر القرآن

٢

الأستاذ مصطفى كامل خطاب

مرة أخرى مع كتاب « جواهر القرآن » الذى يعد أحد كنوز التراث العربى الاسلامى الثمينة ، التى تتميز بالمنهج العلمى الدقيق ، والتحليل المنطقى المقنع ، وهو يتصدى لمحاولة فريدة ـ لم يناظره فيها أحد ـ هى دراسة طريفة لمعجزة الاسلام الكبرى .. بلغت الغاية هدفا ونتيجة ...

ان من يتناول هذا المصنف النفيس بجدية وامعان ، يرى صورة معبرة عن شخصية اسلاميه فذة ، ويجد مثلا رائعا لعقلية جبارة ، وبصيرة نافذة ، أودعها الايمان العميق بالله ، قوة خارقة ، تهتك حجاب الظاهر ، لتكشف مكنون السر ، وراء الاشارات والرموز، التى تفضى بالتأمل والمجاهدة الى معرفة العلاقة بين عالم الملك والشهادة وعالم الغيب والملكوت ، لنصل الى اليقين المطلق ، بأن القرآن الكريم ، جامع لكل العلوم التى لابد من وجود أصولها فى العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى، والسفر اليه ، الله الذى لا يتناهى العلم فى حقه ، وأن علوم الدنيا تجد أوائلها فى ثنايا آياته ، وأن جميعها متفرقة فى بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وصدق الله العظيم حيث يقول « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » وفى موضع آخر «ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » .

نعم لقد كان الغزالى من أولئك العلماء الذين يصدق فيهم قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » عمل بما علم فآتاه الله علم ما لم يعلم ...

ونود قبل أن نواصل الحديث عن هذه الدراسة ، أن نوجه عناية القارىء الكريم الى أنه قد يجد بعض الصعوبة فى متابعة التقسيمات الكثيرة التى حفل بها هذا الكتاب، فقد تتداخل شروح الغزالى لبعض هذه الأقسام فى شروح أقسام أخرى ، الا أن المدقق لا يعتبر ذلك خلطا أو خللا فى المنهج، فقد يكون لمقتضى الضرورة والالحاح فى صدق التحليل وقصد الايضاح .

أولا ـ علوم الدين :

بعد أن صنف الغزالى آيات القرآن الكريم ـ وكلها كلام الله الذى لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ورتبها حسب غرض النزول ، حيث قسمها الى عشرة أقسام هى ذكر الذات وذكر الصفات ، وذكر الأفعال ، وذكر المعاد ، وذكر الصراط المستقيم ويشتمل على جانبين هما التزكية والتحلية، وذكر أحوال الأولياء ، وذكر أحوال الأعداء وذكر محاجة الكفار ، وذكر حدود الأحكام .. وبعد أن استعار الكل منها نوعا من الجواهر ، محاولا تجسيد المعانى الروحية ، فى مظاهر حسية ، ليقربها الى الذهن ، بوعى ملهم ، وفكر أصيل ، يؤكد مدى ما بلغه هذا العالم ، من المام واسع، ونظر ثاقب ، فى مختلف الفنون والمعارف الانسانية، راجيا أن يضع المزيد على أول طريق الكشف عن أسرار هذه الآيات ، وما تنطوى عليه الفاظها ومبانيها ، من اشارات ورموز خفية ، أملا أن يدفع المجتهد الى مزيد من الادراك لعناصر المقابلة بين عالم الملك والشهادة ، وعالم الغيب والملكوت على قدر اجتهاده ليكون من المهتدين كما فى قوله تعالى « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » وليقف فى النهاية على بعض أسباب الاعجاز الفكرى والعلمى الذى خص الله به كتابه العظيم فى قوله تعالى « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » وليقر فى قلبه مدى تأثير القرآن على هذا الكون كما يصوره فى قوله تعالى « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** » .

ويقرر الغزالى أن جميع العلوم تتشعب من الأقسام العشرة التى أشرنا اليها ، ويستعين بأحد أساليب البيان ليحدد فحوى كل علم ورتبته بالقرب أو البعد عن المقصود ، بل ويتطرق الى مرتبة المشتغل به بالنسبة الى غيره من أصحاب العلوم الأخرى ليطلعنا على مدى الحاجة الى كل علم ودرجة الاهتمام الواجب به والاستفادة المنشودة من هذه العلوم .

ولكى يبرر هذه التقسيمات يقول « ان لهذه الحقائق أسرارا وجواهر ولها أصداف والصدف أول ما يظهر ثم يقف بعض الواصلين الى الصدف على الصدف ، وبعضهم يفتق الصدف عن الجوهر والدر » ..

ولذلك يفرق الغزالى هنا بين نوعين من العلوم علوم الصدف والقشر وعلوم اللباب ، ويندرج تحت كل من هذين التقسيمين تقسيمات فرعية اخرى سنحاول أن نفصل الكلام فى كل منها بقدر توفيق الله لنا على النحو التالى :

١ ـ علم الصدف والقشر :

يرى الغزالى أن هذا النوع من العلوم ليس على رتبة واحدة بل للصدف وجه الى الباطن وملاق للدر قريب الشبه به لقرب الجوار ودوام المماسة ووجه الى الظاهر الخارج ، قريب الشبه بالأحجار لعدم الجوار وعدم المماسة .

ويعتبر الغزالى أن صدف جواهر القرآن وكسوته هو اللغة العربية ويتشعب منها خمسة علوم هى :

(أ) علم لغة القرآن وهو الذى يشتمل عليه ترجمان القرآن وما يغار به من علم قريب الفاظ القرآن .

(ب) علم اعراب اللغة أو ما يسمى بعلم النحو فهو من وجه يقع بعد علم اللغة لأن الاعراب بعد المعرب ولكنه فى الرتبة دونه بالاضافة اليه لأنه كالتابع للغة .

(ج) علم القراءات وهو ما يعرف به وجوه الاعراب وأصناف هيئات التصويت وهو أخص بالقرآن من اللغة والنحو ومع ذلك فهو من الزوائد التى يمكن الاستغناء عنها دون اللغة والنحو اللذين لا غناء عنهما وصاحبا هذين العلمين أرفع قدرا من صاحب علم القراءات .

(د) علم مخارج الحروف الذى يتعلق بالصوت ويتولى صاحب هذا العلم تصحيح مخارجه فى الأداء والتصويت **ويعتبره الغزالى علم القشر البرانى** البعيد عن باطن الصدف .

ويعلق المؤلف على هذا العلم بأن الجهل قد انتهى بطائفة الى أن ظنوا أن القرآن هو الحروف والأصوات وبنى على ذلك بأنه مخلوق لأن الحروف من الأصوات مخلوقة وما أجدر هؤلاء بأن يمنعوا أو يشدد عليهم أفلا يكفيهم مصيبة بأنه لم يلح لهم من عوالم القرآن وطبقات سماواته الا القشر الأقصى ويضيف أن ما نراه الآن من تفنن بعض قارئى القرآن فى تلاوته الى حد يصل الى التلحين والغناء ربما صرف الكثيرين من السامعين عن تدبر معانيه لانشغالهم بمتابعة التصويت والتخريج الذى لا يليق بجلال كلام الله .

(هـ) علم التفسير الظاهر ، وقد أشار اليـه الغزالي فى شىء من التفصيل ، اذ اعتبره الطبقـة الأخيرة من الصدفة القريبة من مماسة الدر ، ولتقارب الشبه ظن البعض أنه الدر نفسـه ، الذى ليس وراءه ما هو انفس منه ، ولذلك قنع به أكثر الخلق ، وما أعظم غيهم ، وحـرمانهم ، لاعتقادهم أنه لا رتبة وراء رتبتهم ... ولـكن الغزالى مـع ذلك لا يغمطهم حقهم فيقـول انهم بالاضافة الى من سواهم من أصحاب علوم الصدف على رتبة شريفة عالية ، اذ أن علم التفسير عزيز بالنسبة الى العلوم الأربعة التى ألمحنا اليهـا آنفا ، وعليه ذلك أن هذه العلوم مرادة ومطلوبة لعلم التفسير اذ لابد أن يكون المفسر ملما بعلوم اللغة وغيب ألفاظ القرآن وعلم النحو وما الى ذلك حتى يستطيع تحديد المعـانى وايضـاح المرامى ، والا فكيف يضطلع بهذه المهمة ؟ ..

ومع أن هذه العلوم — فى نظر الغزالى — هى **علوم الصدف والقشر من بين علوم الدين ، الا** أن أصحاب هذه العلوم اذا قاموا بشرط علومهم وحفظوها وأدوها على وجهها ، فيشكر الله — سعيهم ، وينقى وجوههم ، تأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرا سمع مقـالتى فوعاها وأداها كما سمعها ، فرب حامل فقه الى غير فقيه ، رب حامل فقه الى من هو أفقه منه وهؤلاء سمعوا وأدوا فلهم أجر الحمل والأداء ، سواء كان الأداء الى من هو أفقه منهم أو الى غير فقيـه » .

ويزيد الغزالى الأمر ايضاحا فيرى أن المفسر المقتصر فى علم التفسير على حكاية المنقول سامع ومؤد ، كما أن حافظ القرآن والاخبار حامل ومؤد ، كما فى علم الحديث ، فدرجة معلم القرآن الحافظ له ، ودرجة من يعرف ظاهر معـانيه ، كدرجـة المفسر ، ودرجة من يعرف أسامى الرجال كدرجة اصل النحو واللغة لأن السند والرواية آلة النقل وأحوالهم فى العدالة شرط اصلاح الآلة للنقل ، ولذلك فان معرفتهم ومعرفة أحوالهم ترجع الى معرفة الآلة وشرط الالة اى انهم مجرد قنوات اتصال فاذا كانت هذه القنوات محكمة وقادرة على الابلاغ بوضوح وامانة ، كانـوا جـديرين بالشكر وتنضير الوجه ، حيث وعوا وأدوا ماوعوه وعرفوه .

فهل هناك عبارة ادق واعمق فى تصنيف العلوم وبيان مراتبها ودرجات أصحابها من تخريج الغزالى لمـا أسماه بعلوم الصدف ؟ ...

ثانيا — علم اللباب :

ويسير الغزالى على نهجه فى التصاعد بمراتب هذه العلوم ، من القشر الأقصى — كما رأينا — وحتى اللباب الأصفى الذى فرق الكلام فيه الى طبقتين الطبقة السفلى التى تبحث فيما أسماه بعلوم التوابع المتمة والطبقة العليا وتضم العلوم التى تشتمل عليها الأصول والسوابق المهمة .

وسنفصل الكلام فى هاتين الطبقتين على النحو الآتى :

١ — الطبقة السفلى :

وينقسم الكلام فى العلوم التى تشتمل عليهـا التوابع المتمة وهى ثلاثة الى :

(أ) علم قصص القرآن . ويكتفل به القصاص والوعاظ وبعض المحدثين ومن وجهة نظر الغزالى أن هذا العلم لا تعم الحاجة اليه .

(ب) علم محاجة الكفار الذى يندرج تحته علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبـدع وازالة الشبهات ويتكفل أصحابه وهم المتـكلمون حيث يرى الغزالى أن هدف هذا العلم هو دراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ولا يكون هذا العلم مليا بكشف الحقائق .

ومن يعرف أن يقف على رأى الغزالى فى هذا العلم فعليه أن يقرأ باسهاب فى عدد من مصنفاته مثل الرسالة القدسية والاقتصاد فى الاعتقـاد وتهافت الفلاسفة والمستظهرى وقواصم الباطنية ومفصل الخلاف فى أصول الدين .

أما آلة هذا العلم فهى المجادلة وطرق المحاجة والبرهان حيث شرح ذلك كله فى مصنفيه محك النظر ومعيار العلم ، اى ان المقصود بهذا العلم هو تنقية العقيدة مما يثير أصحاب البدع من قضايا تشكك فى سلامة النظرة الى الدين الحنيف .

(جـ) علم الحدود الموضوعة أى علم الفقه الذى يهدف الى شرح الاختصاصات المالية أى **ربع المعاملات — والاختصاصات بحمل الحراثة** أى ربع النكاح .. وشرح أسـباب الزجـر عن مفسدتها أى ربع الجنايات ... وقد نقلنا من كلام الغزالى فى هذا المجال ما يشفى الغلة وذلك عند الحديث عن تعريف منازل الطريق فى بداية هذه الدراسة ...

وهذا العلم تعم الحاجة اليه لتعلقه بصلاح الدنيا ثم بصلاح الآخرة ولذلك تنال الشهرة والتوقير المشتغل به ، ويتقدم على غيره من الوعاظ والقصاص ، بل على المتكلمين أيضا .

ويتميز هذا العلم « بمزيد بحث واطناب ، حتى كثرت فيه التصانيف لاسيما فى الخلافيات فيه ، مع أن الخلاف فيه غريب والخطأ فيه بعيد عن الصواب ، اذ يقرب كل مجتهد أن يقال له مصيب فيكون له أجرا ، أو يقال ان له أجرا واحدا .

ويضيف الغزالى فى ابرائه لميزات هذا العلم وخصائصه ، انه لما عظم فيه الجاه ، توفرت الدواعى على الافراط فى تفريعه وتشبيعه وأنه هو ذاته صرف شطرا صالحا من العمر فى الاشتغال به ، وأنه صنف فيه البسيط والوسيط والوجيز، وأن فى كتابه (خلاصة المختصر) الكفاية ولو أنه أصغر التصانيف فى هذا العلم ...

ويصور الغزالى حالة من اشتغل بهذا العلم من الأولين ، فيقرر « أنهم كانوا يفتون فى المسائل وما على حفظهم أكثر منه ، وكانوا يوفقون للاحسابة أو يتوقفون ويقولون لا ندرى ، وأذكر هنا قول مالك بن أنس » « من قال لا ادرى فقد أفتى » زيادة فى الحرص ، وخشية الزلل أو الشطط فى الأحكام بغير مقاصد الشريعة .

ويتولد من بين الفقه والقرآن والحديث الشريف علم أصول الفقه الذى يرجع اليه فى ضبط قوانين الاستدلال بالآيات والأخبار على حكم الشريعة فيما يعرض من مسائل بالعقل والمنطق .

ويرى الغزالى أن الفقيه أو المتكلم اذا أضاف الى صناعته سلوك الطريق الى الله تعالى ففضله على غيره من أصحاب العلوم التى أشرنا اليها كفضل الشمس على القمر وفى كل خير .

---

٢ ـ الطبقة العليا :

وتشتمل على علوم السوابق والأصول المهمة ويقسمها الغزالى الى :

(أ) العلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك الى الله ويبحث فى كيفية تزكية النفس وقطع عقبات الصفات المهلكات كالشره والغضب ، والمكر والرياء والعجب والحسد وحسب الجاه وحب المال وغيرها ، وكيفية تحليتها بما يزينها من الصفات المحمودة ، كالزهد والتوكل والرضا والصدق والاخلاص وغيره .

وقد أطلق الغزالى على الصفات الذميمة الأولى (ربع المهلكات) وعلى الصفات الحميدة الثانية (ربع المنجيات) وفصل الكلام فيهما على أروع ما يكون السرد والتحليل فى كتاب « احياء علوم الدين عمدة مصنفاته الذى يرشد فيه الى طريق قطع كل عقبة من عقبات النفس ، ورفع **كل حجاب من حجبها .**

ويضع الغزالى هذا العلم فى رتبة فوق علمى الفقه والكلام ، معللا ذلك بأنه علم طريق السلوك ، وذلك علم آلة السلوك واصلاح منازله ، ودفع مفسدته ، وأرى أنه نظر سليم ، وتعليل مستقيم ، فالفرق بين بين سلوك الطريق **وآلة هذا السلوك** ، وليس من علم ولم يعمل بما علم ، كمن علم وعمل بما علم .

(ب) العلم باليوم الآخر وهو ما أشار اليه الغزالى بتعريف الحال عند ميعاد الوصول ويشتمل هذا العلم على ذكر مقدمات أموال العباد عند الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ... ثم ذكر الروح والريحان والنعيم للواصلين والخزى والعار والعذاب للكافرين والمجاهدين ، وحقيقة هذا العلم معرفة نسبة العبد الى ربه عند تحققه بالمعرفة ، أو مصيره محجوبا بالجهل..

(جـ) علم معرفة الله تعالى وهو أعلى العلوم وأشرفها لأن سائر العلوم تراد له ومن أجله ، **وهو لا يراد لغيره .**

ويرى الغزالى أن الانسان لا يستطيع أن يرقى فيه الا بالتدريج من الأفعال الى الصفات ثم من الصفات الى الذات ، وهذه الطبقة الأخيرة لا يحتملها أكثر الافهام ، ولذلك قيل للناس ، (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله) ويضرب مثلا على ذلك التدريج بما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ملاحظته ونظره حيث قال (أعوذ بعفوك من عقابك) فهذه ملاحظة الفعل ، ثم قال (وأعوذ برضاك من سخطك) وهذه ملاحظة الصفات . ثم قال (وأعوذ بك منك) وهذه ملاحظة الذات ، فلم يزل يترقى بالقرب درجة درجة ثم فى النهاية اعترف بالعجز فقال (لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما اثنيت على نفسك) ، فهذا أشرف العلم .

ويضيف الغزالى الى انه لا يصلح اظهار هذا العلم الا على من أتقن علم الظاهر ، وسلك فى قمع الصفات المذمومة من النفوس وطرق المجاهدة ،

حتى ارتاضت نفسه ، واستقامت على سواء السبيل ، فلم يبق له حظ فى الدنيا ، ولم يبق له طلب الا الحق ، ورزق مع ذلك الفطنة والذكاء، والشفافية والصفا .

ثانيا : علوم الدنيا :

يفترض الغزالى أن البعض سأله قائلا أنت تزعم أن القرآن يشتمل على علوم الأولين والآخرين، بينما أنه توجد علوم أخرى لم نذكرها ضمن ما عددته من العلوم التى فصلتها شرحا وتحليلا.

ويرى الغزالى بمنطق المتمكن أن ما ذكر من العلوم الدينية التى قصد القرآن الكريم الى التعريف بها وهى العلوم التى لا خلاف فيها ولا اختلاف عليها ، ولا غناء عنها لبلوغ الانسان الغاية من وجوده .

ونحن نعلم أن الله يقول « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ...** » ومع ذلك يستطرد الغزالى قائلا « ولعلك تقول أن العلوم وراء هذه كثيرة ، كعلم الطب والنجوم ، وهيئة العالم . وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه ... وغير ذلك فاعلم أنا انما أشرنا الى العلوم الدينية أكثر لابد من وجود أصلها فى العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر اليه ، أما هذه العلوم التى أشرت اليها فهى علوم ولكن لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والمعاد .

ويزيد الغزالى اجابته ايضاحا فيقول « ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التى لا يتمارى فيها أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج الى الوجود وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها وعلوم كانت قد خرجت الى الوجود واندرست، وعلوم أخر ليس فى قوة البشر أصلا ادراكها ... فان الامكان فى حق الآدمى محدود ... وانما الله سبحانه هو الذى لا يتناهى العلم فى حقه » .

ومع ذلك يؤكد الغزالى أن العلوم الدنيوية ما أشار اليه وما لم يشر « ليست أوائلها خارجة عن القرآن ، فان جميعها متفرقة فى بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال وهو بحر لا ساحل له » .

ويسوق الغزالى مثلا على ذلك بان من افعال الله تعالى الشفاء والمرض « واذا مرضت فهو يشفين » فهناك علم الطب الذى لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله ولا معنى لمعرفة الطب الا بمعرفة المرض وعلاماته ومعرفة الشفاء باساسه .

وكذلك علم تشريح الأعضاء . حيث يقول تعالى « **يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك** » فلا يعرف أصول هذا العلم الا من عرف تشريح الأعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها وكذلك بالنسبة لعلم الفلك والنجوم كما فى قوله تعالى « **الشمس والقمر بحسبان** » وقوله « **يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل** » وقوله « **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ..** »

ولايعرف حقيقة سير الشمس والقمر وخسوفهما وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض ... الخ .

وفى رأيى أن الغزالى يقصد الى أن القرآن يأتى بالمحكم وبالعام وبالكليات من هذه الأمور ولايتطرق الى التفاصيل والجزئيات التى تتغير وتختلف النظريات والآراء فيها من عصر الى عصر ومن مكان الى مكان ومن فهم الى فهم ، والمدقق فى أقواله يستشف بعد نظره وسلامة فكره ، فقد اندثرت علوم كانت سائدة فى الماضى ، وظهرت علوم لم تكن موجودة ، وقامت نظريات علمية ، ثم هدمتها نظريات وهكذا ، ويبقى كتاب الله قائما محكما منزها عن التفاوت أو الاختلاف « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

كما أن هناك علوما لا يرقى اليها فهم الانسان المحدود « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » . فاذا جاء الغزالى وقرر أن القرآن يشتمل على أوائل هذه العلوم ضمن أفعال الله تعالى فانه يؤكد ما يكرره فى مصنفه من أن فيه مجاميع علم الأولين والآخرين « ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولاتمكن الا الاشارة الى مجامعها ... فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه علم الأولين والآخرين **(ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل)** صدق الله العظيم » .

وفى العدد القادم باذن الله تعالى ـ نناقش ما جاء فى هذا المصنف القيم من غريب العلاقة بين عالم الملك والشهادة ، وعالم الغيب والملكوت وما يقابل ذلك من تاويل الرؤيا ولماذا يقال ان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ... والله ولى التوفيق .

الإسلام يصون الأعراض

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

« الميثاق الغليظ » :

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراكثيرا ، وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (سورة النساء) .

فضل الاسلام على الانسانية

لا يجحد فضل الاسلام على الانسانية الا حاقد أو جاحد أو ملحد لا يعرف ان له الها واحدا شرع للناس دينا يهدى الضالين ، ويرشد الحائرين ، وينصف المظلومين ، ويقضى على قسوة الجاهلين ، وفساد العابثين وطغيان المستبدين ، فقد كان الناس فى جاهليتهم الأولى لايعرفون للمراة قدرها ولا للأسرة شأنها ، فعاشوا فى متاهات وضلالات ، وفى تقاليد بالية وعادات تأباها النفس الأبية الحرة فلما جاء الاسلام شرع ما يريح القلب وما يطمئن النفس وما يهدى للتى هى أقوم ، والله جعل للناس شرعة ومنهاجا وجعل الزواج ميثاقا غليظا فأقام نظام الأسرة للمحافظة على الأعراض والأنساب والأولاد وعلى كرامة الآدمى الذى كرمه ربه فأباح له الطيبات من الرزق ، وقرر أن الانسان قد يضطر اضطرارا للزواج بأكثر من واحدة فقال عز وجل : **« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. » .**

وقال فى آية أخرى : **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »** : وبهذا أباح التعدد ولكنه حذر من الجور ، ونهى عن الميل الى واحدة دون أخرى ، وطالب بالعدل فى كل شىء ، وعند الخوف من ترك العدل قال : **« فواحدة »** والواضح أن العدل بين النساء أمره عسير وشأنه خطير ولهذا قال ربنا : **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل .. » .**

ان الشريعة الاسلامية توصى بواحدة لكيلا يضطرب البيت وتسوء العلاقات فى الأسرة ، ولكن اذا وجد الايمان السليم تحققت العدالة فلا جور ولا ظلم ولا بغى ، ومن عدل الاسلام أن جعل المهر حقا مفروضا على الرجل للزوجة بعد أن كانوا فى الجاهلية يأخذون مهور النساء ولا يعطوهن شيئا من صداقهن فقال عز وجل : **« وآتوا النساء صداقتهن نحلة .. »** أى اعطوا النساء مهورهن فريضة محتمة وليس لأحد غيرهن الحق فى شىء

من مهورهن الا يرضاهن بطيب نفس « **فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** » أى بدون احتيال أو خداع وكانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الأطفال وكانوا يقولون انما نورث من يحمى الذمار ويرد الكتيبة ، فجعل الله لهن وللأطفال حقهن فى الميراث ، وجعل الميراث حقا مقررا فى الاسلام وللذكر مثل حظ الأنثيين ، ومن جور الجاهلية أنهم كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها بمعرفتهم ، وان شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنزل قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** » وقد كانوا اذا مات أحدهم وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه وألقى ثوبه عليها وقال ورثت هذه المرأة كما ورثت المال فصار أحق بها من سائر الناس وكأنهن لا حق لهن فى نفسهن فهن من ضمن التركة الموروثة !!

روى أن كبشة بنت معن بن عاصم أبى الأوس كانت عند أبى القيس بن الأسلت فتوفى عنها زوجها فجنح عليها ابنه فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : لا أنا ورثت زوجى ولا تركت فانكح بعده ، فنزلت الآية تنهى عن الأضرار بها « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » .

وفى رواية قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدى فى بيتك حتى يأتى أمر الله ، فأنزل الله تعالى الآية تنهى عن تورث النساء كما يورث المتاع والتركة ، وهذا جور جاهلى وظلم اجتماعى نهى عنه الاسلام ، كما نهى عن منعهن من الزواج فقال : « **ولا تعضلوهن** » . أى لا تمنعوهن من من الزواج اذا جاءهن الكفء الأمين (والفصل المنع من الزواج بعد الطلاق) وكانوا يمنعونهن من الزواج ليفتدين أنفسهن بالمال ، والله يقول : « **واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ..** » وروى مجاهد والسدى من أن جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها وأراد رجعتها بعد العدة ، فأبى جابر فأنزل الله « **واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » .

ولا ينبغى أن يؤخذ منها المهر بعد الطلاق بهتانا واثما مبينا لأنه لا يوجد مع الفراق طيب نفس غالبا ، والزوج حينما يريد الزواج بأخرى بعد تطليق الأولى يفترى على الأولى وقد ارتكب البهتان والغش والزور على الأولى والخداع ليأخذ ما أعطى ليعطيه مهرا للجديدة ، فقال الله عز وجل : « **وكيف تأخذونه ، بعد أن قال أتأخذونه بهتانا واثما مبينا !!** » ثم كيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض بسره وجهره وكنتم لباسا لهن وقد سكنتم اليهن ، وهن لباس لكم ؟ أفنسيتم كل هذا وقد أخذن منكم قبل الدخول ميثاقا غليظا؟ وهو عقد الزواج الذى يحضره الشهود بين يدى الله العليم بذات الصدور ، **وهناك أنواع من الجور** الاجتماعى والتصرف الحيوانى فى بعض البيئات البدائية تبين فضل الاسلام على البشرية والذى سعدت به الدنيا .

وفى كتاب الأسرة والمجتمع يقول مؤلفه الدكتور على عبد الواحد :

« ان بعض الشعوب البدائية تبيح أن يشترك جماعة فى زوجة واحدة وفيها يعامل الأزواج جميعا على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات فى الأبوة فيعتبر الجميع آباء للأولاد من الزوجة الواحدة وفى بعض المجتمعات يعتبر أحد الأزواج زوجا أصيلا فينسب اليه وحده الأولاد وللباقى حق المشاركة فى الزوجة الواحدة لأنهم أقارب ، وقد كان هذا النظام ولا يزال موجودا فى جنوب الهند وعلى حدوده الشمالية فى القبائل الجبلية وهى قبائل (جوانسواريس) وهناك يزوجون الأخ الأكبر فتصبح الزوجة للجميع ..) .

ولكن الاسلام — وهو دين الفطرة — كرم الأسرة فجعل للزوجة زوجا واحدا » (ص ٧٣) .

وقد أبى الاسلام على الانسان أن يهبط الى مستوى بهيمة الأنعام وقد حفظ له ذريته وحده لا شريك له فيها ، فليس للأبناء هنا الا أب واحد وأم واحدة ، وأوجب على الآباء تربية الأولاد علميا وجسميا واعتقاديا لأن الذرية الطيبة نعمة من نعم الله وفى بعض القبائل كانت توجب على الآباء قتل أولادهم الضعاف أو المشبوهين أو المرضى عقب ولادتهم أو تركهم طعاما للوحوش والطيور فى الصحراء والخلاء ، كما كانت بعض القبائل فى استراليا تسير على هذا النظام !!

وكان البعض يلجأ لدفن ابنته حية ، فى حفرة بعيدة عن المنازل يوم كانوا يعتقدون أن البنت رجس ينبغى التخلص منه كما كانت تفعل قبائل ربيعة وكندة وتميم وطى وقريش ، خشية الاملاق ، أو من الاملاق ، أو العار فنهاهم ربنا عن هذا بقوله :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا .. » وبقوله عز وجـل :

« ولا تقتـلـوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم .. » .

وهؤلاء كان أحدهم « اذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

وكان بعض العـرب يقدمون أولادهم قربانا للالهة ، والله يقول :

« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون » ، ويقول : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » ..

وهذه حقائق يقصها القرآن الكريم علينا للعبرة والعظة وليستبين فضل الاسلام الذى حفظ حق الحياة للانسان وحرم قتل النفس التى حرم الله الا بالحق أى « بالقصاص » الذى بينته شريعة الله فى كتب الفقـه ليكون جزاء رادعا « ولـكم فى القصاص حياة » .

ويحكى أن عبد المطلب نذر أن يذبح ابنه ان تم عدد أولاده عشرة من الذكور فاقترع بينهم فجاءت القرعة على ابنه عبد الله ، والد النبى صلى الله عليه وسلم فافتداه بمائة من الابل وذبحوها افتداء لعبد الله بن عبد المطلب .

ومن أجل حفظ الأرواح حرم الاسلام الاعتداء على حق الحياة ، فالله وحده هو واهب الحياة ، وأما صيانة الأعراض فى الاسلام فقد قررها الاسلام بصورة وقائية كاملة تصون العرض وتحمى السمعة وتحافظ على العفاف وفى هذا جاء تحريم دخول البيوت الا باذن فقال عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » .

وبهذا حرم الاسلام الاختلاط المريب حتى حرم اقتحام البيوت بدون اذن فقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا ليسأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات . من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشـاء ثلاث عورات لـكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » .

لذلك تعتبر خيانة أحد الزوجين لصـاحبه من اكبر الجرائم التى تستحق العقاب الصارم الرادع وهى الرجم للمحصن والجلد لغيره .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

ولا يباح — فى الاسلام — فصم عقدة الزواج الا بقيود شديدة ، وذلك لأن الطلاق أبغض الحلال الى الله فلا يباح بنزوات طائشة أو انفعالات أو تشنجات « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان » وعندئذ فالفرصة متاحة لمراجعة النفس والعقل ، ولا يكون بعدئذ الا عند تعذر المصالحة وان يتفرقا يغن الله كلا من سـعته فهو ضرورة تستوجبه الضرورة ، ولا يصح الالتجـاء الى الطلاق لأسباب يمكن علاجها .

« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .. » ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر» والله يقول : « وان امرأة خافت من بعلها نشـوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير .. » ومن الخير عنـد الخلاف أن يعرض الأمر على مجلس العائلة ويتألف من حكم من أهله وحكم من أهلها « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق اللهبينهما ان الله كان عليما خبيرا».

أطفال

على مشارف الرجولة

الدكتور محمود محمد عماره

عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت :

ارسل النبى صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء . الى قرى الانصار :

من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه .

ومن أصبح صائما فليصم .

فكنا نصومه بعد . ونصوم صبياننا . ونجعل لهم اللعبة من العهن(1) فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك . حتى يكون عند الافطار(2) .

تحكى الربيع بنت معوذ رضى الله عنها كيف صام المسلمون يوم عاشوراء .. فحين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بصيامه .. صاموه طائعين .. من أصبح مفطرا .. أمسك عن الطعام بقية اليوم .

ومن كان صائما .. استمر على صيامه ..

ثم نسجل واحدة من التجارب الفذة فى تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .. تتمثى فى أخذهم صبيانهم بالصوم فى بواكير حياتهم الأولى ..

وقبل أن يستعدوا كلية لتحمل أعباء الصيام .

أما كيف تمت التجربة بنجاح .. فهذا ما نحاول تأمله فيما يلى :

لقد كان لدى الوالدين متسع من الوقت أتاح لهما فرصة الاشراف الكامن على تربية الولد .. بلون من التربية العلمية .. يؤهله للقيام بدوره مستقبلا ..

لم تكن الوظيفة قد استحدثت بعد .. بل بقى البال خاليا .. والقلب موصولا بفلذة الكبد .. الذى يعاملها أحيانا بصرامة تقسو على الصغير قسوة تحمله على البكاء ..

ولكنه البكاء القليل .. الذى يمهد لضحك كثير! رضـا بالحياة . واقبالا عليها . وكان حرص الوالدين على أخذه بالحزم أقوى من غرائز الابوة والأمومة التى لم تكن تتأثر بهذا البكاء العارض .

---

(1) العهن : الصوف المنقوش .

(2) أخرجه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى .

ولم تحاول اسكاته بوعد كاذب .. أو قول معسول .. بل انها لتشغله باللعبة البسيطة .. بلا تكلف أو تزويق .. بساطة الفطرة العربية الصافية ..

ثم انها رخيصة .. ميسورة .. وطنية غير مستوردة !!

واذن .. فهى لا ترهق ميزانية البيت .. ولا تسرق انتباه الطفل لتربطه بصناع اللعبة هناك فى الشرق أو الغرب ؟ !!

ثم انظر كيف يهب الايمان اتباعه بصيرة كاشفة .. تحسن بها تناول الأمور :

ان هناك فرقا بين أن تعطى ولدك اللعبة حتى لا يبكى .. وبين أن تمسكها عنه.. فلا تعطيها حتى يبكى !

الأسلوب الأول فيه من التدليل ما فيه .. وقد يزهد الطفل فى اللعبة التى لم تجىء والنفس محتاجة اليها .. وسوف يتطلع الى سواها .. الى حد تصبح ملاحقته باللعب المختلفة تخديرا لايحس معه بألم الجوع .. ومن ثم لا تترك التجربة بصماتها على ارادته قوة وتحملا !

أما امساك اللعبة فلا تعطى الا لحظة الضرورة .. وبعد أن يحس بألم الجوع .. ومرارة التجربة .. الى درجة البكاء .. فانها الطريقة المثلى .. لأخذه بالصبر رويدا رويدا ..

وهذا الذى حدث هنا ..

ولم يكن غريبا أن يتحامل الصبى على نفسه .. ويجتاز الامتحان بنجاح ..

لأن الوالدين من حوله .. بل والأسرة كلها فى صيام يظلل سماء البيت بالرضا والوقار ..

وربما كان من الصعب عليه أن يواصل الرحلة لو أبصر من حوله يأكلون !

اللعب .. وصلته بخطة التربية ..

لقد كانت اللعبة البسيطة البريئة وسيلة الى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل .. على ما رأيت فى قصة الربيع بنت معوذ رضى الله عنها. أما اللعبة اللاهية عن ذكر الله وعن الصلاة فما كان أبعدهم عنها ونفورهم منها ..

(كان لشريح ابن يلعب بالكلاب ، فكتب شريح الى معلمه يقول :

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... طلب الهراش(١) مع الغواة الرجس

فاذا خلوت فعضه بملامة ... وعظنه وعظك للأريب الأكيس(٢)

واذا هممت بضربه فبدرة(٣) ... واذا بلغت بها ثلاثا فاحبس

واعلم بانك ما فعلت فنفسه ... مع ما يجز عنى أعز الأنفس

لقد جاءت نصيحة القاضى شريح هذه تطبيقا للمنهج الاسلامى فى التربية .. وفيها من الدروس ما يمكن أن نستصحبه ونحن نأخذ أولادنا بالتربية طبق روح الاسلام :

ان نفس ولده أعز نفس لديه .. ومع هذه العاطفة الجياشة النابعة من غريزة الابوة .. فانه يحرص على أن يقف الى جانب مؤدب ولده .. ولا يتخلى عنه .. فيوصيه بالجمع بين الترغيب والترهيب .. ليحيى بالأول دوافع الخير.. ويميت بالثانى نوازع الانحراف .

واذا كان من حق ولده أن يلعب .. فمن حق الله عليه أن يؤدى له الغرض أولا .. واذا لم يلتزم بهذا التوجيه فمن الواجب وعظه فى الخلوة . بعيدا عن الناس لتصير الكلمة نصيحة .. بدل ان تكون فى العلانية فضيحة .. وقد يترتب عليها الاستهتار أو الكبت .. واذا كان قد وصى المؤدب أن يقف بالضرب عند حدود الثلاثة أسواط . فقد وصاه أيضا أن يدخل فى حسابه وهو يعظه انه يخاطب نفسا حساسة قد يضرها الاسراف فى اللوم ..

---

(١) يقال : تهارشت الكلاب واهترشت . وهارش بعضها بعضا (أساس البلاغة) .
(٢) الكيس : وزان فلس : الظرف والفطنة (المصباح) .
(٣) الدرة : السوط والجمع درر مثل سدره وسدر (المصباح) .

بل ان هذا اللون من الاسراف قد يتجاوز فى خطره اثر الضرب الموجع المسرف .

وفى يقيننـــا أن ما يزهو به الباحثون الأجانب اليوم .. من تقدم فى باب التربية مردود برمته الى ما سبق الى تقريره الأئمة الأعلام مثل ابن سينا . والغزالى وابن مسكويه وابن خلدون .. والى ما سبقت ممارسته عمليا فى شئون الحياة .. مما يفرض علينا أهمية العودة الى هذه المبادىء القويمة .. لتعود لنا به صورة مشرفة للحيـاة الآمنة والعيش الرغيد .

الا ما أحوج الطفولة اليوم الى هـذا الدين السمح الكريم .. الذى ينزل من عليائه ليعايش الطفل الصغير .. ويقترب منه .. يتحمله برفق ولين الى افق أعلى من خلال لعبته التى يعتز بها.

روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال :

كان رسول الله أحسن الناس خلقا .. وكان لى أخ فطيم يسمى أبا عمير .. لديه عصفــور مريض اسمه النغير .

فكان رسول الله يلاحظ الطفل الصغير ويقول له :

يا أبا عمير .. ما فعل النغير ؟

وفى الحديث توجيه خفى لتصـعيد العاطفة الانسانية نحو الطائر الصغير :

اننا قد نشهد لدى هؤلاء الأطفال فى هذه السن رغبة جامحة فى اللعب مع أمثال هذه الأحياء .

لكن الرغبة قد تندفع احيانا الى حد ايذاء هذا الحى .

ومهمتنا نحن أن نوجه هذه الرغبة بالاتجـاه الى الخير العظيم .

أن نوجهه من الاعتداء الى الرعاية . من الايذاء الى التمريض ..

وفى ذلك تنمية عظيمة للجانب الانسانى عند الطفل(١) .

وانها لتنمية تزداد مع الأيام اتساعا .. لأنها تتم داخل النفس عن طريق اللعب المباح .

وليست وليدة نصيحة جافة .. وأوامر جامدة. يتحايل الطفل للتفلت من تبعاتها متى وجـد الى ذلك سبيلا ..

(١) الوعى الاسلامى العدد ١٢٥

حديث قول الله تعالى : (أبى يغترون ؟ أم على يجترئون ؟)

(أخرجه الامام الترمذى — رحمه الله تعالى — فى الفتن — دون عنوان جـ ٢ ص ٦٥ .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يخرج فى آخر الزمان رجال ، يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضان من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله — عز وجل — أبى يغترون ؟ أم على يجترئون ؟ فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة ، تدع الحليم منهم حيران) .

(لم يذكر الترمذى — رحمه الله — فى وصفه شيئا) .

في رحاب النبوة

دلائل وشمائل

الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوي

حبى الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بجملة من الآيات البينات الدالة على نبوته وخصه بكريم الشمائل وحميد الصفات التى لا يتصف بها الا نبى كريم ولا تكتمل الا لدى سيد الأولين والآخرين . وسنتناول – هنا – طرفا من تلك الآيات الدالة على نبوته وعلى رأسها القرآن الكريم وقبسا من هاتيك الشمائل والصفات التى ينبغى أن تعتبر ان كان ثمة انصاف – أدل على نبوته من أى دليل وأصدق شاهد على أنه مصطفى رب العالمين ..

والدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما ظهر قبل بعثته ومنها ما ظهر بعد بعثته وقد بلغت من الكثرة الى حد أن بعض العلماء عد له صلى الله عليه وسلم ألف آية وبلغت من الشهرة والتواتر الى حد لا يجدى معه انكار . ومن تلك الدلائل التى ظهرت قبل بعثته ما رأته أمه حين وضعت به . وضعته نورا أضاءت له قصور الشام. وأنه لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك ودعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت ، أما أنه دعوة أبيه ابراهيم فان ابراهيم عليه السلام لما أخذ فى بناء البيت دعا الله أن يجعل ذلك البلد آمنا ويجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ثم قال : «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم» .. فاستجاب الله دعاءه فى نبينا صلى الله عليه وسلم وأما انه بشارة عيسى فهو ما جاء فى قوله تعالى : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأما انه رؤيا أمه فهو أن آمنة بنت وهب حدثت أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع الى الأرض فقولى :

اعيذه بالواحد — من شر كل حاسد
من كل بر عاهد — وكل عبد رائد
يرود غير رائد
فانه عبد الحميد الماجد
حتى أراه قد أتى المشاهد

قال آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام .

وروى انه ولد صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا فأعجب به جده عبد المطلب وقال ليكونن لابنى هذا شأن . وكان المولود اذا ولد عندهم دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح فيكفين عليه برمة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى نسوة يكفين عليه برمة فلما أصبحن اتين فوجدت البرمة قد انفلقت

عليه باثنتين فوجد به مفتوح العينين شاخصا ببصره الى السماء فلما أخبرت جده بذلك قال أحفظنه فانى أرجو أن يصيب خيرا . وأنشد :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
أعيذه من كل ذى شنئان
من حاسد مضطرب الجنان

وكثيرة هى تلك الدلائل والآيات التى ظهرت على النبى صلى الله عليه وسلم أثناء ولادته وفى فترة حضانته ورضاعته ثم عندما شب عن الطوق وقبل أن تأتيه بعثته .

وأكثر ذلك مشهور ومتواتر يعرفه العامة قبل الخاصة والأميون قبل المتعلمين لما بلغ من شدة التواتر .

ومن جملة ما يروى فى ذلك أن الأحبار والكهان والرهبان عرفوا النبوة فى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يعرفها هو من نفسه ودلوا عليه ومنهم من هم بقتله ومنهم من أوصى بالمحافظة عليه . ومن ذلك ما يروى أنه بعد حادث شق صدره أثناء كان عند مرضعته حليمة السعدية قال لها الناس أن ابنك قد أصابه لمم فانطلقى به الى كاهن أسموه لها فلما قصت على الكاهن قصته قال دعينى أسمع من الغلام فانه أبصر بأمره منك فلما قص عليه محمد قصته ما بين أولها الى آخرها وثب الكائن قائما على قدميه فضمه الى صدره ونادى بأعلى صوته : يا آل العرب يا آل العرب من شر قد اقترب . اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فانكم أن تركتموه وأدرك مدرك الرجال ليسفهن أحلامكم وليكذبن أديانكم وليدعونكم الى رب لا تعرفونه ودين تنكرونه فاجتذبته منه حليمة السعدية وقالت لانت أعته منه واجن اطلب لنفسك من يقتلك وتقول حليمة عندما رجعت به الى منازل بنى سعد فما مررت بمنزل من منازلهم الا وقد شممنا منه ريح المسك الأذفر .

ولما نزل عمه أبو طالب تيماء رآه حبر من يهود تيماء فقال لأبى طالب ما هذا الغلام منك قال هو ابن اخى قال أشفيق أنت عليه قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشام لاتصل به الى أهلك أبدا لتقتلنه اليهود ان هذا عدوهم فرجع به أبو طالب من تيماء الى مكة .

أما عن دلائل نبوته بعد بعثته فان فى القرآن الكريم واعجازه ما يغنى عن الحديث والاطالة فى غيره فقد أعجز القرآن العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله فان ذكروا سجع مسيلمة فكل ما جاء به هو ومن علي شاكلته لا يعدو أن يكون بعضه محاكاة وسرقة وبعضه كأسجاع الكهان وأراجيز العرب ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما هو أحسن لفظا وأقوم معنى وأبين فائدة ثم لم تقل له العرب ما أنت ! ؟ تتحدانا على الاتيان بمثل القرآن وتزعم أن الجن والانس لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه ثم قد جئت بمثله مفترى — أنه ليس من عند الله . وذلك قوله :

أنا النبى لأكذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا

وقوله :

تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان أعطى منها رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش .

فلم يدع أحد من العرب ان شيئا من هذا يشبه القرآن .

ثم ان له وراء القرآن معجزات آخر ولا تخفى وأكثر من أن تحصى نذكر منها انشقاق القمر وحنين الجذع وخروج الماء من بين أصابعه حتى توضأ فيه ناس كثير وتسبيح الطعام واجابة الشجرة اياه حين دعاها . وتكليم الذراع المسمومة اياه . وشهادة الذئب والضب الرضيع والميت له بالرسالة وازدياد الطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناس كثير وما كان من حلبة الشاة التى لم ينزل عليها الفحل ونزول اللبن لها وما كان من اخباره عن الكوائن فوجد تصديقه فى زمانه وبعده وانما جمع الله له كل هذه الآيات والدلائل لأنه لما كانت بعثته عامة ورسالته خاتمة ظاهر له من الحجج حتى ان شذت واحدة عن فريق بلغتهم أخرى وان لم تنجح واحدة نجحت أخرى وان درست على الأيام واحدة بقيت أخرى .

وكما أيد عليه الصلاة والسلام بالآيات والمعجزات فقد جاءت البشارة به فى كتب السابقين عليه من الأنبياء . من ذلك ما روى عن ابن سلام انا لتجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز ولن اقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة بأن تشهد ان لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا وروى مثله عن كعب الأحبار .

وذكر وهب بن منبه أن الله عز وجل لما قرب موسى نجيا قال رب انى أجد فى التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد . قال : رب : انى أجد فى التوراة أمة هم

الآخرون من الأمم السابقين يوم القيامة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد . قال رب انى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد .

قال رب انى أجد فى التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاتلون رءوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد .

قال رب انى أجد فى التوراة أمة يأكلون صدقاتهم فى بطونهم وكان من قبلهم اذا أخرج صدقة بعث الله عليها نارا فأكلتها فان لم يقبل لم تقربها النار فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد قال : رب انى أجد فى التوراة أمة اذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر حسنات الى مائة ضعف فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد .

قال رب انى أجد فى التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد . (البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٦ ودلائل النبوة للبيهقى ٣٣٧/١) .

ولم تكن التوراة وحدها هى التى بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم . ولا موسى وحده هو الذى خبر بأوصاف نبى الاسلام وأوصاف أمته فعيسى عليه السلام أيضا خبر بمثل ذلك وتضمن انجيله عليه السلام جملة من أوصاف المصطفى فعن مقاتل ابن حيان أنه قال :

أوصى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جد فى أمرى ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهر البكر البتول : انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلى فتوكل ، فسر لأهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك انى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول ، صدقوا النبى الأمى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ، وهى التاج والنعلين والهراوة وهى القضيب . الجعد الرأس الصلت الجبين ، المفروق الحاجبين الأنجل العينين الأهدب الاشفار الأوعج العينين الأقنى الأنف الواضح الجبين الكث اللحية عرقه فى وجهه كأنه اللؤلؤ ريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم ، اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر فى صبب ذو النسل القليل . (البداية والنهاية لابن كثير ١٦/٦ ،وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٤٤/١ ، دلائل النبوة للبيهقى ٣٣٥/١ .

كما ذكر وهب بن منبه أن مما أوحى الله الى داود فى الزبور : يا داود انه سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد ومحمد صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبنى أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر الى آخر ما جاء فى هذا الحديث المذكور بطوله فى دلائل النبوة للبيهقى ٣٣٧/١ والبداية والنهاية لابن كثير ٦٢/٦ والدر المنثور للسيوطى ١٤٣/٣ .

واذا كانت هذه الآيات وتلك البشارات قد دلت على نبوته فقد كان له صلى الله عليه وسلم من كريم شمائله وحميد صفاته أعظم الآيات وأصدقها على نبوته واصطفاء ربه له وسنكتفى هنا بالقدر اليسير قال بلال كان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم فرآه عاريا يأمرنى فانطلق فاستقرض واشترى البردة والشيء فاكسوه وأطعمه حتى اعترضنى رجل من المشركين فقال يا بلال ان عندى سعة فلا تستقرض من أحد الا منى ففعلت فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة فاذا المشرك فى عصابة من التجار فلما رآنى قال يا حبشى ان لم تدفع ما عليك ابتعتك ترعى الغنم عندى فأخبرت النبى بذلك وأخذنى من الهم ما أخذنى فما صفا لى نوم حتى انشق عمود الصبح الأول فاذا انسان ينادى بلال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت حتى أتيته فاذا أربع ركائب عليهم أحمالهن فقال النبى أبشر بلال قد جاءك الله بقضائك اقبض هذه الركائب فاقض دينك فناديت وقلت من كان يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دينا فاليحضر فما زلت أبيع وأقضى وأعرض وأقضى حتى لم يبق على رسول الله صلى الله عليه وسلم دين فى الأرض حتى فضل عندى أوقيتان فقال رسول الله أنظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما . قال بلال : فلم يأتنا .. أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى كان آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى اذا صلى العتمة دعانى فسألنى عما كان باقيا معى قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك .

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلكم هى بعض دلائل نبوته وقبس من شمائله دلائل نبوة خاتم المرسلين وشمائل سيد الأولين والآخرين روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل ابتنى دارا فأحسنها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا موضع تلك اللبنة جئت فختمت الأنبياء » .

فاللهم اجعلنا من خيرة أتباعه ووفقنا للاهتداء بهديه والسير على سنته صلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله ..

الأمانة .. الأمانة .. الأمانة !

الدكتور إبراهيم هلال

اختلفت آراء العلماء والمفسرين حول تحديد الأمانة فى قوله تعالى : ((انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)) . ولعل مثار هذا الاختلاف ما جاء فى الآية الكريمة أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال ، وما جاء فيها أيضا من وصف الانسان بالظلم والجهل ، مع أنه تقدم لحمل الأمانة دون السموات والأرض والجبال ، فبعضهم قال : ان الأمانة فى هذه الآية ، ما يعم الآمانات كلها ، فالوديعة امانة ، والسر أمانة ، والعمل أمانة ، والتكاليف الشرعية أمانة .. الخ .

وبعضهم قال : انها هى الصلاة ، والبعض قال انها هى الأمانة التى يأتمن الناس بعضهم بعضا عليها ، والبعض قال : انها هى التكاليف الشرعية التى كلف الله بها الناس . وفريق قال : انها هى العقل الذى اختص الله به الانسان دون معظم المخلوقات(1) .. و .. و .. الخ .

ولكننا اذا تدبرنا الآية الكريمة فى سياقها الذى جاءت فيه ، تبين لنا أن بعضا من هذه التفسيرات لكلمة الأمانة قاربت المعنى الذى نعتقد انه هو المراد فى الآية الكريمة ولم تصبه والبعض قد نأى عن هذا المعنى ولم يقرب منه . فالآيتان اللتان قد جاءتا قبل هذه الآية تقول : **((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله ، فقد فاز فوزا عظيما))** . ثم تأتى الآية الكريمة : **((انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض .. الخ))** ، ويأتى بعدها قوله تعالى : **((ليعذب الله المنافقين ، والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين ، والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما))** .

او بنظرتنا الى هذه الآية (موضع الدراسة) وسط هذه الآيات نستطيع أن ندرك أن الأمانة هنا هى الدين ، وهى الاسلام الذى اختص الله به الانسان وكلفه به وحمله اياه ليبلغه الى الثقلين : الانس والجن ، وليعمل به . فالآيتان الأوليان تقولان : **((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما))** .

---

(1) انظر تفسير الامام الشوكانى (فتح القدير ... وكذلك تفسير الكشاف للزمخشرى ، وتفسير الفخر الرازى : مفاتيح الغيب) : والانسان فى القرآن الكريم للعقاد طبعة دار الهلال (سلسلة كتاب الهلال) سبتمبر ١٩٦١ م ص ٤٢ — ٤٩ .

فالمطلوب هنا فى الآية الأولى تقوى الله والقول قولا سديدا ، والقول هنا يعم القول والعمل ، والنتيجة المترتبة على ذلك كما جاءت على هيئة جواب الشرط « **يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم .. الخ** » ، ولا يتأتى ذلك كله الا بالتمسك بالدين جميعه وتنفيذ كل ما جاء فيه ، فجاءت الآية بعد ذلك تقدم لنا هذا الدين فى شكل أمانة ، وفى هيئة أمانة ، اشعارا بعظمته ، وبيانا لأهميته ، ثم تؤكد ذلك ببيان انه لم تتفق فطرة من فطر المخلوقات مع هذا الدين أو مع هذه الأمانة الا فطرة الانسان ، وهذا هو العرض ونتيجته الذى جاء فى الآية ، بالنسبة للانسان وبالنسبة لغيره من المخلوقات ، ولذلك قبلته طباع الانسان وفطرته وحملته ولم تقبله بقية الطباع الأخرى واشفقت من حمله .

وهذا هو ما تزيده ايضاحا الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة التى جاءت تتحدث عن فطرة الانسان . فالله سبحانه وتعالى يقول : « **فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » . ويقول : « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ . قالوا بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون** » فهذه الآية الأخيرة تلزم الناس جميعا ومن أول الخليقة باتباع الدين واتباع الأنبياء وعدم اتباع الآباء الضالين أو تقليدهم وأن الله قد أعانهم على ذلك بهذا الاستعداد الذى خلقهم عليه ، وبثه فى نفوسهم ، وهو الدين ، والتوحيد ، الذى لم يسعهم الا أن يشهدوا به ، والذين لا يملكون الا أن يظهروه كأمر يختلج فى نفوسهم وطبيعة تتحدث عنهم . ومن الأحاديث التى جاءت مصرحة بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد على الفطرة . فابواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ..** » .

وتبع هذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، احتياج الانسان الى الدين والشريعة دون بقية المخلوقات ، أو احتياجه اكثر اذا نظرنا الى الشق الآخر من الثقلين ، وهم الجن .

فقل لى بربك اى احتياج للبهيمة الى الدين والتشريع ، أو أى احتياج فى الجماد الى الدين ؟ وكذلك بقية المخلوقات غير العاقلة ؟ وان كان الكل يسبح بحمده .

ان الانسان ذلك العاقل المفكر الحساس ذا الارادة والرغبات العليا التى تعلو على مجرد حفظ الحياة أو حفظ النوع ، وتصل ، أو تتطلع الى استعمار الكون وتسخيره كما قال تعالى : « **واستعمركم فيها** » . « **وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعا منه** » . ذلك الانسان الذى اختص بهذا ، هو الذى احتاج الى الدين واختص به ، فأرسله الله اليه ، وقدمه له فى شكل أمانة أو كأمانة حتى يحذر من مخالفة أمر الله فيه ، ويدرك مدى ما يريده الله منه من دقة فى تنفيذه وتطبيقه والعمل به ، سواء فى معاشه أو فيما يتصل بمعاده .

وهكذا فليس من الممكن للانسان أن يعيش دون دين ، ولا كان من الممكن له أن يعيش الفترة التى مضت منذ أنشأه الله دون دين ، فالدين قد عقد صلة بينه وبين الله ، وأوجد خطابا كذلك من الله له ، فالى جانب تعريف الله للانسان على نفسه ، وأنه مالك الملك والمسخر لهذا الكون ، فانه قد عرفه أيضا كيف يتعامل مع هذا الكون ، ويستفيد منه ، والى هذه الاشارة بقوله تعالى : « **وعلم آدم الأسماء كلها ..** » . وقوله لآدم وزوجه حين هبطهما الى الأرض : « **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** » وقوله : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » ، وقوله : « **وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** » . والانسان من يوم نشأته ، وهو بهذا الخطاب وهذا التعريف ، بدأ يتعامل مع الأرض ومع الكون حتى صار الى ما صار اليه الآن من التقدم فى العلم والحضارة ، وغزو الفضاء . وما ذلك الا بفضل الدين الذى جاءت به الرسل **تترى من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك وجدنا هذه**

الحضارة وهذا التقدم فى استغلال الكون والفضاء فى البيئات التى جاءتها الرسل وعرفت الأنبياء ، أو عرفت ما جاء به الأنبياء . أما البيئات الاخرى التى كانت عن الرسالات السماوية بمعزل ، فان العصر الحديث ، والقرن العشرين أو التاسع عشر من قبل ، قد أطلعانا على أهل هذه البيئات فى أمريكا الجنوبية واستراليا وأفريقيا ، وبعض بلاد آسيا ، وكأنهم لا يتميزون شيئا عن الأنعام والوحوش . طعامهم اللحم النيىء ، أو أكل بعضهم بعضا ، أو ما يأكل الأنعام ، وملابسهم لا تكاد تستر أجسامهم اذا كانت لهم ملابس وبيوتهم هى الكهوف والقيران ، أو الجدائل من بين الأشجار أو من الأشجار والغابات الى آخر ما هو فى هذه البيئات البدائية . وباستخبارهم ، واستطلاع تكوينهم النفسى ، أو الفكرى وجد انهم لم يسمعوا عن أنبياء ، ولا رسل من قبل(٢) .

وبهذا فقد كان الدين أو الأمانة محل احتياج الانسان ، فلما عرضت عليه انجذب لها ، وانجذبت له لأنها وافقته ، ووافقت طبعه ، وصادفت حاجة فى نفسه ، واستعدادا لتقبلها واخذها ، والاندماج معها وحملها ، فكانت هى المكمل لطبعه ، والمقوم لفطرته ، والمعين له على الاستفادة مما فطره الله عليه من دين ، ومن عقل ، ومن فكر .

وهنا يأتى موقفنا من قوله تعالى : « انه كان ظلوما جهولا » وتفهمنا له .

فهل هذا الوصف ذم للانسان ، لأنه تقدم لحمل أمانة الدين دون بقية المخلوقات ؟ أو أن وراء هذا الوصف معنى آخر ؟ .

الأستاذ العقاد (عباس محمود) يقول فى ذلك مبينا أن هذه صفة مدح للانسان لا ذم ، وتمييز له عن بقية المخلوقات فى الوقت نفسه : « وما من كائن غير الكائن العاقل يوصف بالظلم والجهل ، لأن غير العاقل لا يعرف الحد الذى يتعداه ، ولا تناط به معرفة الحدود . وانما يوصف بالظلم والجهل من يصح أن يوصف بالعدل والمعرفة ، ومن يصح أن يسأل عن فعل يريده فى الحالين »(٣) .

فالوصف بالظلم والجهل فى الآية على هذا الفهم وهذا الرأى اشارة الى ما ينطوى عليه الانسان من عدل ومن علم ، والذى قد فاق بهما بقية المخلوقات .

ولكن على هدى ما قدمت ، فان الظلم والجهل والوصف بهما فى الآية ، يؤكدان حاجة الانسان الى الدين ، وأن المراد بالأمانة فى الآية انما هو الدين . فانه بغير الدين يظلم ويجهل ولذلك تقدم لحمل الأمانة لأنه أدرك حاجته اليها فهو بغيرها ظلوم جهول ، وبها يستطيع أن ينفى الظلم والجهل عن نفسه . ولهذا فقد ترتب هذا الوصف فى الآية على حمل الانسان الأمانة كما جاء فى قوله تعالى : « **وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » ، فالجملة الاسمية التى بدأت بان ، جاءت استئنافية لبيان حاجة الانسان الى الدين أو الى هذه الأمانة وحملها ، وكأنها وردت مورد الجواب عن سؤال متوقع : « ولماذا حملها الانسان دون بقية المخلوقات » ؟ فجاء الجواب : لأنه كان ظلوما جهولا . أى أنه بدونها ظلوم جهول ، فحملها كى يكافح هذا الظلم والجهل فى نفسه .**

ولا كفاح لهذا الظلم والجهل فى نفس الانسان ، الا بالدين . ولذلك جاء بعدها قوله تعالى : « ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما » . اى أننا أرسلنا الدين للانسان ، وحمله الانسان ، كى يكون مبررا لحسابنا له ، وعقابه أو اثابته ، فان عمل به نجا ، وان أهمله هوى ، وبناء على العمل به أو ترك العمل ، يتميز الناس بعضهم من بعض فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، ويعذب الله المنافقين ، والمنافقات ، والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات .

وبهذه الآية الكريمة : « انا عرضنا الأمانة .. » يبين الله سبحانه لنا قيمة الدين للانسان ، وانه به يستطيع أن يصل الى رحمة الله دنيا واخرى فيحييه حياة طيبة ، ثم يجزيه أجره باحسن ما كان يعمل ، وأن الانسان لا حياة له دون دين .

---

(٢) انظر (علم الاجتماع الدينى) لروجيه. باستير . ترجمة الدكتور محمود قاسم : المقدمة والفصول : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ثم مقدمة : (ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) للامام الشوكانى ، تقديم وتحقيق كاتب هذه السطور .

(٣) الانسان فى القرآن الكريم ص ٤٤ نفس الطبعة .

حقيقة المجتمع الانسانى

الدكتور مصطفى أحمد أبو سمك

للمجتمع فى دعوة الاسلام أبعاد أساسية يقوم عليها ، وتصور عام يحدد لهذه الأبعاد اطارها .

أما أبعاد المجتمع فتتحقق بالعناصر الآتية :

١ — الانسان بمفاهيمه الاسلامية ، التى تنمو فى كنفها الحياة الجماعية ، وتعيش فى ظلالها معانى التراحم والتكافل والتعاون والتعارف بمن يشارك الانسان فى أخوته الانسانية .

٢ — الأسرة : المجتمع الأصغر للانسان ، واللبنة الكبرى للمجتمع . والأسرة فى الاسلام لها شأن كبير ، يبدو بجلاء فى الرصيد التشريعى الضخم .. التشريع الذى يتناول الأسرة من قبل تكونها ، والى ما بعد زوال أعمدتها .. أى من مرحلة الاعداد للزواج الى مرحلة تفرق الزوجين لسبب من الأسباب .

ولذلك يبدو اهتمام الاسلام بالأسرة ، فيما حواه من وصايا وآداب تحمى كيانها وتصون حرمتها .. من مثل حث الأفراد على الزواج ، وترغيب الزوجين فى الانجاب ، ودعوة الأبوين الى الاهتمام بتربية الناشئة ، ثم دعوة الناشئة الى بر الوالدين والاحسان اليهما ، وتحقيق صلة الرحم ، وما يتفرع عن كل هذه الأمور من جزئيات يضيق المقام عن استقصائها .

ثم يتوج الاسلام اهتمامه بالأسرة ، حين يؤصل وجودها بذكره لها ذكرا يقترن بنشأة الانسان ، كما يشير الى ذلك قول الله سبحانه « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة »(١) .

وأيضا حين يرتفع — الاسلام — بالأسرة ويجعلها من النعم التى امتن بها الله سبحانه على رسله الكرام وعلى خاتمهم الأمين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، مصداقا لقوله تعالى « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »(٢) .

وكذلك امتن الله سبحانه بالأسرة على سائر

---

(١) سورة الأعراف : ١٩
(٢) سورة الرعد : ٣٨

أفراد الانسان ، مصداقا لقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لآيات لقـوم يتفكرون »(١) .

هذا ولقد أرشـدتنا الآيات الكريمات الى ما ينشأ عن الأسرة من نتائج اجتماعية هامة ، تجعلنا نحكم على الأسرة بأنها ، وكما قال بعض علمائنا « الأسرة ضرورة بيولوجية » ونفسية لا يغنى عنها نظام الاختلاط الجنسى الاباحى . فتخصيص امراة لرجل واحد أصلح بيولوجيا ، وأفلح لانجاب الأطفال . أما من الوجهة النفسية فان مشاعر المودة والرحمة والتعاون تنمو فى جو الأسرة خيرا مما تنمو فى أى نظام آخر ، وتكوين الشخصية يتم فى هذا المحيط خير مما يتم فى أى نظام آخر »(٢) .

أقول : لا غرو بعد هذا كله أن تكون الأسرة ركنا أساسيا من أركان المجتمع .

٣ ــ الديانة السماوية العامة القائمة على الكتاب السماوى المحفوظ من الضياع والتحريف .. أعنى بذلك ضرورة قيام المجتمع على دعوة الاسلام ، فمن الاسلام يستمد الانسان ــ وهو ركن أساسى فى كيان المجتمع ــ قدسية كيانه ودوره الايجابى فى هذه الحياة ، بل يستمد من الاسلام وجوده الانسانى من قبل ذلك . يقول بعض المفكرين « ان الايمان ــ الصحيح ــ هو الأساس فى تحقيق الانسانية فى الفرد ، وبدونه لا يكون لها وجود »(٣) .

ومن الاسلام ايضا ، تستمد الأسرة قدسية كيانها ودورها البناء فى هذه الحياة ، فالتصور الاسلامى للأسرة هو « النظام الوحيد الذى ينظم صلات المراة بالرجل تنظيما طبيعيا ، تكون الروحية أساسه ، والأحكام الشرعية مقياسه ، ممـا يحقق القيمة الخلقية »(٤) .

ثم من الاسلام أيضا ، يكسب المجتمع وحدته وترابطه .. تفرقت بيئة المجتمع أم تجمعت ، اتحدت لغته أم تعددت ، توحدت جنسية أفراده أم تنوعت . فالترابط الاجتماعى هنا منبثق عن تدين المجتمع بدين دعوته ثابتة متماسكة فى عقيدتهـا وشريعتها .. يصـف أحد المفكرين الاسلاميين مجتمع الاسلام المتجاوز كل ما وضع من مفاهيم بشرية للمجتمع ، فيقول « ان هـذا المجتمع الاسلامى » لا يحد بالحدود النسلية واللونية ، ولا بالحدود الجغرافية .. ان هـذا المجتمع مفتوح بابه لكل من يؤمن بعقيدة واحدة وضابط خلقى معين .. ثم ان الذين لا يؤمنون بعقيدته وضـابطه فانه .. يشـملهم بعواطف الانسـانية العامة ، ولا يقطع عنهم حقـوقهم الفطرية البشرية »(٥) .

والى هنا يطيب لى أن أقف وقفة أبين فيها آفاق ركن العقيدة وأثره فى بنيان المجتمع ليتم التصوير الاسلامى لحقيقته وجوهره وفى هـذا أقول :

اذا كان الانسان ذا فطرة ثابتة تحتوى على غرائز متقابلة ، فالفردية والجمـاعية غريزتان ممتزجتان فى كيان الانسان منذ نشأته ، وهذا تصور يجعلنا نستبعد معه ما يقال عن أسبقية احدى الغريزتين المذكورتين للأخرى ، أو سلب الفطرية عن احداهما بادعاء تجريد فطرة الانسان منهـا ، كمـا ذهب الى ذلك الوضـاعون التطوريون .

واستبعادنا لـما ذكرنا من القولين المذكورين راجع الى كون ارتباط الفرد بالمجتمع ارتباطا فطريا نابعا من الذات وليس بخارج عنها ، فقديما قال بعض الحكماء « الانسان مدنى بالطبع » ، ولو قـيل انه اجتمـاعى بالطبع لـكان أعـم وأصوب »(٦) .

---

(١) سورة الروم : ٢١

(٢) كتاب « دراسات اسلامية » سيد قطب ص ٦٦

(٣) « مقومات الانسانية فى القرآن الكريم » د. أحمد مهنا ص ٢٣

(٤) كتاب « الاسلام خطوط عريضـة عن الاقتصاد ــ الحكم ــ الاجتماع » ص ١٢١

(٥) راجع « نظام الحياة فى الاسلام » للمودودى ص ٤٤

(٦) راجع : « المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام » للشيخ أبو زهرة ص ١٨٧

واستبعادنا يرجع كذلك الى أن ارتباط الفرد بالمجتمع أمر فيه تلازم يقول بعض العلماء فى بيان هذا التلازم « الجماعة أصلها الواحد ، والواحد فرد تتكون منه الجماعة ، ومن ثم نعلم أن الفرد لا يقوم الا بالجماعة ، وأن الجماعة لا تتكون الا بالفرد »(١) .

واستبعادنا يرجع أيضا الى حاجية كل من الفرد والمجتمع أحدهما للآخر وضرورة ارتباطهما معا . يقول الامام ابن تيمية « ان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض »(٢) .

هذا واذا كانت الغرائز الفطرية من شأنها أن تعمل بغير استئذان من الانسان ، فمن الضرورى اذن أن توضع لها توجيهات توجهها الوجهة النافعة ، وليس غير الاسلام — دين الفطرة — بمصلح لها ، ذلك لأن توجيهات الاسلام لا تتملق غرائز الانسان باطلاق العنان لها ، كما أنها فى الوقت نفسه لا ترهقها بكبت أو حرمان ، وانما تعمل على اتزانها واعتدالها لايجاد الانسان السوى والمجتمع المتوازن المتناسق بل المتآخى المتحاب .

ثم ان توجيهات الاسلام تنبثق من عقيدة التوحيد — دعوة جميع الأنبياء على مدى التاريخ وهى عقيدة يراها الاسلام شيئا ضروريا للمجتمع مثلما هى ضرورية للفرد ، فالدين لم ينزل ليعيش فى قلوب الأفراد ويستقر فى نفوس آحاد الناس فقط وانما هو بجانب هذا قد نزل لينشىء أمة ويربى مجتمعا . يقول العلامة المودودى — رحمه الله — « اذا كانت هناك ضرورة ألدين فهى ليست للفرد وحده ، لطمأنينة قلبه ونجاته بعد الممات ، بل هى للجماعة كلها لكى تنظم أمرها وتدبر جميع شئونها الدنيوية على ضوء هدايته »(٣) . أى أن الدين لم ينزل ليصحح عقيدة الفرد ويقوم فكر الانسان فحسب، وانما نزل ليقوم — أيضا — المجتمعات ، ويصحح قواعد الاجتماع على أساس سليم .

هذا ولا أكون من الذين يطلقون القول على عواهنه ان قررت : انه لا يوجد أبدا بديل يعطى النتائج الاجتماعية الهامة لعقيدة التوحيد ، حتى لو كان البديل نابعا من ضمير الانسان ممثلا ذلك فى الأخلاق ، أو كان البديل ناشئا من عقل الانسان ممثلا ذلك فى تشريع البشر ودستور الدول .

ان الاصلاح الاجتماعى القائم على نظام خلقى مجرد عن العقيدة ، اصلاح صورى وغير جذرى، ومن هنا يجمع المفكرون المسلمون على أن الأخلاق « لا تأتى بأثر عظيم فى انتظام حال الاجتماع ، الا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة »(٤) .

وكذلك شأن الاصلاح الاجتماعى القائم على نظام القانون المجرد عن العقيدة . انه اصلاح صورى وغير جذرى هو الآخر ، ان لم يكن فى حقيقة أمره افسادا لا اصلاحا . يقول العلامة ابن خلدون « ان الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس ، لأن الوازع فيها أجنبى ، وأما الشرعية (أى الأحكام القائمة على شرع العقيدة ذاتى »(٥) .

أقول : وذاتية الوازع هنا ، أمر يجعل الاصلاح الاجتماعى اصلاحا متأصلا لاستعانته بآداب نفسية واجتماعية قبل استعانته بالقانون فى تصفية جو الحياة من جهة ، ولقيامه — من جهة أخرى — على شريعة كل أصولها وفروعها مرتبط ارتباطا وثيقا بتوحيد الله سبحانه .

هذا وان عقيدة التوحيد لتزكى الوازع الذاتى فى ضمير الانسان ، كما أنها تزيد من قوة الترابط

(١) كتاب « روح العمران » للشيخ محمد فراج الأزهرى ص ٤٦

(٢) كتاب «السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية» ص ١٨٤

(٣) كتاب « نحن والحضارة الغربية » ص ١٠٠

(٤) كتاب « رسائل الاصلاح » للشيخ محمد الخضر حسين جـ ٢ ص ٤٤ وراجع مثل هذا المعنى فى كتاب «الدين» للدكتور دراز ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وكتاب « الرد على الدهريين » للافغانى ص ٣٦

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ١١٣

بين أفراد المجتمع الواحد ، فتتجاوز به مرحلة التوازن الى مرحلة أسمى منها ، ان التصور البشرى اذا كان يرى تحقيق العدالة أسمى وسيلة تحقق التوازن فى المجتمع ، فان التصور الاسلامى يقرر ما يعلو العدالة سموا ويفوقها اثرا فى اقامة صرح المجتمع ، ويتجلى هذا فيما يدعو اليه من خلق الاحسان .. ذلك الخلق الذى ينشىء القوة والمحبة فى الترابط الاجتماعى عن طريق الوازع الذاتى فى ضمير الفرد ، وهذا بخلاف العدل المنشىء للترابط الاجتماعى بقوة القانون فقط . يقول د. البهى . فى مقارنة خلق **الاحسان بفضيلة العدل وبيان أثرهما الاجتماعى** « والعدل فى المجتمع يحول فقط دون النفرة أو التصادم بين الأفراد ، أما الاحسان فهو الذى يبقى على الرباط الانسانى القائم على المودة والمحبة والتعاون ، ولذا لا ينتظر لمجتمع أن يكون قويا متماسكا فى علاقات بعض أفراده ببعض على أساس العدل وحده ، فالعدل لا فضل فيه لأحد على آخر ، ولكن الاحسان — لأنه ينطوى على فضل من القادر يصل لغير القادر عليه فى المجتمع — هو الذى يدفع الى القوة والتماسك فيه »(١) .

اقول : : لعلنا — فى ضوء هذه المقارنة — ندرك سر الترغيب فى الاحسان فى قوله تعالى : **« وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »(٢) وقوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »(٣) وقوله تعالى « ان رحمة الله قريب من المحسنين »(٤) .**

هذا واذا كانت السنة النبوية الشريفة قد بينت المفهوم المتواتر لحقيقة الاحسان بمراقبة الله سبحانه سرا وعلانية ، ففى ذلك ايفاد لما يتبادر فهمه من اقتصار الاحسان على العطاء المادى ، ويحضرنى هنا تفسير د. البهى لحقيقة الاحسان اذ يقول « أمر الله بالاحسان لا يعقل اطلاقا اذا أريد به بذل شىء من المال ، لأن البذل المفروض للمال عرف فى الاسلام بالزكاة، وغير المفروض عرف بالصدقة ، فلم يبق اذن لمعنى الاحسان الا أداء الفضل الذى هو خدمة انسانية »(٥) .

اى أن الاحسان اذن هو أداء الفضل تحقيقا للمصلحة العامة فى سائر ما أنعم الله به على الانسان من أمور مادية ومعنوية .. سجل لها التاريخ نماذج عديدة فى عصور صدر الاسلام ، وجمعها القرآن الكريم فى هذا الأمر الجامع لمكارم الأخلاق ومعالى الصفات ، قال تعالى « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »(٦).**

حقاً انها لآفاق اجتماعية رحبة تصدر عن دعوة الاسلام ... الاسلام الذى أوجد — ويستطيع أن يوجد دائما المجتمع المثالى ، بل الأمثل .. المجتمع الذى تتوفر فيه معانى الانسانية ، وتتحقق فيه أحلام الأقليات ، حيث تظل الجميع راية العدل والاحسان .

وأخلص مما سبق لأقرر :

ان المجتمع — فى جوهره وحقيقته الاسلامية — ليس فكرة مثالية لا واقع لها ، وليس رقعة مادية تضم مجموعة أفراد تنشأ بينهم مختلف العلاقات . ولكن المجتمع ايمان عقائدى يدين الناس به ، وتشريع عملى يخضعون لأحكامه ، ونظام خلقى يتعايشون فى ظلاله .

---

(١) تفسير سورة الأعراف د. البهى ص ١٥١
(٢) سورة البقرة : ١٩٥
(٣) سورة يونس : ٢٦
(٤) سورة الأعراف : ٥٦

(٥) كتاب « الدين والحضارة الانسانية » د. البهى ص ٢٥٩
(٦) سورة الأعراف : ١٩٩

موقف الإسلام

بنظمه ومبادئه وتعاليمه

من المذاهب المعاصرة

الشيخ السيد خليل الجراحي

لقد سجل التاريخ الثابت المتواتر بأحرف من نور الحق واليقين على مدى أربعة عشر قرنا الى اليوم . ان الاسلام « دين ودنيا » وتشريع من لدن حكيم خبير للناس كافة وللعوالم أجمع فى جميع مجال حياتهم العامة والخاصة . وفى ميادين أعمالهم وأحوالهم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد فهو دين قويم وسط بين المادية والروحية يعنى بالمعنويات والعبارات الروحية والخلقية وبمحاسن العادات التى هى نتيجة للعقيدة الصحيحة وهى الايمان بالله وباليوم الآخر والشريعة من « عبادات ومعاملات » لقوله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

جاء محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الاسلام وافية بجميع الأحكام والقوانين التى تحتاج اليها الأمم فى تدبير شئونها وتنظيم حياتها صالحة لمسايرة الحياة فى جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها فى أمن وسلام واخاء ورخاء فكانت هذه الشريعة هى شريعة الخلود صالحة لكل زمان ومكان يقول عليه الصلاة والسلام : **« لقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم الناس على مدى ثلاث وعشرين سنة ما بين مكة والمدينة « يثرب » وما حولهما . حتى أكمل الله دينه وأتم نعمته على خلقه وجاء نصر الله والفتح ودانت الجزيرة العربية للاسلام . يقول تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، ويقول تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »** ،

ولما التحق الرسول بالرفيق الأعلى خرج الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار الى ما وراء الجزيرة العربية وبيديهم كتاب الله وتعاليم الاسلام وقضوا على الامبراطورية المجوسية التى تعبد النار من دون الله وعلى الأمبراطورية الرومانية ذات الحضارة الفاسدة وعاشت الملل والنحل مع المسلمين فى ظل الاسلام فى أمن وسلام واستقرار ورخاء .

ان الدين الاسلامى واضحة معالمه وعلى الطريق الصحيح مسالكه . لايزال ظاهرا منذ أربعة عشر قرنا الى اليوم على جميع الأديان والملل والنحل والمذاهب المادية المعاصرة لا تؤثر فيه الدعوات الهدامة المغرضة ولا القوى المعادية من البلشفية الشيوعية والمذاهب المادية التى تريد

هدم الاسلام والاستحواذ على المسلمين وأرضهم للاستغلال والاحتكار ونشر مذاهبهم الدنيوية والمادية التى تعنى بتغذية الجسد وملذات النفس وشهواتها خصوصا فى هذا العصر الذى انحرف فيه العلم حتى أصبح أداة تخريب وتدمير وتقدمت العلوم والمعارف فكان الاختراع الذى يعد معجزة القرن العشرين ولكن من الأسف تحولت هذه الاختراعات (التى هى فى الأصل أن تكون فى أمن وسلام ورخاء الانسانية) الى اختراعات الآلات والذخيرة جوا وبرا وبحرا للحرب والقتال وتغلب القوى على الضعيف .

ومن الغريب حقا الذى لايمكن تكيفه أن بعض المسلمين وبعض رؤسائهم قد حكموا بلادهم بالقوة وقادهم الى محاربة بعضهم بعضا تنفيذا لأغراضهم وشهواتهم غير مبالين بتعاليم دينهم طمعا فى الرياسة وشهوة الحكم وتسلم المراكز الرفيعة واتخذوا أعداء الاسلام أولياء من دون الله لتنفيذ أغراضهم على حساب الشعب المسلم المغلوب على أمره من هؤلاء المسلمين المتحالفين مع أعداء الاسلام ولكن الله سبحانه غالب على أمره وستصبح الغلبة للمسلمين وتنقشع هذه الغمة ان شاء الله تعالى .

هذا هو الاسلام الذى جاء بالتوحيد والنظم التشريعية والاقتصادية والاجتماعية واكتسح أمامه كل نظام فاسد وتشريع وضعى باطل وما ذاك الا لأن الاسلام هو الضمان للمسلم لحياة الرخاء فى ظله وبتطبيق تشريعاته وأن المذاهب الاقتصادية والاجتماعية التى جاء بها المفكرون منذ قبل الاسلام وبعده الى اليوم لم تجر على العالم الا سفك الدماء والخراب والاستغلال والعبودية .

ونستطيع بعد هذا البيان الشافى فى عدالة الاسلام وسمو مبادئه وفساد نظم المذاهب الأخرى التى هى تتغير وتتبدل ولا تدوم مدة تقضى على مساوى انظمتها المادية البحتة ليتبين الفارق بين الحق والباطل .

(ان العالم المعاصر يواجه اليوم أقصى الأزمات)ومن أولى المشكلات التى أوجدت هذه الأزمات هى المشكلة الاقتصادية فهى مشكلة الحياة اليومية واصبحت الحروب القائمة الآن تسمى الحروب الاقتصادية بعد أن كانت حروب استعمار من الأمم القوية للأمم الضعيفة وقامت على ذلك الحرب العالمية الأولى والثانية وكلاهما شر للانسانية واهدار لحقوق الانسان وكرامته

وأغلب الناس بما فيهم من يعلمون القوانين الدستورية يتناولون حقوق الانسان من جانبها السياسى وجانبها المدنى . أما حقوق الأنسان الاقتصادية والاجتماعية فهى حديثة العهد لم يعترف بها الا منذ أن قامت الحركات الاقتصادية الحديثة فى أوربا فى القرن التاسع عشر .

وهذه المشكلات الاقتصادية المنبعثة من النظم الاقتصادية الحالية ونظم المذاهب المعاصرة يمكن تقسيم هذه النظم الى قسمين رئيسين:

١ ــ النظم الفردية

٢ ــ النظم الجماعية فالنظم الفردية التى تدين بالنظام الرأسمالى . ترى أن الفرد هو الغاية من النظام الاقتصادى وأن الحياة الاقتصادية تخضع لنظام طبيعى تنفذه الأفراد فى سعيهم لاشباع حاجاتهم الخاصة وتحقيق منافعهم وأن الدولة تحمى هذا النظام وتقيم العدالة بين حرية الفرد وحرية الجماعة وتسن القوانين لذلك فلا تعارض بين المصالح الفردية والمصالح العامة فتعطى الأفراد الحرية المطلقة دون تقييد وهذا النظام الرأسمالى يرتكز على أركان ثلاثة رئيسية:

١ ــ حرية التملك .

٢ ــ حرية الاستغلال .

٣ ــ حرية الاستهلاك .

فالركن الأول وهو حرية التملك يسمح للفرد بغزو جميع عناصر الانتاج من الأرض والآلات والمعادن والمبانى وغير ذلك من ألوان الثروة ويكفل القانون فى المجتمع الرأسمالى حماية الملكية الفردية الخاصة وتمكين المالك من الاحتفاظ بها .

والركن الثانى وهو حرية الاستغلال يسمح للفرد بتنمية ثرواته بمختلف الوسائل التى يتمكن منها فالفرد هو العامل الوحيد فى الحركة الاقتصادية فله استغلال الأساليب والطرق للتنمية دون تقيد حتى ولو يؤدى ذلك الى الاضرار على الغير فلمالك رأسمال ضخم كبير له أن يبنى المؤسسات الكبيرة وان كانت تؤدى الى خراب مؤسسات رأس المال الصغير .

والركن الثالث وهو حرية الاستهلاك يضمن للفرد الحرية فى الاستهلاك فله انفاق ماله كيف يشاء فهو يختار السلع التى يستهلكها فقلما تحرم الحكومة استهلاك بعض السلع كالمخدرات الا عند الحاجة الماسة فيما يتعلق بالمصلحة العامة .

من هذا يتبين لنا أن النظام الراسمالى مجرد عن المعانى والعبارات الروحية والخلقية وهو كبوة عظيمة فيه تؤدى الى الأنانية التى تلتزم تسخير سائر الكتل البشرية لحساب الراسمالى فلم تكن هذه الحرية المطلقة الا سلاحا جاهزا بين الاقوياء ويشق لهم الطريق ويعبد أمامهم سبل المجد والثروة على جماجم الآخرين .

والى جانب هذه النظم الفردية النظم الجماعية :
التى تتمثل فى أول تطورها فى الاشتراكية وفى آخره فى الشيوعية الماركسية البلشفية فقد قامت أول تجربة شيوعية فى روسيا عام ١٩١٧ وتطلع الفقراء فى أنحاء العالم الى نتيجة تلك الشيوعية فاذا بها تهدد كرامة الفرد وكرامة الجماعة وتعتبر الانسان مجرد آلة تعمل لتنتج كما تعمل آلة حديدية وأصيب رواد هذا النظام ودعاته بخيبة أمل كبيرة لأنهم وجدوا أن تلك الدعوة لم تكن الا وعودا كاذبة بدليل أن الفرد مازال حتى اليوم وفى ظل هذا النظام الشيوعى اللينينى يترنح من مساوىء هذا النظام الذى فرض قيودا لافكاك له منها فكان أسوأ من النظام القديم الراسمالى .

هذا : وقد ظهر أن نقطة الضعف فى كل من النظامين الاقتصاديين المعاصرين هى الاهتمام بأحد طرفى المجتمع واهمال الطرف الآخر أضف الى ذلك عدم احتفاظ النظامين بالقيم المادية والقيم الروحية فانهما يقتصران على القيم المادية فقط . فالدوافع المادية لا تؤدى دائما الى التقدم فكثيرا ما تؤدى الى التدهور والانهيار بينما تؤدى الدوافع المعنوية الى التقدم واستقرار السلام والأمان والتنمية الاقتصادية والرخاء وقد انعدمت الدوافع المعنوية فى هذين النظامين لأن النظام الشيوعى البلشفى اللينينى قائم على عدم الاعتراف بالله سبحانه فليس عنده ضمير ووجدان واحساس بالحساب يوم القيامة حتى يتفاعل مع القيم الروحية التى هى من أحد ركنى الاسلام والنظام الرأسمالى لم يعمل بدينه ويتمسك به وهو الدين المسيحى واليهودى ولم يكن له حظ فى دينه الا اسمه ورسمه والأدهى والأمر من هذه المذاهب ظهور العنصرية البغيضة التى هى أشد وطأة على الانسانية من المذهبين الماديين فقد فرقت بين الأجناس والألوان حتى عم بالبلاد الضعيفة البلاء واشتعلت الحروب بها .

وحلت النكبات بهذه الأنظمة الباطلة والاباحية الماجنة التى هى من صنع البشر .

أما التشريع الاسلامى الذى هو من صنع الله خالق القوى والقدر وأعلم بحال عباده فانه يتميز بجعله القيم المادية والقيم الروحية متوازيين وهذه الميزة تجعل النظام الاقتصادى الاسلامى ايجابيا يكفل نشأة المجتمع الاسلامى السليم وقد اعترف بذلك الأستاذ الكبير « ويلفدر سميث » وأمثاله العباقرة الاحرار الذين مع الحق فى كتابه « الاسلام فى التاريخ الحديث » قائلا :

« بأنه لأمر عظيم أن القيم حياة جماعية سليمة على وجه الأرض » ولاشك « أن النظام الاسلامى هو أجدى وأثبت تجربة تمت لتحقيق العدالة بين الناس » وأكد أن ذلك يأتى عن نظر الاسلام بأن لكل حادث دنيوى مغزيين ويقيسه بمعيارين أحدهما مادى والآخر معنوى فالقيم الروحية والخلقية اذن دوافع كامنة فى جسم الانسان توجهه الى تصرفات تتفق فيها مصلحته الفردية والمصالح العامة .

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم قد وضع القواعد الكلية وأنشأ الأصول العامة وما يتفرع عليها من أحكام فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وفى كل ناحية من نواحى الحياة للفرد والجماعة مما يكفل للمسلم السعادة فى الدنيا والآخرة وقد استنبط الفقهاء للوقائع والحوادث التى تجدد أحكاما تمشى ومصلحة الناس وعاداتهم وعرفهم بحيث لا تتصادم مع نص فقد أدرك الفقهاء وعلماء المسلمين أن الاسلام لا يقف جامدا أمام هذا التطور فنذروا وأعطوا لكل حالة لبوسها من الحكم والعدالة مستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله .

وقد شهد التاريخ قوة الاسلام وعزة المسلمين فى الصدر الأول وفى السنين الأولى من عصور الاسلام لتنفيذهم مبادىء الاسلام والعمل بكتاب الله وسنة رسوله وليس من علاج لعودة المسلمين لوضعهم الأول من القوة والمنفعة الا كما قال الامام مالك رضى الله عنه « لا صلاح لهذه الأمة الا بما صلح به أولها » يقول تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

الألفاظ المترادفة فى الاستعمال القرآنى

الدكتور رمضان عبد التواب

كثيرا ما تتوارد الألفاظ المختلفة على المعنى الواحد ، فى كل لغات الأرض ، فليست العربية بدعا فى هذا ، حين تفيض نصوصها بمثل هذه الألفاظ ، التى يطلق عليها اللغويون اسم « الألفاظ المترادفة » ، كدلالة : « الليث » و « السبع » و « الضرغام » و « الغضنفر » و « القسورة » وغيرها عند العرب ، على « الأسد » مثلا .

وفى القرآن الكريم أمثلة متعددة لوقوع ظاهرة (الترادف) فى ألفاظه ، فقد جاءت فيه بعض الألفاظ المترادفة ، التى تستعمل كل واحدة منها مكان أختها ، بلا أدنى فرق فى المعنى ، كقوله تعالى فى سورة النساء : « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفرا ، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » ، ثم قال بعد ذلك فى السورة نفسها : « ان الذين كفروا وظلموا ، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا » ، فقد استعمل السبيل والطريق بمعنى واحد ، فى سياق متشابه ، ولا يحتمل فرقا فى المعنى .

ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة النحل : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله » ، وقال فى سورة المؤمنون : « فأرسلنا فيهم رسولا أن اعبدوا الله » ، فقد دل على معنى واحد بكلمتين مترادفتين هما : « بعث » و « أرسل » . وكذلك الحال فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : « واذ استسقى موسى لقومه ، فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » . وفى سورة الأعراف يقول جل شأنه : « وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ، أن اضرب بعصاك الحجر ، فانبجست منه اثنتا عشرة عينا » . والسياق فى الآيتين يؤكد الترادف الكائن بين الفعلين : « انفجر » و « انبجس » .

غير أن الاستعمال القرآنى لمثل هذه الألفاظ المترادفة ، كثيرا ما يبرز الفروق بينها ، ويخصص كل واحدة منها بفروق المعنى اللغوى ، لهذا اللفظ أو ذاك .

من ذلك كلمتا : « الغيث » و « المطر » ، فكلتاهما تدل على الماء النازل من السماء ، وهما بهذا المعنى مترادفان ، غير أن القرآن الكريم ، يستخدم كل واحدة منهما ، استخداما يجعل بينهما بعض الفرق ، فانه حين يستخدم الكلمة الأولى : « الغيث » لا يستخدمها الا فى مواطن الرحمة ، والمن على العباد بانزال المطر الذى يحيى الأرض ، وينبت الزرع ، ويبعث فى كل شىء الحياة والنماء ، **يقول الله عز وجل : « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام » ، ويقول كذلك : « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته » .**

ولأن « الغيث » يحمل معنى الرحمة ، استعمل الفعل منه للدلالة على استصراخ الذى يأمل معه المستصرخ الاستجابة السريعة واجابة الطلب . ويتضح هذا فى قوله تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم» . أما قوله تعالى : «وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه » ، فانه يحمل معنى التهكم بهؤلاء المستغيثين من أهل النار ، الذين لا يستحقون الاغاثة ، تماما كقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » ، والبشارة تكون بالثواب لا بالعقاب .

أما « المطر » فهو فى القرآن الكريم ، علامة العذاب الأليم ، والعقاب الشديد ، الذى يصبه الله سبحانه على المكذبين الضالين . انظر الى قوله تعالى : « وأمطرنا عليهم مطرا ، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين» ، وقوله عز وجل : «وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » ، وقوله جل شأنه : « ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء » ، لتعرف أن الاستعمال القرآنى خص كلمة : « المطر » بمواقف العذاب والوعيد الشديد .

ويظهر أن الفرق بين كلمتى : « الغيث » ، « المطر » ، كان معروفا لدى الأعراب فى الزمن القديم ، فقد روى الأصمعى عن بعضهم أنه قال : « ما أفصح أمة بنى فلان ! قلنا لها : كيف كان مطركم هذا العام ؟ فقالت : غثنا ما شئنا . ولم تقل : مطرنا ما شئنا » . ويبدو هذا واضحا كذلك فى دعاء الاستسقاء ، اذ يقال فيه : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا » ، ولا يقال : اللهم أنزل علينا مطرا .

ومن تفريق القرآن الكريم بين معانى الألفاظ المترادفة : تفريقه بين كلمتى : « اليهود » و « بنى اسرائيل » ، فقد يظن من لا يعرف هذا ، ويقرأ قول الله تعالى : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » ، أنه سبحانه وتعالى يعنى بذلك اليهود فى كل زمان ومكان ، وأنه أنعم عليهم وفضلهم على العالمين .

والحقيقة أن القرآن الكريم ، حين يستخدم تعبير : « بنى اسرائيل » فانما يعنى به قوم موسى الذين كانوا فى عصره ، وآمنوا به ، واتبعوا شريعته ، أو يقصد أن يذكر اليهود الذين كانوا فى أيام النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، بما كان عليه أسلافهم من المؤمنين بموسى عليه السلام ، والعاملين بشريعته ، يذكرهم بأن هؤلاء الأسلاف ، كانوا يعرفون أن هناك نبيا ، يبعث فى آخر الزمان ، يجدون صفته فى توراته ، ويحضهم على اتباعه ، وعدم الخروج على تعاليم الرحمن ، التى أنزلت عليهم وعلى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام .

فهو يذكر الميثاق الذى أخذه الله منهم فى أيام موسى عليه السلام : « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ، لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » كما يذكر عاداتهم فى العناد والتكذيب حتى قبل الاسلام مع رسلهم وأنبيائهم فيقول : « لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » . وهو يشير الى أحوال بنى اسرائيل ، مع بعض أنبيائهم ، بعد موسى عليه السلام ، فيقول : «ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى ، اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله » .

كما يذكر القرآن الكريم بعض الشرائع الموسوية ، فمثلا : « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » . كما يبين القرآن الكريم موقف بنى اسرائيل من داود وعيسى عليهما السلام ، وأنهم استحقوا لعنة هذين الرسولين الكريمين بعصيانهم ، فيقول : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . ولقد ذكرهم المسيح عليه السلام بعبادة الله ، وحذرهم من عقابه : « وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

كما يمن القرآن الكريم على بنى اسرائيل باعطائهم الكتاب والحكمة ، ونجاتهم من فرعون وقومه ، ورزقهم من طيبات المأكل والمشرب ، فيقول : « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة » ، ويقول : « يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم » ، ويقول : « ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ، ورزقناهم من الطيبات » .

وأحيانا يخاطب الله سبحانه وتعالى اليهود الذين كانوا فى أيام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيذكرهم بلقبهم : « بنى اسرائيل » الذين

عرفوا به فى أيام موسى عليه السلام ، عندما اتبعوا شريعته ، وآمنوا برسالته ، فيقول : **« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به »** .

تلك هى جمهرة المواضع ، التى ذكر فيها « بنو اسرائيل » فى القرآن الكريم ، وهى لا تعنى اطلاقا مدحا لهم فى كل زمان ومكان ، كما قد يتوهم من الآية التى ذكرت فى سورة البقرة مرتين وهى قوله تعالى : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » ، بل تعنى مدح قوم موسى الذين آمنوا به واتبعوه ، فهم مفضلون على العالمين فى عصرهم بهذا الايمان !

أما عندما يذكر القرآن الكريم « اليهود » ، فانما يعنى هذه الشرذمة التى سكنت الجزيرة العربية ، بعد أن شتت الله شملهم ، ودمر مملكتهم الأخيرة : « يهوذا » ، سنة سبعين بعد الميلاد ، على يد « تيتوس » القائد الرومانى ، الذى أسقط « أورشليم » ، وأسلم الهيكل الذى بناه اليهود للعبادة فيها ، الى النيران ، فهام سكانها على وجوههم فى بلاد الله الواسعة ، واتجه بعضهم الى يثرب وما جاورها من بلاد الجزيرة العربية .. وعرفوا بين الناس باليهود ، نسبة الى مملكتهم المنهزمة « يهوذا » .

وقد قال الامام السهيلى فى كتابه : « التعريف والاعلام » فى هذا الشأن : « وسميت اليهود بيهوذا بن يعقوب ، انتسبوا اليه عند بعض الملوك ، لسبب يطول ذكره ، ثم عربته العرب بالدال » ، كما قال الجواليقى فى كتابه المعرب من الكلام الأعجمى : « ويهود : أعجمى معرب ، وهم منسوبون الى يهوذا بن يعقوب ، فسموا اليهود ، وعربت الكلمة بالدال » .

هؤلاء اليهود الذين قطنوا الجزيرة العربية ، بدلوا دين الله ، وكثرت فيهم الشرور والآثام ، وناصبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء ، فلم يذكرهم القرآن الكريم فى آياته ، الا صب عليهم اللعنات، وتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور ، جزاء لهم على افكهم وبهتانهم ، وافترائهم على الله الكذب **« وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا »** . وقد ظن هؤلاء اليهود أنهم أحباء الله وأولياؤه ، مع أنهم اذنبوا وتركوا شريعتهم ، وحرفوا دينهم ، ولم يصدقوا النبى الذى وصفته لهم توراتهم ، فاذا قالوا : **« نحن أبناء الله وأحباؤه »** ، رد عليهم القرآن الكريم بقوله : **« قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء »** . وقد افتروا على الله الكذب ، فقالوا : **« عزير ابن الله »** ، وبذلك أشركوا بالله **« ذلك قولهم بافواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون »** .

ويسميهم القرآن الكريم أحيانا « الذين هادوا » فيزرى عليهم تحريفهم للتوراة ، ويذكر انهم ظلموا أنفسهم ، فحرم عليهم الطيبات ، كما كذبوا وادعوا أنهم أولياء الله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » ، « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » ، « قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » .

واليهود يدعون أنهم من نسل ابراهيم عليه السلام ، وأنهم على شريعته ، فيكذبهم القرآن الكريم ، اذ يقول : « ما كان ابراهيم يهوديا **ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين »**.

وقد أعلن القرآن الكريم أنهم نقضوا الميثاق الذى أخذه الله منهم ، فلعنهم الله « فبم نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ». ولقد كشف الله عداوتهم الخبيثة للاسلام وأهله، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، محذرا اياه من عداوتهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » . ولقد توعدهم الله بأنهم « ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

وهكذا نرى القرآن الكريم ، حينما يستعمل لفظتى : « اليهود » و « بنى اسرائيل » ، لا يفعل ذلك كأنهما مترادفان ، كما يقول : « المسيح » و «عيسى بن مريم» مثلا ، بل يطاق عليهم : «اليهود» و « الذين هادوا » فى مواضع السخط عليهم ، أو التنديد بسوء أعمالهم ، أو الوعيد بما يصيبهم، جزاء ما يقترفونه من اثم ، أو ما يتورطون فيه من جحود الفضل ، وانكار للمعروف ، أو عند حكاية ما أصابهم فعلا من الخسران والبوار ، والذلة والعبودية ، لفساد الطوية ، وسوء النية . والله أعلم .

من الظواهر الحضارية
الاستئذان

الدكتور محمد سعد حسن قشوان

دينا الاسلامى الحنيف صالح لكل زمـان ومكان ، لم تختص به أزمنة دون أزمنة ، ولا أمكنة دون أمكنة ، ولا عبرة بالرؤى القاصرة ، أو الأفكار الشائهة التى تصدر عن بعض المغرضين وقصار النظر من الملحدين وأعداء الاسلام ، من أن الدين والحضارة الحـديثة بعلومها ومخترعاتها وادياتها لا يلتقيان ، ذلك لأننا لا نكاد نمعن النظر فى القرآن الكريم .. الدستور الخالد لأمتنا الاسلامية ، وفى السـنة المطهرة ، المصدر الثانى للتشريع الاسلامى حتى نجد فيهما كثيراً من المؤشرات الواضحة ، التى تصادق روح العصر وتتآلف دون أن تتنافر معه بحـال .

وهـذه المؤشرات التى نعنيها انما تترجم أو يترجم عنها الوجه المشرق للحضارة الحديثة ، وكل ما فى حضارة العصر من مشكلات لم يعجز الاسلام عن أن يضع لهـا ما يناسبها من الحلول وكثير من تلك المشكلات التى تواجه الفرد والمجتمع فى البلاد التى تدعى الحضارة والتمدين لم تكن يوما من المشكلات العويصة فى الاسلام ، ذلك لأن هذا الدين قد استوعب كل حدود الزمان : ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، ووضع لكل داء دواء ولكل معضل من الأمور حلا ، ولن يكفينا اذا أردنا التطبيق على صحة هذا الكلام النظرى الا أن نأتى على ما فى هذا الدين جملة من حكم وتوجيه وارشاد وتقويم فى كل المناحى الحيوية التى عالجها ، وذلك أمر لا تتحمله طاقة الفرد ، ولا ينهض أحد بالترجمة عنه فى مقال أو عدة مقالات ، وان طالت ، ولكننا نختـار فقط من توجيهات الاسلام وتعاليمه فى بعض الموضوعات التى تتصل بحياتنا العصرية ولم تقف عند حدود «الآن» بل كان لها جذورها العميقة فى «الماضى» وسيظل لهـا امتدادها فى «المستقبل» ما يوضح موقف الاسلام منها ، ولننظر مـدى عالمية تلك النظرة ، ومدى اتصالها بحضارة الانسان فى كل زمان ومكان ، **فهناك ــ مثلا ــ آداب فى التحية والاستئذان والطعام ، وفى علاقة الانسان بأخيه الانسان ، تتخذها الأمم المتحضرة مدعاة للتفاخر والتباهى ، وهى تظن أنها لها وحدها ، لاتتعداها الى غيرهـا من البـلاد التى تخلفت عن ركب الحضارة الحديثة فى بعض نواحيها ، علما بأن هذه الآداب قد عرفها الاسلام قبل أن يعرفها هؤلاء ، وطبقها المسلمون الأوائل تطبيقا يدعو الى المباهاة والفخر .**

وسنقتصر حديثنا فى هذا المقال على آداب الاسلام فى الاستئذان ، لنرى نمطا من أنماط الأدب الاسـلامى الرفيع ، ولندرك أن ديننا

الاسلامى دين يتعالى ويسمو أبداً على كل سلوك حضارى على مدى الأزمان ، بوسع الأمم المتحضرة أن تتعلم منه دون أن تضيف اليه ، وأن تعترف بما له من رفعة وعلو شأن دون أن تغض من قيمته أو تزرى بشىء من تعاليمه وآدابه السامية المخلدة أبداً على الدهر .

— ٢ —

والاستئذان من الآداب الشرعية التى أدب بها الحق سبحانه عباده المؤمنين ، حيث وجه هؤلاء الى ضرورة الاستئذان حين يرغبون فى دخول بيوت غير بيوتهم ، فقال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» (سورة النور الآيات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

وقد رخص للمسلم مريد الاستئذان أن يستأذن ثلاث مرات ، فان أذن له والا انصرف ، فقد ثبت فى الصحيح أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاث مرات فلم يؤذن له انصرف ، ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له ، فطلبوه فوجدوه وقد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجعك ؟ قال : انى استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى ، وانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف » فقال عمر : لتأتينى على هذا ببينة والا أوجعتك ضربا فذهب الى ملأ من الأنصار ، فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا : لايشهد لك الا أصغرنا فقام معه أبو سعيد ، فأخبر عمر بذلك ، فقال : ألهانى عنه الصفق بالأسواق .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال : السلام عليك ورحمة الله ، فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ، ولم يسمع النبى صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثا، ورد عليه سعد ثلاثا، ولم يسمعه، فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد ، فقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، ما سلمت تسليمة الا وهى بأذنى ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأردت أن أستكثر من كلامك ومن البركة ، ثم أدخله البيت فقرب اليه زبيبا فأكل نبى الله ، فلما فرغ قال : أكل طعامكم الابرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون » وقد روى هذا الحديث من وجوه أخر ، وهو حديث جيد قوى كما يقول العلامة ابن كثير فى تفسيره (تفسير القرآن العظيم ، مكتبة التراث الاسلامى حلب جـ ٣/٢٧٩) .

وينبغى للمستأذن أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره ، لما رواه أبو داود أن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السلام عليكم ، السلام عليكم ، وذلك أن الدور يومئذ لم يكن عليها ستور ، وهذا الحديث ينفرد بروايته أبو داود .

وانما كان ذلك من أجل النظر ، فقد روى أن رجلا وقف على باب النبى صلى الله عليه وسلم مستقبل الباب فقال النبى صلى الله عليه وسلم « هكذا عنك ، أو هكذا ، فانما الاستئذان من النظر » ولذلك لم يكن على المسلم جناح أن هو فقأ عين انسان يطلع على عوراته من خلل بيته ، فقد روى فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح » .

وروى أن جابر قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى دين كان على أبى فدققت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أنا ، قال : أنا أنا ؟ ! كأنه كرهه .

وانما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التى هو مشهور بها ، والا فكل أحد يعبر عن نفسه بأنا ، فلا يحصل المقصود من الاستئذان .

وقد روى ربعى قال : أتى رجل من بنى عامر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فقال : أألج ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له : قل السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم . أأدخل فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم فدخل .

وحكمة الاستئذان ثلاثا هى كما قال قتادة رضى الله عنه : الأولى : ليسمع الحى ، والثانية : ليأخذوا حذرهم ، والثالثة : ان شاءوا أذنوا وان شاءوا ردوا .

ولا ينبغى لمسلم أن يقف على باب قوم ردوه عن بابهم فللناس حاجات ، ولهم أشغال والله تعالى أولى بالعذر كما قيل .

أما بيوت التجار كالحانات ، ومنازل الأسفار ، وغير ذلك فليس على المرء من حرج أن يدخلها من غير استئذان .

— ٣ —

وفى سورة النور أيضا يقول جل شأنه : ((يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم .واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم. والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم)) .
(الآيات : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) .

وهذه الآيات اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض حيث أمر تعالى عباده المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم ، واطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم فى ثلاثة أحوال : من قبل صلاة الغداة ، لأن الناس اذ ذاك يكونون نياما فى فرشهم ، وفى وقت القيلولة لأن الانسان قد يضع ثيابه فى تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت فى تلك الأوقات ، لما يخشى أن يكون الرجل فى خلوة مع أهله ، أو شىء من هذا القبيل ، ولهذا قال : **((ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن)) .**

وقد روى عن ابن عباس أنه قال حين سأله رجلان عن الاستئذان فى الثلاث عورات ، التى أمر الله بها فى القرآن : ان الله ستير يحب الستر ، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال فى بيوتهم ، فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه فى حجرة وهو على أهله ، فأمرهم الله أن يستأذنوا فى تلك العورات التى سمى الله ، ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم الرزق ، فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذى أمروا به .

هذا بالنسبة لغير الأطفال ممن بلغوا الحلم ، أما الذين دون الحلم منهم فلم يشرع الله لهم فى الاستئذان فى تلك الأوقات ، فاذا بلغوا الحلم استأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .

وقد بينت الآية أن القواعد من النساء وهن اللواتى انقطع الحيض عنهن ، ويئسن من الولد ، ولم يعد لهن تشوف الى الزواج ، ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ، غير متبرجات بزينة ، أى ليس عليهن من الحجر فى التستر كما على غيرهن من النساء ، ولكن ترك وضعهن لثيابهن وان كان جائزا خير وأفضل لهن (والله سميع عليم) .

— ٤ —

ثم يتعرض القرآن الكريم لاستئذان من نوع آخر هو الاستئذان الى الطعام ، فيقول جل شانه فى سورة الأحزاب : ((يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستانسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ، واذا سالتموهن متاعا

فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » . (الآية : ٥٣)

وهذه الآية فيها أحكام وآداب شرعية مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كما ثبت ذلك فى الصحيحين أنه قال رضى الله عنه : وافقت ربى عز وجل فى ثلاث : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله : **« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »** ، وقلت : يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن ، فأنزل الله آية الحجاب ، وقلت لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه فى الغيرة « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » فنزلت كذلك .

وقد نزلت آية الاستئذان الى الطعام فى صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش التى تولى الله تزويجها بنفسه .

وسبب نزول هذه الآية يرويه أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : حين تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون ، فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه »** .

وهؤلاء الثلاثة الذين استرسلوا فى حديثهم بعد أن تناولوا طعامهم شقوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت ومكث قليلا فأنزل الله عليه هذه الآية :

ثم لينظر المتأمل العاقل الى قوله تعالى : « غير ناظرين اناه » أى غير متحينين نضجه واستواءه ، أى لا تراقبوا الطعام اذا طبخ ، حتى اذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فان هذا مما يكرهه الله ويذمه ، وهذا دليل على تحريم التطفل ، وتهجين صورته ، والتطفل سلوك اجتماعى كريه تتجافى عنه روح المدنية والتحضر ، وقد كرهه العرب ، ونفروا منه ، وأعرضوا عن المتطفلين ، ثم جاء الاسلام فنفر منه وهجنه أيضا .

وبعد فماذا نقول عن تلك الآداب الاسلامية الحميدة فى الاستئذان ؟ وماذا نقول عن هذا السلوك الحضارى الرفيع ؟ وماذا يقول دعاة التمدن والحضارة حين يقفون على منهج الاسلام فى هذا الصدد ؟ ان كان لديهم شىء زائد على ذلك فليضيفوه ولكنهم فى الحقيقة عاجزون ، بل الواجب أن يتعلموا من تلك الآداب ، وأن يستفيدوا من تلك النظرات الفريدة من أجل اصلاح ما يضطرم منه مجتمعهم من مشكلات وأدواء ، وعلى المسلمين أيضا أن يعالجوا مشكلاتهم المعاصرة ، وشرودهم عن الدين ، وارتماءهم بين أحضان حضارة العصر الزائفة بالرجوع الى دينهم ، والاعتبار بآياته الخالدة ، التى لا تبلى مع الزمن ، بل تكتسب فى كل يوم جدة ورونقا وبهاء وتأثيرا .

فهل آن للعالم جميعه شرقيه وغربيه أن يترصد خطاه على طريق الحق ، وأن يقيم لواء الدين على نهج سوى ، وأن يصلح من عيوبه الاجتماعية فى هدى من هذا النور الساطع الذى لا تحجبه الافتراءات والادعاءات الزائفة ؟ عسى .. ولعل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وانتصر الحق .. فى يوم حنين

الدكتور محمد الطيب النجار

كان يوم حنين يوما خالدا فى تاريخ الاسلام عرف المسلمون فيه أن الايمان هو أعظم شىء توزن به الرجال . وتدرك على أساسه الآمال ، وأن الغرور هو الداء الوبيل الذى يورد أصحابه موارد الهلكة وينزل بهم الى مهاوى الدمار ، وأن الله يؤيد الحق بجنوده فيصدع به الباطل ويدمغه فاذا هو زاهق . والى ذلك اليوم الخالد يشير الله عز وجل بقوله فى سورة التوبة : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم »

وكان يوم حنين فى الخامس من شهر شوال وفى العام الثامن من الهجرة النبوية . وكان هذا اليوم الخالد صدى لابد منه ليوم الفتح الأعظم الذى لم يمض عليه الا خمسة عشر يوما ، بل كان امتدادا طبيعيا لتيار هذا الفتح القوى . اذ كان موقف المسلمين — وقد أتم الله عليهم النعمة بفتح مكة — يحتم عليهم الا يطلبوا الانتظار بها أو يطمئنوا الى الاستقرار فيها ، فهى — حينئذ — واد لم تطهر مسالكه وشعابه ، أو بيت لم تؤمن نوافذه وأبوابه ، ولئن كانت قريش قد اعترفت بالأمر الواقع وأذعنت لرسول الله وللمسلمين ، فلا يزال على مقربة منهم قبائل هوازن ونصر وجشم وهم عدو يتلمس الفرص ويتربص الدوائر ويرى فى دخول المسلمين الى مكة مؤيدين بهذا النصر المبين شرا مستطيرا يهددهم فى ديارهم وعقيدتهم . وهو شر يجب القضاء عليه أو الموت دونه .. ومن أجل ذلك فقد بدءوا يجمعون جموعهم بقيادة مالك بن عوف ويريدون العدوان على المسلمين . وكان هذا العمل من جانبهم حافزا للمسلمين الى الاسراع فى درء هذا الخطر واستئصاله قبل أن يتسعر لهيبه ويتفاقم شره . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى لقاء هوازن فى جيش ضخم اهتزت له البطحاء ، وتسمع العدو الى أنبائه فى خوف وحذر . اذ كانت عدته اثنى عشر الفا . حتى لقد أعجب المسلمون بكثرتهم وقال بعضهم

لبعض : لن نغلب اليوم من قلة .

وحتى قال بعض الشعراء من المسلمين ينصح الى هوازن بالاذعان والتسليم :

أبلغ هـــوازن أعــلاها وأســفلها
منى رســالة نصح فيه تبيــــان
انى أظن رســول الله صــابحكم
جيشــا له فى فضـــاء الأرض أركان
تكاد ترجف منــه الأرض هيبتــه
وفى مقـــدمه أوس وعثمــــان

وتروى لنا كتب السيرة كيف وقعت المعركة ، وكيف تفرق المسلمون فى أول الأمر ولم تغن عنهم كثرتهم شيئا حينما كرت عليهم هوازن فى عماية الفجر ، وكيف ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الراسخ يهزأ بهذه العاصفة الحمقاء ثم اجتمع اليه المسلمون المخلصون حينما سمعوه يقـول :

« الى أيها الناس ، الى أيها الناس ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » وحينما سمعوا عمه العباس ينادى بأعلى صوته : « يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان » فأجابوا : « لبيك لبيك » ثم أنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة .. ولا يعنينا الوقوف الطويل أمام تلك المعركة بسرد تفاصيلها ، فقد أوسعت كتب السيرة الكلام فى ذلك . ولـكنا سنقف عند بعض العبر فيها ، عسى أن يكون لنا فى ذلك الماضى الكريم ما يحفز همتنا الى حاضر جليل ومستقبل عظيم .

ففى يوم حنين تلاقى الجمعان : فئة كثيرة تقاتل فى سبيل الله . وفئة قليلة تقاتل فى سـبيل الطاغوت .. ومن عجب أن الفئة الكثيرة المؤمنة يتخلى عنها أول الأمر نصر الله وتأييده فتغلبها الفئة القليلة الكافرة !!

فكيف ينتصر الباطل القليل على الحق الكثير وللحق دائما قوته ومضاؤه ؟ وكيف يستطيع الكفر هذا المضى والاقدام وتثبت له أمام الايمان أقدام ؟ لقد أوضح الله عز وجل ذلك فى محكم كتابه فقال: « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » فالآفة كلها — حينئذ — هى الغرور ، والداء كله هو عدم التبصر واليقظة فى الأمور ، فلقد ظن المسلمون أن كثرتهم ستصل بهم الى نصر حاسم لا ريب فيه ، ونسوا — الا قليلا منهم — أن العناية الالهية هى أبدا أساس النصر والظفر . وأن كثرة العدد وحدها ليست كل شىء فى ميادين الحروب ، انما القيمة كل القيمة فى الايمان الذى يملأ النفوس ويعمر القلوب ، ولو استرجع المسلمون فى يوم حنين تاريخهم قبل ستة أعوام لرأوا أنفسهم فى يوم بدر فئة قليلة ولكن الله نصرها نصرا مؤزرا على الفئة الكافرة الكثيرة . ذلكم بأنهم فى يوم بدر لجأوا الى الله وحده لا الى قوتهم ، واعتمدوا على حوله وقوته لا على كثرتهم..ومن هنا نلتمس العبرة والموعظة الحسنة ، فالناس دائما — أفرادا وجماعات — يتدافعون فى معترك الحياة على أساس من القوة المادية ، وهم فى ذلك فريقان : فريق يرى أن هذه القوة وحدها هى كل شىء فهى التى تتحكم ، وهى التى تقضى وتبرم ، وهى التى توجه دفة الأمور وقتما تشاء وكيفما تشاء .. وفريق آخر يرى أن القوة المادية مهما بلغ أمرها ان لم تركن الى خالق القوى فهى بناء لا أساس له سرعان ما يتداعى وينهار .. وهذا الصنف من الناس هم الذين وقف التاريخ دائما بجانبهم يؤيدهم ويؤكد رأيهم وهم الذين يبنون المجد الخالد فلا تعصف به الأنواء . بل تتحطم على صخرته وتذوب أمام قوته .

والمسلمون اليوم كثرة ولكنهم — فى جملتهم — غثاء كغثاء السيل وليس يجديهم فتيلا أنهم — على كثرتهم — يتسابقون الى التسلح المادى ان لم يتسلحوا باليقين والايمان ، وما قيمة السيف فى يد الجبان ؟ ولا شك أن هذا الايمان هو الذى جعل المسلمين بعد أن فروا من نصرة الرسـول صلى الله عليه وسلم فى يوم حنين يتذكرون فاذا هم مبصرون واذا هم تحف بهم السكينة . وتشرق فى قلوبهم الطمانينة فيندفعون الى لقاء أعدائهم صفا كانهم بنيان مرصوص . فينصرهم الله لأنهم — اذ ذاك — لم يلجـأوا الى كثرتهم وقوتهم بل لجأوا اليه ، واعتمدوا قبل كل شىء عليه : وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .

وفى يوم حنين وقع المسلمون فى خطأ لم يعرفوه الا بعد أن لمسوا عاقبته الوخيمة . فلقد خرج معهم ألفان من أهل مكة وفيهم البعض ممن دخلوا الى الاسلام ظاهرا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم. وهؤلاء كانوا فى جيش المسلمين بؤرة فساد ومصدر شر وبلاء ، بل كانوا أضر على المسلمين من الأعداء .

ومثل هؤلاء الناس هم طلاب المنفعة العاجلة يلتمسونها حيثما كانت . وقد انكشف أمرهم حينما تفرق المسلمون فى بادىء الأمر عن الرسول حتى قال رجل يقال له : جبلة بن الجليد : ألا بطل السحر اليوم ، وقال رجل من قريش لصفوان ابن أمية : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا ، فغضب صفوان وقال : ويلك ، أتبشرنى بظهور الأعراب .

ولعمرى ان فى ذلك لعبرة وتبصرة . فالأمة التى تلتقى بأعدائها لابد أن تطهر صفوفها من هذا الصنف الخبيث ، وأن تتقدم الى الميدان بجنودها المخلصين الذين صقلتهم التجارب وصهرهم الايمان فصفى نفوسهم من شوائب الشك : اذ لا شك ان الجندى الواحد من ضعفاء العقيدة والايمان أشد فى الضرر والبلاء من عشرة أعداء .

وليحذر المجاهدون المؤمنون من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض وليستأصلوهم من جسم الأمة كما يستأصل الداء والوباء ان أرادوا الفوز والنجاح .

وبعد فما أجدرنا أن نتلمس العبرة والموعظة الحسنة فى يوم حنين ، فنعلم علم اليقين أن الغرور هو الداء الوبيل الذى يسد أمام الناس مسالك الخير والنجاة . ويقودهم الى مهاوى الضياع والدمار .. وأن الايمان هو الملجأ والملاذ فى ظلمات الكروب والشدائد ، وهو خير معوان لنا على ما نرجو من سعادة فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا . ومن الله العون وبه التوفيق .

حديث (ان عبدا أصاب ذنبا ، فقال : رب أصبت ذنبا) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد — ج ٩ ص ١٤٥

حدثنا أحمد بن اسحاق ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، حدثنا اسحاق ابن عبد الله — سمعت عبد الرحمن بن أبى عمرة قال : سمعت أبا هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : ان عبدا أصاب ذنبا وربما قال : أذنب ذنبا — فقال : رب أذنبت ذنبا — وربما قال : أصبت — فاغفر لى — فقال ربه : أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا — أو قال أذنب ذنبا — فقال : رب ، أذنبت — أو أصبت آخر ، فاغفره ، فقال : أعلم عبدى أنه له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنبا — وربما قال : أصاب ذنبا ، فقال : رب ، أصبت أو قال : أذنبت آخر ، فاغفره لى . فقال : أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ثلاثا ، فليعمل ما شاء .

***

حديث (فضل انظار المعسر) أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة والمزارعة) ج ٦ ص ٤٣٥ هامش القسطلانى

حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا منصور ، عن ربعى بن حراش ، أن حذيفة رضى الله عنه حدثهم قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : لا ، قالوا : تذكر ، قال : كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ، ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله — عز وجل — تجوزوا عنه .

أخبار العالم الإسلامى

إعداد: مسعد محمد الديبا - حامد المرسى تقى الدين
أبو سليمان محمد صالح

خطة لرفع مستوى الإعلام الدينى

فى وسائل الاعلام المقروءة والمرئية والمسموعه انتهى خبراء الثقافة بالمجلس القومى من وضع خطة اعلانية جديدة لرفع مستوى الاعلام الدينى فى جميع وسائل الاعلام وفى مقدمتها الاذاعة والتليفزيون وكذلك وسائل التثقيف اليومية من خلال مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات وهيئة الكتاب والثقافة الجماهيرية .

وصرح الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بأن الخطة الجديدة تهدف فى المقام الأول الى ضرورة أن تسعى أجهزتنا الاعلامية من خلال اعلامها اليومى لاعادة الانسان المصرى لأصالته وقيمه فى اطار خطة لاعادة بنائه بناء سليما متكاملا من مختلف الزوايا الحضارية والخلقية والروحية والاجتماعية . وقد ركزت الخطة على ما يلى :

● فى المجال الروحى والخلقى : ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية للشباب من خلال البرامج اليومية مع العمل على اذاعة كل ما ينمى وجدان الشباب ويرسخ قيمهم الروحية والخلقية التى تحلى بها شعب مصر على مر السنين ، وكذلك العناية ببث الفضائل والقيم الروحية وتقوية روح الجماعة فى النفوس والقضاء على النزعات الفردية ، وأن تسهم هذه البرامج بقدر فعال فى تغيير القيم الدخيلة على حياتنا المصرية حتى تعود بالمجتمع الى أصالته .

● فى المجال الحضارى : طالبت الخطة بضرورة أن تكثف أجهزة الاعلام برامجها الخاصة بتعميق مفهوم الشخصية الذاتية لمصر عن طريق اشاعة الوعى بالحضارة المصرية وما قدمته للانسانية عبر العصور حتى يعرف الانسان المصرى طبيعته وأصوله الراسخة فى أعماق التاريخ ويتحقق الانتماء الى الوطن من وقائع أحداث هذا التاريخ ، وأن تسعى أجهزة الاعلام الى اعداد برامج جديدة تغرس فى نفس الشباب العمل الدائم من أجل الحفاظ على

وحدة مصر باعتبارها أول دولة فى التاريخ حققت وحدتها منذ خمسة آلاف سنة ، وكانت هذه الوحدة هى الأساس الذى بنيت عليه الحضارة مع الربط بين الانسان وبيئته ، وجعل هذه البيئة مصر الالهام لرجل الفكر والفنان والصانع ، وأن تغرس هذا المفهوم منذ بدء تربية الطفل حتى تربى فيه روح الانتماء الى هذه البيئة ، وكذلك العناية بتراثنا القديم ، والحفاظ عليه باعتباره الوثيقة الحضارية والتاريخية لتاريخنا الحضارى الطويل .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الندوات التى عقدتها مجلة منبر الاسلام تحت اشراف السيد/ الدكتور زكريا البرى وزير الدولة للأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وحضرها الكثير من أعلام الفكر الاسلامى قد دعت الى تصحيح مسار وسائل الاعلام وتنقيتها من الشوائب حتى تقدم لكل قارىء ومستمع ما يفيده فى دينه ودنياه وحتى تربى الشباب والأجيال الصاعدة على الفضيلة ، وتنهض بهم على أساس من الأخلاق الفاضلة والتربية الانسانية الرشيدة .

مجلس الجماعات الإسلامية بكندا يبحث الحفاظ على تقاليد الأسرة المسلمة

عقد مجلس الجماعات الاسلامية فى كندا مؤتمره السنوى الثامن ، وذلك فى جامعة تورنتو العريقة والشهيرة بمركزها الصناعى ، والعلمى ، والعمرانى ، ومدينة تورنتو يوجد فيها خمسون ألف مسلم وقد شارك فى المؤتمر السفراء والهيئات الدبلوماسية العربية فى العاصمة الكندية.

وكانت أهم الأبحاث تدور فى الموضوعات الآتية :

١ — واجب الأسرة المسلمة ومسئولياتها فى طورها الانتقالى .

٢ — الاسلام والأسرة المثالية .

٣ — المرأة المسلمة وحقوقها فى المساواة.

٤ — تكوين الأسرة المسلمة والمساواة بين أفرادها .

٥ — المعمرون المسلمون فى ظل القانون الكندى للضمان الاجتماعى .

٦ — الشباب المسلم ومسئولية الآباء تجاه الأبناء .

٧ — المرأة المسلمة العاملة والعناية بالأطفال .

٨— الزواج المختلط وتأثيره على تغيير تقاليد الأسرة المسلمة .

٩ — المرأة المسلمة ومسئولياتها تجاه الدعوة .

١٠ — المرأة المسلمة والدستور الكندى.

وقد أعربت رئيسة بلدية تورنتو عن ترحيبها بعقد المؤتمر فى هذه المدينة ، وأعلن أنه قد وقع الاختيار على المسجد الاسلامى فى تورنتو ليكون أحد المعالم العمرانية والحضارية الشهيرة بسبب تصميمه النادر.

كما أعلنت رئيسة البلدية أنها تحبذ انشاء المزيد من المساجد على هذا الطراز الاسلامى ، وأنها ستعمل على تسهيل وتذليل الصعاب أمام المسلمين لاقامة هذه المساجد .

في ذكرى الإمام محمد عبده . واجب المسلمين توحيد صفوفهم .

طالب الدكتور سيد نوفل الأمين العام لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية الدول الاسلامية والعربية الوقوف جميعا صفا واحدا قبل فوات الأوان ومواجهة الأخطار التى تهدد الأقطار فى العالمين العربي والاسلامى والاستفادة من المتغيرات الهائلة التى طرأت على منطقتنا والموارد البشرية والطبيعية المهيأة لها .

وأضاف سيادته فى البيان الذى أصدره بمناسبة الذكرى السادسة والسبعين للامام محمد عبده أن الاستفادة من الامكانيات المتاحة لها ستساعد على اقامة نظام دولى جديد يؤمن لنا الحرية والتقدم ويكفل السلام العادل والمساواة بين شعوب الأرض قاطبة .

فلتكن هذه الذكرى دافعا للوحدة بين شعوب الأمة الاسلامية والعربية وتخليصا من المحن التى أصابتها ، وكفالة لأمنها ورخائها ودعما للسلام العالمى العادل والتعاون الدولى الحر المتكافىء .

وقال سيادته لقد كان محور أعمال الأستاذ الامام الغيرة الصادقة على الاسلام والمسلمين ، وفى هذا وهب حياته لاصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها مما علق بها ، كما ارتفع بالدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليد واصلاح الأزهر والنهوض بالتعليم الدينى .

وأما اصلاحه اللغوى فقد بدأ باصلاح أسلوبه نفسه ، وهو ما ظهر فى الوقائع المصرية ، كما ظهر أروع ما يكون فى صحيفة « العروة الوثقى » التى أنشأها مع الأفغانى عام ١٣٠١ هـ وكان محررها الأول .

أطباء أمريكا وبريطانيا يثبتون أن عسل النحل يشفى الجروح والحروق

أثبتت الدراسات العملية التى قام بها مجموعة من الأطباء بكلية الطب بجامعة سانت لويس الأمريكية بالاشتراك مع أطباء معهد أمراض النساء والولادة بلندن أنه يمكن استخدام عسل النحل كعلاج موضعى بديل للمراهم والكيماويات المختلفة لعلاج الجروح والحروق والقرح ومنع تلوثها بالبكتريا والفطريات .

وقد تم تطبيق هذه الطريقة فى العلاج على ١٢٠ مريضا لم تستغرق فترة التئام الجروح خلالها أكثر من أسبوع مما يدل على أن العسل يساعد على بناء خلايا الأنسجة الجديدة فى فترات وجيزة بجانب الحفاظ على منطقة الجرح من هجوم البكتريا والفطريات التى تؤدى الى تلوث الجرح وتأخر الالتئام .

أما عن طريق استخدام العسل فبوضعه بكمية كافية لتغطية الجرح ثم تغطيته بشاشة معقمة ويتم التغيير على الجرح من مرتين الى ثلاث مرات يوميا .

هذا وقد أثبت علماء ألمانيا الغربية أن عسل النحل النقى يشفى أكثر من ٢٨ مرضا من أمراض الجهاز الهضمى والأمراض الجلدية وغيرها .

فسبحان الله القائل فى قرآنه الكريم المنزل على رسوله محمد الأمين صلى الله عليه وسلم « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » صدق الله العظيم (سورة النحل : الآيات ٦٨ ، ٦٩) .

خطة الجمعيات العامة للشبان المسلمين تدعو إلى:

● دعم القيم السلوكية فى نفوس الشباب وتبصيرهم بأمور دينهم .

● انشاء اتحاد عالمى للشباب المسلم

● احياء المسرح الاسلامى ورصد الجوائز لكتب التراث .

وضع المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين خطة تهدف الى تحقيق ما نادى به الرئيس محمد أنور السادات من ضرورة العناية بالشباب كمصدر أصيل من مصادر الطاقة الوطنية .

كما تتضمن هذه الخطة اقامة ندوة تشترك فيها القيادات المسئولة عن رعاية الشباب لدراسة دور جمعيات الشبان المسلمين فى تنمية الشباب وتوجيهه للقيام بواجبه نحو مجتمعه ووضع خطة محدودة تلتزم بتنفيذها الجمعية على مدى السنوات الثلاث القادمة .

كذلك تضمنت هذه الخطة اصدار بعض الكتيبات الدينية المبسطة والتىتعمل على تدعيم القيم السلوكية فى نفوس الشباب وتبصيرهم بأمور دينهم ، وتقيهم من الأفكار المستوردة التى تنحرف بهم عن المسلك السليم .

كذلك احياء المسرح الاسلامى الذى كان للجمعية فضل انشائه وتدعيمه بالمسرحيات التى تتناول البطولات الاسلامية الخالدة ، وتنظيم المحاضرات والندوات فى المناسبات الدينية والقومية لمعالجة قضايا الساعة فى المجتمع على مستوى المركز العام والفروع .

هذا بجانب العناية باحياء التراث الاسلامى ورصد الجوائز والمنح المالية لأفضل الأعمال التى تتم فى هذا الشأن ، والعناية بتنظيم المسابقات فى مختلف المجالات الدينية والثقافية خصوصا للشباب

وكذلك دعم نشاط نادى المسلم الصغير وانشاء فروع له بجمعيات الفروع ليؤدى رسالته فى تنشئة الفتى المسلم التنشئة المتكاملة السليمة من النواحى الروحية والجسمية والاجتماعية ، وزيادة العناية بالرحلات كوسيلة من وسائل ربط الشباب ببلده ، وزيادة الاهتمام بالنشاط الرياضى والكشفى ، واتاحة المجال لذوى الأعمال الصغيرة لممارسة الأنشطة التى تناسبهم ، واقامة عشر بطولات فى الألعاب الفردية والجماعية المختلفة تقام بعواصم المحافظات على كئوس بأسماء الرواد الأوائل للشبان المسلمين .

وأخيرا انشاء اتحاد عالمى للشباب المسلم بهدف توثيق روح الاخوة والتضامن بين الشباب .

صرح بذلك الدكتور محمد الأحمدى أبو النور الأمين العام لجمعيات الشبان المسلمين ..

إدخال دراسات إسلامية فى المعهد الدولى للعمل

وافق المجلس الاستشارى للمعهد الدولى للعمل التابع لمنظمة العمل الدولية ، على ادخال الدراسات الاسلامية المتعلقة بالاقتصاد والعمل والشئون الاجتماعية ، ضمن برامج المعهد لأول مرة ، وذلك خلال اجتماعه الذى عقد مؤخرا فى جنيف .

والجدير بالذكر : أن المجلس يضم خمسة عشر خبيرا فى مجال الاقتصاد والعمل ، وقد ناقش خلال اجتماعاته التى استمرت ستة أيام عدد من المواضيع الخاصة بأمور العمل فى مختلف دول العالم .

الدكتور زكريا البرى يفتتح مسجد النور

افتتح الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف مسجد النور بحدائق المعادى والذى أقامه أمير من أمراء حضر موت وقد تكلف تشييده ٧٥ ألف جنيه . وتم تشكيل مجلس ادارة لهذا المسجد من أهالى حدائق المعادى لرعايته والاهتمام بشئونه .

وقد ألقى الدكتور الوزير كلمة أشاد فيها بهذا العمل الاسلامى العظيم كما طالب فيها بترشيد المساجد الأهلية والاهتمام بها والمحافظة عليها وبذل الجهود الصادقة من أجل أداء دورها الفعال فى نشر الدعوة .

هذا وقد حضر حفل الافتتاح جمع كبير من المهتمين بشئون الدعوة الاسلامية .

ولاية بادن الألمانية تحتفل باصدار كتاب اسلامى

أقامت ولاية بادن فورتمبرج بألمانيا الغربية فى مقر حكومتها حفلا لتقديم أحدث كتاب عن الاسلام ، صدر باللغة الألمانية وشهدت الحفل وزيرة الشئون الاتحادية بالولاية، وعدد من رجال السلك الدبلوماسى هناك والمهتمون بالدراسات الاسلامية .

ويحمل الكتاب عنوان «الاسلام ومرافقه» لمواطن مسلم ، والجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب قد درس القانون والشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة وأكمل دراساته العليا بجامعة ميونيخ .

افتتاح مسجد طموم بمصر الجديدة

أناب الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى مستشار وزارة الأوقاف لشئون الدعوة الاسلامية فى افتتاح مسجد الشقيقتين فاطمة وزينب حسن طموم بمصر الجديدة، والذى أقامه الحاج أحمد محمود وقد تكلف بناء هذا المسجد أكثر من ٥٠ ألف جنيه ، ويضم فصولا لتقوية تلاميذ المدارس ، ومشغلا لتعليم الفتيات فن التطريز والحياكة ، ومكتبة اسلامية لمن يريد الاستزادة والاطلاع .

وقد اقيم بالمسجد أمسية دينية حضرها مجموعة كبيرة من علماء الدين والمثقفين .

مؤتمر حول التعليم الإسلامى بأمريكا يتخذ قرارات هامة بشأن توحيد وتطوير منهاج التعليم فى المدارس الإسلامية فى أمريكا

عقد فى مدينة فيلادلفيا عاصمة ولاية بنسلفانيا الأمريكية مؤتمر حول التعليم الاسلامى فى أمريكا ، من أجل وضع سياسة تعليمية موحدة للمدارس ، ومعاهد التعليم الاسلامى التى تقيمها المراكز والجمعيات الاسلامية فى القارة الأمريكية لتثقيف أبناء جاليات المسلمين وتزويدهم بالعلوم والمعرفة الاسلامية واللغة العربية، وقد تبنى هذا المؤتمر المركز الاسلامى بمدينة فيلادلفيا .

١٠ آلاف كتاب من وزير مالية سابق إلى دار الكتب

أهدى الاستاذ حسن عباس زكى وزير المالية السابق مكتبته المتعددة الجوانب والمشتملة على ١٠ آلاف كتاب من المخطوطات الاسلامية النادرة وكتب الروحانيات والتصوف والاقتصاد والمعرفة والفكر الاسلامى الى دار الكتب المصرية لتكون فى متناول كل باحث وذلك عند عرضها فى مكتبتها العامة وبالرغم من أن صاحب المكتبة رجل مالية واقتصاد الا أن هذا الفرع من العلوم لم يحظ الا بالقليل اذ تضم المكتبة أندر الكتب والمخطوطات فى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والتصوف والروحانيات والطب القديم والحديث ، كما تشتمل على مجموعات نادرة من الأدب العربى القديم ومؤلفات المنفلوطى وصادق الرافعى والمازنى والحريرى ، وأيضا مجموعة نادرة من الدواوين فى المدائح النبوية للبوصيرى وابن أبى حمزة .

ولم تقتصر المكتبة على المؤلفات والمخطوطات العربية ، بل شملت جانبا للمؤلفات الانجليزية والفرنسية ، تضم أحدث ما فى العصر من تقدم حضارى وتشخيص لمشاكل العالم حتى عام ٢٠٠٠ اقتصاديا وعمرانيا واجتماعيا .

ويقول حسن عباس زكى :

لكى نحافظ على تراثنا ينبغىأن يتبرع كل منا بمكتبة أو على الأقل بجزء منها للهيئات العلمية أو مكتبات الدولة فهى خير من تحافظ عليها ، ولكى تكون فى متناول كافة الباحثين من مختلف فروع المعرفة .

والجدير بالذكر أن الأستاذ حسن عباس زكى يعتبر من المتعمقين والمتصوفين المعنيين ، وكثيرا ما عقدت بداره ندوات فى التصوف وحضرها أقطاب التصوف المعاصرين .

كلية للبنات الإسلامية بالمنصورة وفرع لجامعة الأزهر بالبحيرة

تقرر أن تبدأ الدراسة من العام الجامعى القادم فى أول كلية للبنات الاسلامية بالمنصورة .

صرح بذلك الدكتور يحيى مسعودرئيس جامعة المنصورة . وقال سيادته ان هذه الكلية ستتبع الجامعة الأزهرية منناحية المناهج الدراسية .

هذا وقد تقرر تخصيص ٢٠ الف جنيهللبدء فى انشاء هذا المشروع .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه قد تقررافتتاح فرع لجامعة الأزهر فى محافظة البحيرة بحيث تبدأ الدراسة فيه فى هذا العام ٨١ ، ٨٢ مبتدءا بكليتى اللغةالعربية والشريعة الاسلامية على أن يستكمل فيمابعد . وقد أعلن هذا السيد محافظ البحيرة فى الحفل الذى أقيم بمناسبة افتتاح مصنعكفر الدوار للألياف الصناعية .

احتفال إسلامي

بساحة المسجد الحسيني

السيد الوزير سعد مامون محافظ القاهرة ومندوب السيد الرئيس فى الاحتفال بغزوة بدر .

يشهده نائبا عن الرئيس السادات السيد الوزير سعد مأمون محافظ القاهرة . والدكتور زكريا البرى وزير الدولة للأوقاف

احتفلت وزارة الأوقاف بذكرى غزوة بدر الكبرى بالمسجد الحسينى بالقاهرة . وقد حضر الاحتفال السيد الوزير سعد مأمون محافظ القاهرة نائبا عن الرئيس محمد أنور السادات والدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف والدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر والسادة وكلاء وزارة الأوقاف وجمهور كبير من العلماء وأساتذة الجامعات وكبار رجال الفكر الاسلامى .

وبدأ الاحتفال بتلاوة مباركة من آيات الذكر الحكيم .

● ثم ألقى الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة كلمة وزارة الأوقاف فتحدث فيها عن غزوة بدر الكبرى وكيف أنها كانت أول نصر فى الاسلام لدين الله الحنيف بعد ما ترك المسلمون ديارهم وأموالهم فى مكة وبعد ما نالوا أشد العذاب والاضطهاد من أئمة الكفر فى مكة . فكانت بدر بدرا للمسلمين ، ولولا البدريون ما كانت بدر .

فغزوة بدر كانت أول اختبار للمسلمين بعد الهجرة النبوية الشريفة . اختبار حقيقى للمهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج . ثم قال سيادته : ان قلة العدد وهوان العتاد الكامل وعقيدتهم الراسخة وثقتهم بنصر الله لم يكن عقبة فى وجه المسلمين اذ أن ايمانهم الكامل وعقيدتهم الراسخة وثقتهم بنصر الله لقد استطاعت أن تتغلب على الشرك وأعوانه بالرغم من كثرتهم وكثرة عتادهم .

ثم تحدث سيادته عن اشتراك الملائكة وعلى رأسهم جبريل فى غزوة بدر وحنين . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

بغزوة بدر

القاهرة

الدكتور زكريا البرى وزير الدولة للاوقاف فى الاحتفال بغزوة بدر .

وفى ختام كلمته تناول سيادته الدروس المستفادة التى يجب أن نستفيد منها فى هذه الغزوة والتى تدعونا الى جمع الشمل ووحدة الصف والتمسك بالقيم السامية التى دعا اليها الرسول الكريم وأن نتخذها نبراسا نسير عليه فى حياتنا العامة والخاصة ..

وكان الشيخ نجدى صالح امام وخطيب المسجد الحسينى قد ألقى كلمة بهذه المناسبة أشاد فيها بنصر الله للمسلمين بالرغم من قلتهم على الكافرين وهم الأكثر عددا وعدة فانتصر الحق على الباطل وكانت هذه الغزوة فاتحة خير على الاسلام والمسلمين .

ثم تحدث فضيلته عن شهر رمضان وأنه شهر العمل والكفاح وشهر الانتصارات والفتوحات الاسلامية اذ فيه فتح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وجيشه مكة المكرمة ، وحطموا الأصنام وأزالوا هياكل الطغيان فكان نصر الله والفتح وفيه انتصرت الجيوش المصرية الاسلامية على التتار بعد ما حطمت أمامها كل شىء وأكلت الأخضر واليابس ، وأغرقت الكتب والمؤلفات العربية . وفيه تم الانتصار الاسلامى على الحجافل التى أتت من الغرب رافعة الصليب لبناء امبراطورية صليبية لهم فى الشرق .

وأخيرا ما كان من اقتحام الجيش المصرى لقناة السويس وانتصاره فى العاشر من رمضان وقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

ثم أختتم الحفل بتلاوة القرآن الكريم .

والمجلة تهيب بالمسلمين عامة والعرب بخاصة أن يعدوا العدة من أجل رفع كل غبن يقع على أمتهم وساحتهم ، وأن يعلموا علم اليقين الا مجال للنصر فى ظل الفرقة ، والا مجال للوحدة فى ظل الشقاق والبغضاء .

((ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)) .

((التحرير))

موقف الإسلام من الشعر..

الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب

كان حتما مقضيا أن يشغل بالقرآن منذ نزوله كل من قرع القرآن سمعه ومس شغاف قلبه ، اذ ليس كتاب الله كلاما عاديا كغيره من الكلام ، وانما هو حقا كما قال فيه منزله سبحانه ((كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)) .

ومع اشتغال المسلمين بآيات الله المحكمات ، ومع دعوة الاسلام للمسلمين بأن ينهضوا لأداء رسالتهم وشق طريقهم فى الحياة ، ومع حرص كل مسلم على أن يكون نموذجا حيا ومثلا رائدا لما ينبغى أن يكون عليه الانسان فى رسوخ عقيدته ونقاء سريرته ، مع كل هذا لم يجد المسلمون حرجا فى أن يصحبهم تراثهم المتمثل فى فنهم الأدبى ، وخاصة الشعر الذى كانوا به يعتدون ، وأن يشاركهم هذا الشعر فى موكب حياتهم ، شاهدا ومسجلا بل ومعبرا عن كل ما يشعرون ويحسون .

ولئن كان هذا الشعر قد سجل لهم حياتهم الأولى فى جاهليتهم ، فأولى به أن يسجل لهم وعنهم حياتهم الجديدة بعد أن من الله عليهم بنعمة الاسلام . ولئن كانوا يعتدون بهذا الشعر سابقا فى جاهليتهم لأى سبب كان يدعوهم الى هذا الاعتداء ، فأولى بهم أن يعضوا على هذا التراث بالنواجذ ، لا لأنه يمثل مرحلة من مراحل فكرهم وشعورهم ومنطقهم فحسب ، بل لأنه قد أصبح من أهم العوامل المساعدة لهم على فهم كتاب الله وطرائق تعبيره وقد نزل ((**بلسان عربى مبين**)) ..

أجل .. جاء الاسلام ، وكأنى بالمسلمين قد ازداد حرصهم على تراثهم المتمثل فى لغتهم وذخائرها النفيسة لتكون نعم المعوان لهم وهم يتدارسون كتاب الله ، وهم يتفهمون كذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد آتاه الله جوامع الكلم ، ولا يخفى على أحد مدى أهمية كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام بالنسبة للاسلام والمسلمين ..

ثم انه من المعلوم أن الاسلام قد جاء وما زال القوم جميعا — من أسلم منهم ومن لم يسلم — على عهدهم بأسلوب التعبير عن حياتهم الزاخرة بالأشعار اذ لم يتركوا جانبا من جوانب هذه الحياة الا سجلوه وعبروا عنه بالشعر ، ولم يكن ليشذ عن ذلك المسلمون أنفسهم منذ أن أعزهم الله بالاسلام ، ومن ثم استمروا على تداول الأشعار فيما بينهم ، سواء فى ذلك ما كان يتعلق بشئونهم الخاصة وما يعرض لهم من المواقف والأحداث على اختلاف أنواعها ، أو يتعلق بالحوار الذى كان يدور بينهم وبين معارضيهم من المشركين ..

ويحضرنا فى هذا المجال أن نشير الى حادثة من الشئون الخاصة التى وقعت فى صدر الاسلام وكان للشعر فيها مجال ، فقد روى(١) عن عبدالله

---

(١) راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٥٦ ، ودراسات فى الأدب الاسلامى للدكتور سامى مكى العانى ص ١٧٤ — المكتب الاسلامى — بغداد .

ابن الأعور المازني أنه كانت له زوجة يقال لها معاذة ، وحين خرج يمير أهله هربت تلك الزوجة ناشزة عليه ، وعادت برجل يقال له مطرف بن نهصل فجعلها خلف ظهره ، فلما قدم الزوج لم يجدها في بيته ، وأخبر أنها نشزت ، وأنها عادت بمطرف بن نهصل ، وكان مطرف أعز منه ، **فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم** فعاذ به وأنشأ يقول :

يا سيد الناس وديان العرب
أشكو اليك ذربة(٢) من الذرب
كالذئبة العسلاء في طل السرب(٣)
خرجت أبغيها الطعام في رجب
فخالفتني بنزاع وهرب
أخلفت العهد ولظت بالذنب(٤)

وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وهن شر غالب لمن غلب) .. وشكا الرجل اليه امرأته وما صنعت ، وأنها عند رجل يقال له مطرف بن نهصل فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مطرف انظر امرأة هذا معاذة فادفعها اليه ، فأتاه بكتاب النبي عليه الصلاة والسلام فقرىء عليه ، فقال لها : يا معاذة ، هذا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا دافعك اليه ، فقالت : خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي صلى الله عليه وسلم ألا يعاقبني فيما صنعت ، فأخذ لها ذلك ودفعها اليه ، فأنشأ يقول :

لعمري ما حبي معاذة بالذي
يغيره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به اذ أزلها
غواة رجال لا ينادونها بعدي

وعلى فرض صحة هذه الرواية فان هناك الكثير غيرها مما يفرض للناس في حياتهم الخاصة عبروا عنه بالشعر وحفلت به كتب الأدب والتاريخ والسير بما يدل دلالة واضحة على أن الشعر لم يفارق حياة الناس في أي مجال وفي أي شأن من شئون حياتهم ..

ولعله مما يحضرنا أيضا فيما روى حول **اسلام كعب بن زهير(١)** ، أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف ، كتب بجير بن زهير ابن أبي سلمى ، الى أخيه كعب يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض ، وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة
فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا ؟
شربت مع المأمون كأسا روية
فانهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى وتبعته
على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت : لعالكا

وبعث بهذه الأبيات الى بجير فلما أتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده اياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع (سقاك بها المأمون) : صدق ، وأنه لكذوب ، ولما سمع : (على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه) قال أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه ..

ثم أرسل بجير الى أخيه كعب يرد عليه :

من مبلغ كعبا فهل لك في التي
تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله ـ لا العزى ولا اللات ـ وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء باطل
ودين أبي سلمى علي محرم

وشاء الله الهداية لكعب ، فجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم معتذرا تائبا ومسلما خاشعا ، وأنشد رسول الله قصيدته المشهورة (بانت سعاد) والتي يعتذر فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم متنكرا لما كان عليه من كفر وضلال وفيها يقول :

---

(٢) الذربة : السليطة اللسان .
(٣) العسلاء : المضطربة في عدوها ، والطل : يقال أرض مطلولة أي رحبة متسعة ، والسرب : المضي في الأرض ، والمراد أنها تمضي هائمة على وجهها على غير هدى.
(٤) لظت : ضربت ، والعبارة كناية عن المعاداة ، وفي أساس البلاغة للزمخشري : (بيني وبين فلان ذنب الضب) اذا تعاديا .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٧

انبئت ان رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمون
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت فى الأقاويل

وأخذ كعب يسترسل فى قصيدته معتذرا ومادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار وبخاصة المهاجرين وقد عفا عنه الرسول، بل واكثر من هذا خلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردة تقديرا له .. ومن أجل ذلك سميت تلك القصيدة بالبردة وبلغت من الشهرة والذيوع حتى يومنا هذا بما لم تنله قصيدة فى أدبنا العربى قديمه وحديثه من شهرة وذيوع .

ومن المواقف التى تحكى كذلك ما كان يدور فى حياة المسلمين من أحداث وتؤكد فى نفس الوقت مدى اهتمامهم بتقديم الشعر بين مدى حاجاتهم ما يرويه ابن هشام فى سيرته ، حيث يحدثنا عن خزاعة واستنجادهم برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نقضت قريش عهدها مع الرسول بما استحلوا من خزاعة ، وكانت فى عقده وعهده، فخرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال :

يارب انى ناشد(١) محمدا
حلف أبينا وأبيه الا تلدا(٢)
قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا(٣)
فانصر هداك الله نصرا أعتدا
وادع عباد الله أن يأتوا مددا(٤)
فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا(٥)
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا(٦)

(١) ناشد : طالب ومذكر .
(٢) الاتلد : القديم .
(٣) يريد : أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة وكذلك قصى : أمه فاطمة بنت سعد الخزاعى .
(٤) اعتدا : حاضرا .
(٥) يريد : تهيأ للحرب واستعد لدفع الظلم والذل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت يا عمرو بن سالم ، ثم عرض له عليه الصلاة والسلام عنان من السماء ، فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب(٧) .

ومن المعروف أن الشعر أيضا كان يتقدم به الشعراء الى خلفاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من بعده — يعرضونه كذلك بين يدى حاجاتهم ، أو يجعلونه وسيلة استعطاف لدفع ضر أصابهم ، وهذه هى قصة استعطاف الحطيئة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمر قد أمر بسجن الحطيئة بعد أن هجا الزبرقان ابن بدر ، فقال الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر(٨)
غيبت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمين الذى من بعد صاحبه
ألقت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها
لكن لأنفسهم كانت بها الأثر

ولأن له قلب عمر ، فعفا عنه بعد أن اخذ عليه العهد أن لا يعود الى الهجاء ويقال انه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم(٣) .

واذا كانت الأمثلة كثيره كذلك على تداول الشعر فى حياة المسلمين منذ صدر الاسلام ، دون أن يجدوا فى ذلك حرجا — كما تدل على ذلك كتب السيرة والتاريخ والأدب ، فاننا مع ذلك نسمع من يقول : ان الاسلام قد حط من الشعر ، وهون من شأنه حتى لان ولم يعد على متانته المعهودة وبالتالى فان الشعر لم يجد مجاله فى التعبير عن حياة الناس فى تلك المرحلة من الزمان(٩) .

فهل كان ذلك حقا هو موقف الاسلام من الشعر ؟

هذا ما سنقف عليه فى المقال القادم بمشيئة الله .

(٦) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة .
(٧) السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٣٦ .
(٨) ذو مرخ : واد بالحجاز و (زغب الحواصل) : لم ينبت على حواصلهم سوى الزغب أى الريش القصير (كناية عن صفرهم وضعفهم وعدم قدرتهم على الطيران) .
(٩) راجع ديوان الحطيئة ص ٩٨ .
(١٠) يعتبر جرجى زيدان من أصحاب هذا الرأى من المحدثين .. راجع تاريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان ج ١ ص ٩٣

جعفر الطيار

شهيد مؤتة

الأستاذ محمود شاور ربيع

حاقت به وبصحبه الأخطار
وتسعرت فوق العجاج النار

والخيل تصهل ، والسيوف لوامع
وبكل كف صارم بتار

وبأرض « مؤتة » للغبار سحائب
وهوى « بزيد » مارد جبار

فغدا شهيدا قد تخلد ذكره
وله على ثغر القلوب منار

فحملت « جعفر » راية خفاقة
ومضى بك الاجلال والاكبار

وزأرت كالأسد الهصور مجلجلا
كالرعد لا يلوى بك الأعصار

وأخذت تضرب فى الضلال بقوة
فانهار للكفر العنيد جدار

زحفت عليك وأنت تضرب عصبة
وعليك أقبل بالردى التيار

وتتابع الضرب الدراك فقطعت
أوصال عزم زانه الاصرار

ومضت « يمينك » للسماء ، فأمسكت
منك « الشمال » ، وقاتل المغوار

حتى مضت نحو السماء شماله
« عضداك » أمسكتا فما تنهار

من أى عزم قد خلقت فهذه
ما أقبلت بنظيرها الأخبار !

لا تعجبوا . فهو ابن عم « محمد »
وأخو « على » أنه « الطيار »

يا « جعفرا » طر للخلود محلقا
فهناك تنعم بالرضا الأبرار

وهناك « زيد » فى الجنان ورفقة
شهدوا النعيم وليس ثم ستار

ولديك « عبد الله » ينشد شعره
فتزغرد الأنغام والأشعار

« قواد مؤتة » ياليوث كتائب
أنتم على هام الخلود فخار

شاد النبى بذكركم ، فتخلدت
أسماؤكم ، وتفجرت أنوار

نور الحبيب!

الأستاذ عمر موسى البرعي

نور الحبيب علا والبدر قد ظهرا … نور النبوة لى قلب به عمرا
دمعى اليه جرى والشوق مشتعل … أفنى حياتى بروض الحسن منتظرا
قلبى شغوب به فى حب طلعته … الحب والود فى نعماه قد حضرا
بشرى الهداية مصباح الهدى أملى … روحى به قد سمت والوجه قد نضرا
شهر الربيع أتت أنواره دررا … وافى بها الخير للاسلام منهمرا
فى ظله النور قد عمت أشعته … أدنو به بهجة وأشاهد القمرا
يارب هذا حبيبك يوم مولده … نرآى به البشر والاحسان منتشرا
وضعته آمنة فى أوج نضرته … والمصطفى عندها بالمسك قد غمرا
حور الجنان توالى سعد آمنة … وبلا بل الروض قد غنت لها زمرا
هىء لنا رشدا فى ظل عترته … وهب لنا الروح والريحان منغمرا
ذكراه مسك تضوع عطر سيرته … هذا الحبيب غدت أنواره نهرا
نزداد حبا وعشقا فى معيته … نشدو الأغانى معا نستنشق العطرا
يارب حقق لنا شوقا زيارته … أحج بيتك ثم أعود معتمرا
نحيى ضياه ونحيا راح روضته … من عاش ذكراه عند الله قد ذكرا
كسرى تهشم ، واندكت معاقله … دكا ولم يمتلك فى ملكه أمرا
كسرى تحطم ، وأنهارت مشاعره … رعبا تهاوى كسير القلب محتضرا
كسرى ظلوم ، وقد كانت نهايته … عرشا أزيل وجاها دك منكسرا
حلى الغوانى وتاج الملك مغنمة … للمسلمين وسعد عاد منتصرا
يارب هذا مديح فى نبوته … عزز به رشدنا وانفح به عسرا
يارب صل على المعصوم سيدنا … من اقتدى به بالفردوس قد ظفرا

نحن.. والسودان

الأستاذ حمدان حمدين على

من السودان الشقيق وصل ادارة المجلة هذا التعقيب ولذا ارتأت المجلة نشره كاملا تعميما للفائدة وتحقيقا للتكامل الفكرى حيث الرأى والرأى الآخر .

أعجبنى وآثار شجونى مقال الأخت نجاة الزنيرى (نحن والسودان) فى مجلة منبر الاسلام العدد (٦) غرة أبريل ١٩٨١ — والذى تناولت فيه علاقات شعب وادى النيل من ناحية الترابط العاطفى لهذه الأسرة الواحدة التى تحس أنها من دم وعرق واحد ولسان واحد ودين واحد — أو من ناحية الضرورة القهرية التى تفرض على هذين الشعبين الاتحاد والتكامل والائتلاف وصولا للغاية المنشودة فى شتى المجلات الاقتصادية والثقافية والسياسية — ثم تطرقت الزميلة نجاة لجذور العروبة فى سوداننا الحبيب وأوضحت من ناحية عامة ودون تفاصيل أن — العروبة فى السودان قديمة وأنها اجتازت بسهولة من ثلاثة جهات — مجموعة عبرت البحر الأحمر قادمة من نجد والحجاز ومجموعة ثانية نزحت من صعيد مصر عبر الصحراء الشرقية ليستقر بها المقام فى شرق السودان ومجموعة ثالثة امتطت ظهر النيل الخالد عبر دنقلا متوغلة فى أحشاء السودان — وأن الغرض من هذه الهجرات التجارة .

وقد نسيت صاحبة المقال طريقا رابعا للهجرة العربية الى السودان وهو طريق (ليبيا) حيث دخلت جهينة بقيادة الصحابى الجليل عبد الله الجهنى السودان من غربه (دارفور وكردفان) .

ولمنفعة القارىء سأتحدث بشىء من التفصيل وبايجاز شديد عن هذه الجهات الأربعة والتى تعتبر ينابيع العروبة التى ملأت البحيرة السودانية .

فبالنسبة لطريق البحر الأحمر فقد جاء الصحابى الجليل أبا محجن الثقفى لميناء باضع الواقع بالقرب من عقيق سنة ٦٣٧ — ١٦ هـ لنشر الوعى الاسلامى — كما أن الخليفة أبو بكر الصديق نفى جماعة من الأعراب الى ميناء عيذاب ، وفى خلافة سليمان بن الملك احتل المسلمون جزيرة دهلك الواقعة أمام ميناء مصوع للحد من نشاط القراصنة الأحباش — كما أن ميناء سواكن السودانى يعتبر نقطة تجارية هامة لنشاط التجار العرب فى أرض البجة بشرق السودان — وهذه المؤشرات القليلة العدد قد يكون لها الأثر النسبى من حيث عروبة شرق السودان . أما الهجرة العربية المتدفقة من مصر عبر الصحراء الشرقية وصحراء بيوضة الى شرق السودان فقد كانت لها عدة أسباب منها :

أولا : —

كان العرب فى العهد الأموى يمثلون الطبقة المقاتلة والصفوة الحاكمة فى مصر وعندما آل الأمر للعباسيين بدعم من الموالى وبعض العرب سعت الدولة العباسية لارضاء العناصر الموالية لها خاصة الجند الخرسانى ، ومن ثم قلت أهمية الاعتماد على المقاتل العربى وتقلصت كثير من امتيازاته — وصار ولاة مصر هم الأتراك ابتداء

من أواسط القرن التاسع الميلادى — ولهذه المظالم فكر العرب فى الهجرة الجماعية الى السودان ذو السمعة الطيبة فى مجالات — الثروات المعدنية فى أرض البجة — وبدأت الهجرات فى التحرك عندما أمر الخليفة المعتصم شطب من فى ديوان مصر من العرب وأمره بقطع المرتبات عنهم ، فانخرط العرب فى سلك حرفتى الرعى والزراعة ونزحوا تدريجيا الى صعيد مصر حيث استقرت مجموعة الرعاة فى مراعى بلاد النوبة السودانية بعيدا عن السلطات المصرية يرعون فى حرية تامة وهذه المجموعة تتكون من بدو مصر وربيعة بن حذيفة أما المجموعة التى احترفت الزراعة فقد تدفقت صوب أرض البجة للعمل فى التعدين طمعا فى جمع الثروات ولكن هذه الهجرة العربية لم تكن مقبولة لدى سكان شرق السودان من البجة وقاموا بهجمات على صعيد مصر غير أن العرب المسلمين أفلحوا فى ردهم وصدهم ثلاثة مرات — فقد انتصر عليهم عبد الله ابن الحبحاب فى القرن الثامن الميلادى وفى عهد الخليفة المعتصم انتصر عليهم قائده عبد الله بن الجهم واشترط شروطا على زعيمهم (على كدون ابن عبد العزيز) بموجب هذه الشروط صارت البجة احدى ممتلكات الخليفة العباسى وفى أثناء حملة عبد الله بن الجهم اكتشف العرب الذهب والزمرد فى أرض البجة فتدفق العرب فى اعداد كبيرة من مصر زهدا فى الحياة هناك ورغبة فى جمع الثروات (اغتراب) وكعادة البجة قابلوا هذه الأفواج المهاجرة بحرب طاحنة فتصدى لهم الزعيم العربى محمد بن عبد العزيز القمى من قبل الخليفة المتوكل وانتصر عليهم وابرم معهم معاهدة نصت على السماح للعرب المهاجرين بالتعدين فى أرض البجة فتدفقت السيول الجارفة من الهجرات العربية من مصر لتكون الدماء العربية منذ الأزل وحتى تاريخه فى تلك الأصقاع .

أما الطريق الثالث للهجرة العربية فهو طريق نهر النيل وجل هجرات هذا الطريق كانت بهدف نشر الدين الاسلامى فالمعروف أن هناك بعثتين رئيسيتين دخلتا أرض النوبة — الأولى بقيادة عمرو ابن العاص سنة ٦٤١ — ٦٤٢ م فى عهد عمر بن الخطاب والثانية فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخ عثمان بن عفان بالرضاعة سنة ٦٥١ — ٦٥٢ م . فقد لاقت حملة العاصى مقاومة شديدة من النوبة المشهورين برمى الرماح حتى ساهم العرب (رماة الحدق) وحدثنا أحد شيوخ حمير ممن حاربوا النوبة فقال — ((لقد شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمرو بن العاص فلم أر قوما أجد فى حرب منهم — لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم أين تحب أن أضع سهمى منك ؟ فربما عبث الفتى منا فقال فى مكان كذا وكذا — فلا يخطئه) وقال وأذكر لقد خرجوا الينا مرة (أى النوبة) وطلبوا أن نجعلها حملة بالسيوف فما قدرنا على معالجتهم — رمونا حتى ذهبت الأعين فعددت منها مائة وخمسين عينا مفقوءة فقلنا مالهؤلاء خير من الصلح ان — سلبهم لقليل وأن نكايتهم لشديدة .

أما الحملة الثانية فهى بعثة عبد الله بن أبى سرح المكونة من خمسة آلاف مقاتل وزحفت حتى شارفت دنقلا ورمتها بالمنجنيف ذلك السلاح الذى لم يعرفه النوبة من قبل — فاضطر ملكهم (قليدرون) **أن يوقع اتفاقية البقط مع الزعيم العربى عبدالله** ابن أبى سرح — دامت ستة قرون — مما لا يدعوا مجالا للشك أن القبائل العربية التى صاحبت هذه الحملة والتى أتت بعد هدوء الأحوال بتوقيع اتفاقية البقط كان لها اليد الطولى فى تعميم الدم والعنصر العربى فى تلك المناطق ومعظم هذه القبائل هى قبائل بنى الكنز وهم فرع من ربيعة ذات اليد الطولى فى نشر الاسلام والعروبة فى شمال السودان .

أما الهجرة العربية التى اتخذت غرب السودان كطريق رابع لدخولها أواسط السودان فتتمثل فى قبائل جهينة فاذا رجعنا بالتاريخ ألف عام الى الوراء ففى القرن التاسع الميلادى ثار العرب ثورتهم المشهورة على المماليك بالجزيرة العربية ولكننا نراهم فى خاتمة المطاف يجرجرون أزيال الهزيمة شطر مراكش اثر الهزيمة التى تلقونها من المماليك — ووصل مقدمهم الى الأندلس (أسبانيا) وأقاموا دولة عربية اسلامية دامت أكثر من ستة قرون تصدعت وغابت شمسها بظهور قوة القبائل البربرية الأعجمية — فشد العرب الرحال عبر مضيق جبل طارق وتشعبت أفواجهم — فريق عرج الى الجزائر وآخر الى المغرب وثالث الى تونس ورابع لم يستقر به المطاف الا فى غرب السودان الذى أتاه مخلفا أزياله فى ليبيا وتشاد ، وهذا الفريق الذى يعتبر آخر الهجرات العربية التى دخلت السودان فى عام ٦٧٠ م . هو (عربان جهينة العربية) بقيادة الصحابى الجليل عبد الله الجهنى والذى تنتسب اليه معظم قبائل غرب السودان (كردفان ودارفور) من مسيريه — هبانية — تعايشه — حوازمة — بنى هلبة — رزيقات — بنى حسين — وغيرهم .

وهذه القبائل لا زالت محتفظة بعاداتها العربية الأصلية وبملامحها وتقاطيعها العرابية ولهجاتها حتى الألفاظ الجاهلية — وعنجهية البدو الفوضوية ، ونجد شيوخهم يميلون للحنين الى أماكن وديار الأجداد فيتذكرون — الطائف — الجيزة — فاس — الدار البيضاء — كفر — تعز — بنى غازى .

أنت تسأل والمفتي يجيب

فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
مفتي جمهورية مصر العربية

قال — سائل من قراء مجلة منبر الاسلام :

ان فتاة حملت سفاحا واتهمت بحملها ، شابا فتقدم والده ، للعقد عليها وفعلا، قام المأذون بعقد القران ، بعمل تصادق بين هذه الفتاة ووالد المتهم على زواجها .

والسؤال :

هل هذا العقد صحيح أو غير صحيح ؟

واذا صح فما حكم نسب هذا الجنين ؟

والجواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

تقضي المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية بالمرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ والمادة السادسة من القانون رقم٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بأن تصدر الأحكام طبقا لأرجح الأقوال من مذهب ابى حنيفة ما عدا الأحوال التى ينص فيها قانون المحاكم الشرعية على قواعد خاصة ، فيجب فيها أن تصدر الأحكام طبقا لتلك القواعد . وقد نص فقهاء المذهب الحنفى على أن : من زنا بامراة حرمت عليه أمها وبنتها وجدتها ، وتحرم المراة المزنى بها ، على آباء الزانى وأجداده وان علوا وعلى أبنائه وبناته وأن نزلوا (الهداية وشروحها ص ٣٦٥ وما بعدها ج ٢ وبدائع الصنائع ج ٢ ص ٢٥٦) وبهذا اثبت فقه الحنفيين للزنا حرمة المصاهرة كالزواج ، وهذا الرأى منقول عن عمر وابن عباس وابن مسعود وعمران بن الحصين وجابر وابى وعائشة ،والحسن البصرى والشعبى والنخعى والأوزاعى وطاووس وعطاء ومجاهد ، وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والثورى واسحاق بن راهويه وهو مذهب أحمد بن حنبل فقد نص الخرقى على أن (وطء الحرام محرم كما يحرم وطء الحلال والشبهة) وقال ابن قدامة فى المغنى شرحا لهذا : يعنى انه يثبت به تحريم المصاهرة ، فاذا زنا بامراة حرمت على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وابنتها (ج ٧ مع الشرح الكبير ص ٤٨٢ وما بعدها) .

وفى بداية المجتهد لابن رشد المالكي ج ٢ ص ٢٨ فى المسألة الرابعة من مسائل حرمة المصاهرة قال : اختلفوا فى الزنا ، هل يوجب من التحريم فى هؤلاء ، ما يوجب الوطء فى نكاح صحيح أو شبهة ، أعنى الذى يدرأ فيه الحد ، فقال الشافعى ، الزنا بالمراة لا يحرم نكاح أمها ولا ابنتها ولا ابى الزانى لها ولا ابنه ، وقال

ابو حنيفة والثورى والأوزاعى يحرم الزنا ما يحرم من النكاح ، واما مالك ففى الموطأ عنه مثل قول الشافعى أنه لا يحرم ، وروى ابن القاسم مثل قول أبى حنيفة انه يحرم ، وقال سحنون ، واصحاب مالك يخالفون ابن القاسم فيها ويذهبون الى ما فى الموطأ .

وقال ابن جزى المالكى فى القوانين الفقهية ص ٢٣١ : يعتبر فى التحريم بالصهر النكاح الحلال أو الذى فيه شبهة أو اختلف فيه ، فان كان زنا محضا ، لم تقع به حرمة المصاهرة ،كمن زنى بامرأة فانه لا يحرم تزويجها على أولاده فى المشهور وفاقا للشافعى خلافا لأبى حنيفة ، الا أن فى المدونة : من زنى بأم امرأته فارقها ، خلافا لما فى الموطأ .

وذهب الفقه الشافعى قولا واحدا الى انه لا حرمة لماء الزنا ، بدليل انتفاء سائر أحكام النسب من ارث وغيره ، ولكن يكره نكاحها خروجا من خلاف من حرمها (ص ٣٥٦ جـ ٣ من الاقناع فى حل الفاظ أبى شجاع مع حاشيته تحفة الحبيب فى المحرمات فى النكاح) .

ونقل ابن قدامة فى المغنى (جـ ٧ ص ٥١٥ مع الشرح الكبير) قال : واذا زنت امرأة لم يحل لمن يعلم ذلك نكاحها الا بشرطين : احدهما : انقضاء عدتها فان حملت من الزنا ، فقضاء عدتها بوضعه، ولا يحل نكاحها قبل وضعه ، وبهذا قال مالك وابو يوسف وهو أحد الروايتين عن ابى حنيفة وفى الأخرى قال : يحل نكاحها ويصح ، وهو مذهب الشافعى ، لأنه وطء لا يلحق به النسب فلم يحرم النكاح ، كما لو لم تحل .. والشرط الثانى أن تتوب من الزنا ، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى لا يشترط ذلك .

لما كان ذلك : كان العقد المسئول عنه ، صحيحا وفقا لفقه مذهب الامام الشافعى والمشهور عن مالك ، باعتبار انه يحل لوالد الزانى تزوج هذه الفتاة التى زنا بها ابنه ، ولو كانت حاملا منه، ويقع العقد باطلا فى فقه مذهب الامامين ابى حنيفة ، واحمد ورواية عن مالك ومن قال بذلك من الصحابة والتابعين على نحو ما سبق بيانه .

ومتى صح العقد كما يقول الشافعيون والمشهور عن مالك ــ كان الولد للفراش وان كان الذى عليه القضاء هو فقه الحنفيين كما سبق .

ومن هنا يتعين الاحتياط باخذ التعهد عليه بقبوله الزواج منها وفاقا لمذهب الشافعى ، وان كان الأحوط والأولى تزويجها لمن زنى بها . والله سبحانه وتعالى اعلم .

سأل المواطن : عمر عبد العزيز ــ دمياط : قال : ــ

من عاداتنا الطيبة فى صلة الأرحام ، ما يعرف (بالعيدية) فى عيدى الفطر والأضحى ، فهل يصح ان يعطيها الشخص لأقاربه ، ويحتسبها من زكاة ماله ؟ .

(الجواب)

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ..

ان الزكاة انما تعطى لمن وصفهم الله سبحانه فى آية « انما الصدقات للفقراء .. » الآية ٦٠ من سورة التوبة .

ولابد حين اخراجها واعطائها أو جزء منها من مقارنة النية ، اى نية اداء الزكاة المفروضة .

لما كان ذلك :

جاز أن يحتسب السائل ما يعطيه لأقاربه (عيدية) من زكاة ماله ، اذا نوى هذا وقت العطية ، وكان المعطون من الفقراء أو المساكين ، ولم تكن نفقتهم أو نفقة أحد منهم واجبة عليه شرعا .

والله سبحانه وتعالى اعلم ..

مع القراء

يحرره
فؤاد هبيه

حديث الشهر ...

أولا : بين معطيات شهر رمضان ونزعات الشيطان

عزيزى القارىء ...

ومر شهر رمضان — شهر التدريب والاختبار — واعلنت أسماء الفائزين ودرجاتهم ، وندم الخاسرون وقرناؤهم ، حيث لا ينفع الندم ، أما الفائزون فمنهم من تذوق حلاوة الايمان ، وتعرضت نفسه لاشعاع الصيام وأنوار القرآن ، فصفت روحه وتخلصت من أدرانها ، وفاءت الى رشدها ، وأنابت الى ربها ، وتمرست على معايشة الطريق المستقيم ، وتغلبت على النزغات الشيطانية ، والنزعات الدنيوية، فاطمأنت قلوبها الى حالها ومآلها .. ألا بذكر الله تطمئن القلوب ..

ومن الفائزين نفر استحق الفوز ، حيث التزم بما أمر ، فاستحق الفرحة والبهجة ، ولكن نفسه ما زالت تواقة الى زخرف الحياة الدنيا ، تستهويها زينتها ومباهجها وتلهيها عن ذكر بارئها .. ومثل هذه الأنفس تضع صاحبها فى مفترق الطرق .. فهو حائر بين أمرين : الاستمرارية فى مقاومة نفسه والأخذ بأسباب الحياة الآمنة المطمئنة ، بعيداً عن الاستغراق المطلق فى الحياة الدنيا ، أو تناسيه ما آنسه من نور رمضان ، وسعيه بل تكالبه على كل ما هو فان ، واتبع هواه وكان أمره فرطا ..

ومثل هذا النفر ، لا ريب أنه قادر على تخطى هذه العقبات ، واستيعاب كل هذه الاغراءات ، فى يسر وسهولة واقتدار، اذا ما أتيحت له فرصة التفكر والتدبر ، والنظر والتأمل ، فى كل ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون ..

والله نسأل أن يمنحنا جميعا لحظة الصدق واليقظة التى تنير لنا طريق الهداية والنور ، « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .

ثانيا : معسكر الخليفة الراشد أبى بكر الصديق

معسكر الخليفة الراش

بالاسكندرية - ش

فى كل عام ينظم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية معسكرا لأبناء العالم الاسلامى يضم أبناء العالم الاسلامى الذين يدرسون فى الجامعات المصرية والجامعة الأزهرية حيث تقوم جمهورية مصر العربية بتقديم المنح التعليمية لأبناء شعوب ٧٣ دولة اسلامية وقد ارتأى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وهو بصدد تقديم المنح الدراسية شانه شان غيره من المؤسسات والمصالح الحكومية الأخرى أن يقيم لأبناء هذه الشعوب معسكرا صيفيا يجتمع فيه أبناء الشعوب الوافدين الى رحاب مصر الحبيبة ينهلون العلم من مصدره ويتلقون الدراسات العلمية والأدبية على أيدى أساتذتها وخبرائها ،

عائشتر بالندون
الفلبين

ابراهيم مرغنى محمد
السودان

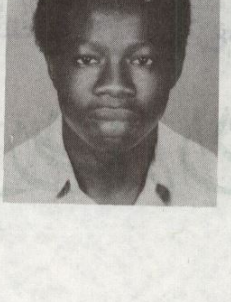

عبد الوالى محمد الثانى
نيجيريا

وكان أن توقف المعسكر لظروف خارجة عن ارادة القائمين عليه الى أن جاء الدكتور زكريا البرى وزير الدولة للأوقاف ، فأعاد للمعسكر كيانه ومكانه ، ومنحه من الرعاية، ما حقق له النجاح فى العام الماضى حيث يستمتع الطلبة الى جانب الترفيه الاستماع الى المحاضرات الاسلامية ، والندوات العامية ، والحلقات الدراسية التى يقوم عليها أساتذة متخصصون فى العلوم الاسلامية ، والمشاكل الاسلامية المعاصرة .

ومن ثم فان المعسكر يحقق للطلبة والطالبات الوافدين نوعا من الامتزاج الفكرى ، والتعارف الاسلامى ((انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)) .

وقد شهد المعسكر فى العام الماضى الاجتماع الأول للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى تشكيله الجديد فى ليلة القدر فى رمضان ١٤٠٠ هـ .

وفى هذا العام ارتاى الدكتور زكريا البرى ان يكون المعسكر مثلا اعلى لتجمع الشباب المسلم على مائدة العلم والوعى والفهم لما يدور حولنا ، وما تشهده امتنا العربية والاسلامية من صراع .. وما يجب علينا تجاه هذا الدب القطبى الذى كشر عن انيابه .. فالتهم افغانستان .

ومجلة ((منبر الاسلام)) ترى فى اقامة المعسكر دعما للوحدة الاسلامية فى اسمى

...بى بكر الصديق

المستشار الدكتور جمال الدين محمود أمين عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

المستشار عبد المنعم القاضى المستشار القانونى للمجلس والمشرف العام على المعسكر .

...١٤هـ أغسطس ١٩٨١م

معانيها الفكرية والروحية .

ومن ثم فان دعم المعسكر وقيامه يحقق للوحدة الاسلامية دعما أصيلا .

وقد صرح الدكتور جمال الدين محمد محمود .. أمين عام المجلس الأعلى للشئون

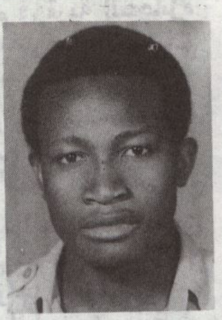

أحمد ربيع

داهومى

حليهنون محمود أحمد

ماليزيا

واريخ درانسين

تايلانده

الاسلامية بأن المعسكر فى هذا العام سيشهد تطورا يحقق للشباب المتعة الفكرية ، والراحة البدنية ، والتقارب الفكرى بين أبناء العالم الاسلامى .. وقد أسند سيادته الاشراف العام على المعسكر الى السيد المستشار عبد المنعم القاضى المستشار القانونى للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، دعما لكل متطلبات الاصلاح والتطوير اللذين ينشدهما المجلس لمعسكره هذا العام .

وقد صرح الزميل أبو الحديد الغمرى مدير النادى الثقافى بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بأن المعسكر هذا العام سيكون من فوجين تحت رعاية فضيلة الدكتور زكريا البرى وبناء على تعليمات سيادة الوزير ، واهتمامه بهذا المهرجان الاسلامى الكبير ، فقد تم تمثيل ٧٣ دولة اسلامية فى هذا المعسكر حتى يكون نواة لتجمع اتحاد شباب كبير .

من أبناء العالم الاسلامى ، ممثلين على النحو التالى :

● من دول آسيا :

أندونيسيا ، ماليزيا ، تايلاند ، الفلبين ، تركيا ، بانجلاديش ، باكستان ، الهند .

● ومن دول أفريقيا :

داهومى ، السودان ، تشاد ، أوغندا ، جامبيا ، غينيا ، زائير ، فولتا العليا ، جزر القمر ، سيراليون ، مالى ، أثيوبيا ، تانزانيا ، جيبوتى ، الصومال ، أرتريا ، ساحل العاج ، نيجيريا ، السنغال ، وفرنسا ، ومدغشقر .

وسيبدأ المعسكر باذن الله تعالى يوم ٦ من شوال ١٤٠١ هـ ٦ من أغسطس ١٩٨١ م وينتهى يوم ١ من ذى القعدة ١٤٠١هـ ٣٠ أغسطس ١٩٨١ م .

مع القراء
رسالة الشهر

من الصديق : احمد فهمى عبد الواحد

المساكن الشعبية

سيدى سالم ـ كفر الشيخ

« الاتحاد فى الاسلام »

يعد الاتحاد وبلا شك غاية من الغايات التى ينشدها الاسلام كديانة مهداة من رب العزة سبحانه وتعالى الى كافة البشر ويعد كذلك منهجا من مناهج الاسلام دعا اليه فى كثير من المواضع القرآنية والأحاديث النبوية وحث عليه ليستقيم بناء المجتمع ويرتكز عليه قوام الأمة ويكون سببا فى بناء لبنات الحياة لبنة تلو الأخرى حتى يستكمل البناء ويصبح صرحا يقف أمامه الأعداء فلا يشعروا بوجودهم ولا يحسوا بكيانهم .

والمجتمع الذى يسوده الاتحاد أفرادا وجماعات يعد مجتمعا قويا روابطه بالحب مجتمعة أشتاته بالأمن والأخاء والمجتمع الذى يحرم نعمة الاتحاد يعد مجتمعا ممزقا روابطه بالأنانية متفرقة أشتاته بالحقد والبغضاء ، ولطالما دعا الله جماعة المؤمنين والموحدين الى الاتحاد والألفة والاخاء وجمع الكلمة ووحدة الهدف وحث عليهم فقال تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » وقد حذر القرآن الكريم من الفرقة والشتات والتنازع والتنافر حتي لا تتمزق وحدتنا وتنحل روابطنا ويستهين بنا الأعداء فقال « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** » ولكى نصل بالدين الى قمته الشاهقة التى هى مكانته الطبيعية ونعود بحضارتنا المشرقة الى عهودها الرشيدة فلابد من الاتحاد قوام الشعب وعاصم الأمم من الدمار والهلاك فالرسول الأعظم يقول (**الناس بخير ما تعاونوا**) .

مجلة منبر الاسلام منار للاسلام

من الصديق حسين عبد الفتاح أبو أحمد

ان مجلة منبر الاسلام التى تصدر فى ثوبها الجديد وفى شكلها العظيم لهى مجلة عظيمة مجلة رائدة فيها المواضيع المختلفة فيها المواضيع البناءة الهادفة التى عندما نقرأها نحس فى نفوسنا أننا امام معلومات عظيمة لم نكن نعرفها من قبل وقد اقتنيت هذه المجلة القيمة لكى تنير لنا الطريق وتفتح لنا أبواب العلم والمعرفة العظيمة. اضف الى ذلك هدية المجلة العظيمة الا وهي العروة الوثقى التى تصدر كهدية مع المجلة والحق يقال فى هذه فيها معلومات عظيمة وكافية لأن نتعرف على ماضينا وفيها المواضيع العظيمة لعلكم بذلك تكونوا قد قدمتم لنا نحن القراء جميعا قراء مجلة منبر الاسلام مجلة عظيمة ونافعة لأنها بذلك تعطينا دفعة للامام نحو العلم ونحو النور بذلك اكون قد عبرت عن رايى فى مجلتى ومجلة الجميع مجلة منبر الاسلام التى هى منار للاسلام وللمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

وفقكم الله سبحانه وتعالى لعمل الخير لصالح العباد والبلاد يارب العالمين ودعواتى لكم بالتوفيق ومع عظيم شكرى وتقديرى لكم جميعا .

من الصديق صبحى على محمد عامر ـ الحجايزة مركز السنبلاوين ـ دقهلية :
يشكر جميع العاملين بمجلة منبر الاسلام باسم الاسلام ، باسم الشباب المسلم فى قرية الحجايزة ويدعو للجميع بالتوفيق لما فيه رفعة الاسلام والمسلمين .

● شكرا للأخ العزيز على رسالته الرقيقة ونعتذر عن نشر الجزء الخاص بالصيام لفوات المناسبة ونرجو أن ترسل الينا بعمل آخر لنشره .

● من الصديق : حريزى عبد الحميد ٣٠٥ طريق السلام براقى ـ الجزائر نشكركم على رسالتكم الرقيقة ، ونرحب بك صديقا وأخا عزيزا للمجلة ، وانا ان شاء الله معك على الطريق ، وننتظر رسائلك .

● الى الصديق: محروس محمد ابراهيم ابو حلو مدينة ادكو شارع البحر . توجه الى العنوان التالى تجد الجائزة فى انتظارك .

٣ شارع الأمير قدادار ميدان التحرير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

● من الصديق : الخاضير محمد بن على .. مساكن ببويعلا ، فانجشت الصحراء الغربية ـ المملكة المغربية .

يسرنى ويسعدنى أن اقدم لكم التهانى على اخراج المجلة المطيعة والشريفة والهادية الى دار السلام ، اننى لم اعرفها الا فى السنوات الأخيرة وخصوصا هذه السنة : فقد أطلعت على جميع ما فيها من أقوال ونصوص قرآنية وأحاديث شريفة ومقالات مفيدة ، ازداد ايمانى بكم ولهذا أشكر كل من يساهم فى اخراجها .

● المجلة تشكر الصديق العزيز على حسن تقريظه ونرجو أن نكون عند حسن ظنه وظن الاخوة القراء دائما ، ونرحب بمساهمته فى المجلة .

● من الدكتور محمد فوزى جبريل ـ قبرص .

شكرا على رسالتك ، ونأمل ان شاء الله ان تصلك المجلة تباعا .

● الى الأخ محمود حسن عفيفى - عرب المرسل - قويسنا منوفية .

نرجو التوجه الى العنوان التالى للحصول على العدد المطلوب - مكتبة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..

٣ شارع الأمير قدادار - ميدان التحرير ..

● الى الأخ مصطفى عرفة محمد سيد أحمد سنتريس - منوفية .

أرسل لنا صورتك لننشرها فى بريد التعارف لأنها لم تصل ، ونحن نرحب بك صديقا للمجلة .

من الأخ : سيد حسن عبد الهادى - مدرسة دار المعلمين بساحل سليم أشكر مجلتكم الغراء على اعادة تقديم العروة الوثقى ، وأدعو الله ان يوفقكم ويسدد خطاكم على طريق الحق لرفع راية الاسلام عالية ونشر الدعوة الاسلامية ، وكلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

● المجلة تشكر لكم حسن تقريظكم وتتمنى لكم التوفيق دائما واقتراحاتكم محل دراسة ونظر .

من الأخ : خليفة محمد بن عمر - ولاية بسكرة الجزائر .

اكتب بقلم طريف ، واجلس فى مكان ظريف ، وتحيات عبر أمواج الرمال ، وعبر ادراج الأثير ، ومكان تخيم عليه الرحمة والسعادة . سلسلة من الذهب ، والجود والأدب ، لأول مرة أطرق باب مراسلتكم وأجمع قلمى بين انامل لأهدى لكم أزكى سلامى ، مشفوع بأجل احترامى وخالص تحياتى ، من صميم القلب وأعماق الفؤاد .

● نحييكم على تلك الكلمات الرقيقة والعبارات الشيقة ، ونتمنى لك دوام التوفيق والسداد ، فكلماتك تدل على انك اديب وان شاء الله سننشر صورتك فى بريد التعارف .

● الى الصديق : هلال محمود الضفار ، ميت غمر - وقاروس شارع سعد باشا وصلت رسالتكم وقد حولنارسالتك الىقسم الاشتراكات.

● الأخ الطيب بن عباس عبد الرحمن - باب الواد - الجزائر .

يرسل ماقيمته ١٦٠قرشا مائة وستون قرشا + قيمة البريد وترسل الحوالة باسم السيد الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٣ شارع الأمير قدادار - ميدان التحرير القاهرة .

● الى الصديق : سعيد عبد الله عبد ربه - باسوس - شبرا الخيمة قليوبية . ترسل حوالة بريدية باسم الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٣ شارع الأمير قدادار ميدان التحرير القاهرة .

رسالة المغرب الثقافية
—
موسوعة الامام ابى العباس احمد الونشريسى من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية المملكة المغربية

تعززت الخزانة الفقهية فى المغرب بصدور موسوعة الامام أبى العباس أحمد الونشريسى المسماة (المعيار المعرب والجامع المغرب عنفتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب) وتقع هذه الموسوعة العلمية التاريخية فى اثنى عشر مجلدا ضخما يتضمن كل مجلد حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ، هذا الى جانب مجلد اضافى يحتوى على الفهارس الكاملة ، وبذلك تصدر هذه الموسوعة فى ثلاثة عشر مجلدا .

وقد أشرفت وزارة الأوقاف والشئونالاسلامية بالمغرب علىاخراجوطبع ونشر هذا العمل العلمى الذائع الصيت .

وكان كتاب المعيار قد طبع لأول مرة فى المطبعة الحجرية بفاس عام ١٨٩٧ فى اثنى عشر جزءا بعناية ثمانية من الفقهاء الخطاطين والمصححين ونفذت نسخ هذه الطبعة .

ويعتبر كتاب المعيار مرآة للحياة الاجتماعية والتاريخية بالمغرب فى القرن العاشر الهجرى ،فقد حوى الكثير من الاشارات الى أحوال المجتمع الاسلامى فى هذه المنطقة ، من عادات فى الأفراح والأتراح ، وأنواع الملبوسات والأطعمة وحالات معينة فى الحرب والسلم والعمران وما الى ذلك الأمر الذى يجعل من هذه الموسوعة الهامة مصدرا وثيقا للمؤرخ الاجتماعى مثلما هو للفقيه.

وقد كتب الدكتور محمد حجى عميد كلية الآداب بالرباط تقديما مستوفيا لكتاب المعيار وترجم لمؤلفه الذى ولد بالجزائر وارتحل الى المغرب واستوطن فاس وعاش فىالبيئة العلمية المغربية فنبغ وذاع صيته كعالم عالى الكعب غزير المادة متمكن من العلوم الاسلامية .

صدر الكتاب عن دار المغرب الاسلامى ببيروت.

بريد التعارف

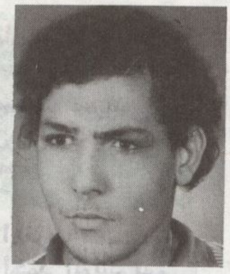

الاسم : حسين عبد الفتاح أبو أحمد
السن : ٢٢ سنة
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة والتعارف وتبادل الاراء والصور وممارسة الرياضة والاطلاع الدينى

الاسم : حاتم الطاهر خوجلى
المهنة : طالب ثانوى
السن : ١٨ سنة
الهواية : قراءة الكتب الدينية — والمراسلة
العنوان : السودان الخرطوم — مكتب بريد الكلاكلة القبة

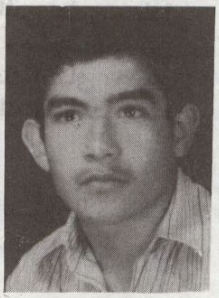

الاسم : موسى محمد ابراهيم خضر
السن : ١٩ سنة
الوظيفة : طالب بكلية الزراعة جامعة المنصورة
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : أبستد مركز طلخا دقهلية

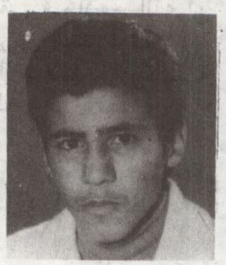

الاسم : الوافى فؤاد
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : المراسلة والتعارف على الشباب المسلم وقراءة الكتب الدينية
العنوان : الداوديات صندوق بريد ١٤٦٢ مراكش — المغرب

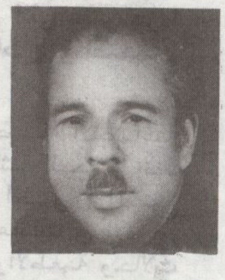

الاسم : عبد المنعم توفيق السيد يوسف
المهنة : امام وخطيب بمسجد الحاج عبد اللطيف الطوخى
الهواية : قراءة الكتب الدينية وعمل مكتبة عظيمة
البلد : ميت عنتر مركز طلخا محافظة الدقهلية ج.م.ع

الاسم : خليفة محمد بن عمر سيدى خالد
المهنة : طالب
السن : ١٥ سنة
العنوان : دائرة أولاد جلال ولاية بسكرة — الجزائر
الهواية : المراسلة والرياضة وجمع العملات والطوابع البريدية

الاسم : غانم شحاته محمد
المهنة : مساعد أول شرطة بوزارة الداخلية « ادارة العلاقات العامة »
الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة القرآن الكريم والمراسلة
العنوان : القاهرة — الأميرية مشروع ناصر بلوك ٧١ شقة ١٧

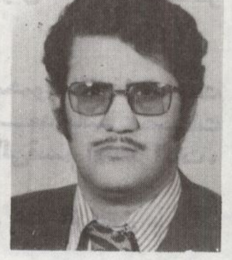

الاسم : سراج الدين أوزتوزون
المهنة : خياط
السن : ٢٥ سنة
العنوان : ديار بكر — تركيا
الهواية : مراسلة الشباب فى دول العالم الاسلامى

AU NOM DE DIEU
LE CLEMENT
LE MISERICORDIEUX

Cher jeune lecteur Musulman :

Le Conseil Supérieur des Affaires Islamiques publie, en début de chaque mois arabe, une revue destinée aux jeunes lecteurs, avec chaque numéro de la revue Minbar Al Islam.

Cette revue pour jeunes, qui paraît depuis onze ans déjà, est intitulée : Al Fardous ; elle a pour but d'enseigner à ses lecteurs, d'une manière attrayante, tout ce qu'ils devraient savoir de la Religion Musulmane, son essence, ses notions, ses préceptes, son histoire et sa civilisation. Scénarios, articles divers, dessins, rubriques variées, etc, tout contribue à cette fin. Cette revue a pour support linguistique, comme il se doit, la langue arabe, puisque c'est la langue du Coran... et comme Dieu a choisi cette langue en particulier pour donner ses paroles saintes aux peuples de la Terre, il faut que tous les Musulmans sachent la comprendre, la lire et l'écrire... Aussi es-tu, jeune lecteur Musulman, vivement prié de déployer tes efforts pour faire connaissance avec cette langue... Et si tu la connais déjà, tu pourras lire Al Fardous, la revue des jeunes, pour tout apprendre de ta merveilleuse religion, tout en te divertissant... «Mais, je ne connais pas l'arabe...» diras-tu peut-être. Ne t'inquiète pas... nous avons trouvé la solution : nous te présenterons tout ce que tu devrais connaître de l'Islam en français...

Et... à la fois prochaine.

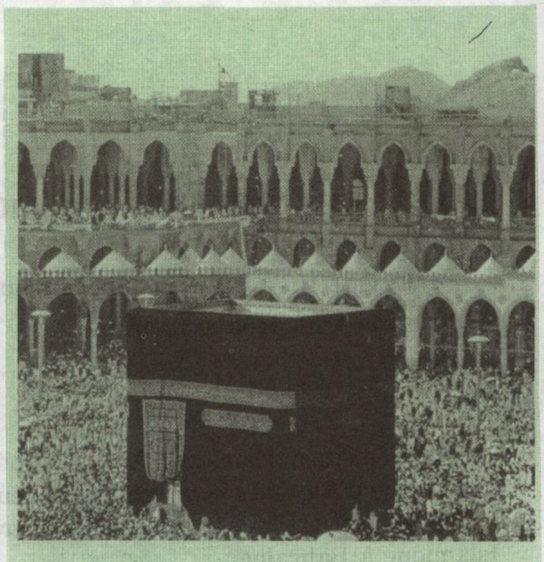

Il y a dans tout le monde trois places sacrées qu'il faut les visiter, ce sont : La mosquée Sacrée, la mosquée Extrême, et la mosquée prophétique honorée.

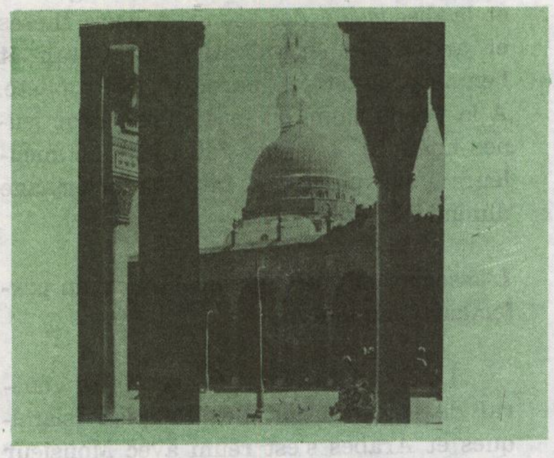

La mosquée prophétique honorée

«On ne part pas que pour trois places :
La mosquée Sacrée, et la mosquée Extrême et ma mosquée ça».
Explication de la parole du Prophète :

LES NOUVELLES DU MONDE MUSULMAN

L'Egypte à l'exposition internationale du Livre Islamique à Bahraine :

Les éditeurs islamiques à la République Arabe d'Egypte ont associé à la deuxième exposition internationale du Livre Islamique à Bahraine.

La compagnie de la réformation a organisé l'exposition à Bahraine.

La première exposition était installée à la dernière année à la limite locale seulement puis il est sorti à la limite internationale, à cette année.

Protection des jeunes musulmans des courants d'information hérétique.

Le secrétariat général continuel d'information islamique à La Mecque a demandé de faire protéger les jeunes musulmans des courants hérétiques pour calomnier notre religion.

Ça se trouve au discours qui a fait le secrétariat général d'information islamique aux ministres des Waqfs et des Affaires Islamiques au monde islamique de leur demander pour exécuter la décision qui a fait le premier congrès mondial d'information islamique pour protéger la croyance des jeunes musulmans de déviation et d'hérésie .

Le Congrès s'est assemblé à Jakarta à la fin de l'année dernière et il a invité les pays et les organisations islamiques pour contrôler les éditions, les circulaires et les livres qui deviennent les ennemis de la pensée islamique.

Cent jeunes hommes et jeunes filles font le pélerinage diminué cette année.

Le Conseil Supérieur de la Jeunesse et le sport fait un camp religieux à la résidence d'été à Ras El Barr depuis 7 Août au 6 Septembre prochain.

A ce camp les jeunes associent de tous les genres qui ont les thèses et les articles les cinq triomphés au concours religieux national du pélerinage diminué de tous les genres au niveau local.

Parmi le programme du camp il y a des conférences des réunions religieuses et la discussion des jeunes à leurs thèses et articles et examination au Coran et l'explication et les paroles du Prophète. A la fin du camp on fera choisir cent jeunes hommes et jeunes filles les plus meilleurs pour partir et faire le pélerinage diminué à cette année.

L'association du Soudan à l'union du parlement islamique.

Le Dr. Saïd Nofal le secrétaire général de l'Association des Peuples Islamiques et Arabes s'est réuni avec Monsieur Khalaf Allah Babakr le secrétaire assistant de la délégation parlementaire soudanaise qui a visité l'Egypte par la présidence de Monsieur Amer Gamal El Dine.

Ils ont discuté avec lui le style du lever de l'Union Parlementaire Arabe Islamique réciproque et Association du Soudan à l'union.

* * *

der son aide, car, il faut se rappeler toujours que c'est Dieu qui guérit.

A cette occasion, il me plaît de mentionner avec satisfaction que certains chirurgiens ne commencent leurs opérations qu'après avoir fait la prière, en vue d'obtenir l'aide de Dieu et la guérison du souffrant.

Quand Omar rendait visite à un malade, il récitait les sept versets de la «Fatha» à son intention et le malade recouvrait la santé, par la grâce de Dieu.

Après la mort de ce second khalife, ses amis disaient aux malades : «Nous connaissons par cœur la «Fatha», mais ou est la bouche de Omar ! ? » Ceci prouve la situation privilégiée de Omar auprès de Dieu.

Tel est l'enseignement de Dieu concernant le travail. Et si les hommes s'y conformaient, notre société ne serait pas exposée aux malheurs et aux douleurs de nos jours; les intérêts individuels ne se seraient pas bloqués, ni les conditions de vie troublées.

Le devoir de tout homme croyant est de craindre Dieu, faisant tout son possible pour réformer son caractère et celui de la société. Qu'il s'exerce à aimer son prochain, et qu'il sache que cette charité est une condition pour la réalisation de son acte de foi, comme nous l'avons dit. Un tel homme se sentira heureux, goûtera la saveur de la foi et vivra dans la miséricorde de Dieu, dans sa grâce et sa bonté. Son âme trouvera la quiétude dans ce monde, et le paradis dans l'autre : **« O âme apaisée, reviens auprès de ton Dieu, joyeuse et élue, et sois du nombre de mes serviteurs et entre dans mon Paradis»,** dit le Coran[7].

« يا ايتها النفس المطمئنـــة ارجعى الى ربك راضيـــة مرضية فادخلى فى عبـــادى وادخلى جنتى » .
(سورة الفجر)

(7) Sourate de l'Aube.

Cher lecteur,

Nous avons présenté au mois dernier le sujet du "perfectionnement du travail est un culte", et à ce mois nous vous présentons la suite du même sujet.

Ainsi, si les hommes concevaient cette vérité, ils ne se seraient pas tellement attachées aux appas de ce monde. Ainsi, servir honnêtement, par exemple, dans des restaurants, des boulangeries, ou autres établissements, et s'occuper de leur propreté, est un culte. Il en est de même pour l'industrie des médicaments qui exige la minutie et la grande attention pour sauvegarder la vie des malades et ne pas l'exposer au danger. Elle est un culte. Que tout homme sache que plus son travail est dangereux, plus il est responsable devant Dieu Tout-Puissant. Ainsi, la nécessité de la perfection est exigée par la religion.

Le ministre doit s'occuper de son ministère et trouver des solutions à tous les problèmes qui peuvent se présenter, selon cette devise : «le bien public», faisant de l'équité son critère. Qu'il se rappelle que c'est Dieu — le Tout Puissant — qui l'a désigné pour remplir cette tâche, et qu'il lui demandera compte de tous ses actes. Le ministre croyant doit donc avoir pour guide, la probité et la vérité. De même; il est du devoir du juge de s'occuper attentivement des procès ; de les bien étudier afin de rendre un jugement équitable. Qu'il sache qu'en donnant injustement droit à l'un des partis en litige, il ne sera pas épargné du feu de l'Enfer.

L'avocat doit étudier les procès qu'il plaidera. Il doit défendre son client avec honnêteté et sincérité. Il ne doit pas leurrer le juge, mais l'aider à découvrir la vérité, tout en écartant ce fameux adage qui veut que «l'avocat plaide l'opinion de son client». C'est une erreur. Il est honnête de dire la vérité, de la défendre et de refuser le procès qui lui paraît louche.

Le commerçant doit éviter toute sorte de fraude et de tromperie, et se rappeler toujours cette parole du Prophète : **«Celui qui nous trompe n'est pas de notre communauté».**

Le Moufti ne doit donner son avis sur une affaire qu'après l'avoir bien étudier, et son savoir ne sera pas mésestimé s'il répond : «ma foi, je ne sais pas». Le grand défaut est de se prononcer sur une affaire selon sa passion. Dans ce cas, il mérite le plus dur châtiment.

On a posé quarante questions à l'Imam Malek, alors qu'il donnait ses leçons à la mosquée du Prophète, entouré de ses disciples ... Il a répondu à dix-huit d'entre elles seulement. Un des assistants lui dit alors cyniquement : «Puisque tu n'arrives pas à répondre aux autres questions, pourquoi enseignes-tu ?» L'Imam lui répondit sur un ton de reproche : «Celui qui s'assied ici doit savoir quelque chose, et en ignorer beaucoup; celui qui prétend ne rien ignorer n'a pas de place ici». Cette réponse fit taire l'insolent. Le Prophète lui-même se garder de répondre à certaines questions, attendant la révélation.

Telle était la conduite de l'Envoyé de Dieu, conduite digne d'être suivie par les Croyants conformément à ce verset : **«Vous avez dans la conduite du Prophète le plus bel exemple à suivre par celui qui croit en Dieu et au jour du Jugement Dernier, et qui invoque fréquemment le nom de Dieu».**(6)

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (سورة الأحزاب) .

Le médecin doit aussi diagnostiquer avec attention et prescrire ensuite le médicament efficace, car l'erreur du médecin peut provoquer la mort du malade. Une telle erreur est fort grave et expose le médecin au châtiment divin. Le médecin doit donc craindre Dieu et lui deman-

(6) Sourate des Coalisés.

Néanmoins, ceux qui ont mésestimé la valeur du travail et de l'action sont tombés dans une grave erreur. En effet, ils ont eu le tort de mal interpréter certaines paroles particulières du Prophète dites à certaines occasions particulières. Ces paroles du Prophète doivent être situées à l'époque où vivait Mohammad pour pouvoir en connaître leur vrai sens. On rapporte, à ce propos, que le Prophète dit à Moaz Ibn Djabal : **«Quiconque témoigne sincèrement que Dieu est Un et que Mohammad est son Prophète, sera sauvé du tourment de l'enfer».** Cependant, le Prophète défendit à Moaz d'en faire part aux Croyants, afin qu'ils ne se fient pas à cette promesse, et négligent ainsi leurs devoirs pour gagner le paradis. Moaz fit part de ce Hadith aux Croyants avant sa mort. Or, certains paresseux s'appuient sur ce dire et à d'autres Hadiths semblables pour vivre oisivement, indifférents à toute lutte et à tout sacrifice. Le fait est que cette parole de l'Envoyé de Dieu fut dite au début de sa mission pour appeler les Mecquois à croire en Un Dieu Unique et à embrasser la foi islamique. Mais les obligations du culte, les enseignements du Coran et tout ce qui s'ensuivit ont abrogé ce Hadith et les preuves en sont nombreuses. Tel est d'ailleurs l'avis de certains érudits comme Al-Dahhaq, Al-Zahri, Sofian Al-Thawri, Al-Hafez, Al-Mondher. ...Cependant d'autres érudits repoussent cette abrogation assurant que l'accomplissement des obligations confirme ce témoignage de l'unicité de Dieu et le complète. D'ailleurs quiconque refuse de remplir ces devoirs religieux, par négligence ou révolte, est considéré comme infidèle même s'il témoigne que Dieu est Un et que Mohammad est son Envoyé, et partant, il n'entrera pas au paradis, car le témoignage de 'Unicité de Dieu et de la prophétie de Mohammad n'est qu'un issu à la foi sincère qui doit être confirmée et manifestée par l'observation des ordres divins, la pratique des dévotions et la soumission complète à la volonté de Dieu. Ce témoignage est pareil à un germe qui, une fois fixé au cœur du Croyant, poussera, grandira et donnera ses fruits. Le Très-Haut dit à cet effet : **«Ne vois-tu pas comment Dieu compare la bonne parole ? Elle ressemble à un bon arbre dont la racine est fixée au sol et les branches s'élancent vers le ciel. Il donne ses fruits chaque saison par la grâce de Dieu. Ainsi Dieu cite les paraboles aux hommes afin qu'ils réfléchissent».** (Sourate d'Abraham).

Le sens de ce verset est clair : croire en l'Unicité de Dieu doit être enraciné dans le cœur du fidèle comme l'arbre dans le sol. Ses fruits sont les bonnes actions qui montent vers Dieu pour être bénies et récompensées en tout temps. (Al-Montakhab[1], précité, p. 368[2]).

Concluons donc, en affirmant que l'homme stérile en œuvres est un hypocrite qui prétend être croyant, alors que son manque de zèle dément sa foi. Citons à ce sujet ce verset : **«Il y a des hommes qui disent nous croyons en Dieu et au Jour Dernier, et pourtant ils ne sont pas croyants».** (Sourate de la Génisse).

Soulignons que les actions conseillées par l'Islam embrassent tous les domaines de la vie : règles lois dispositions, dévotions[3], relations humaines. Elles sont donc autant de preuves qui témoignent l'authenticité de la foi. La croyance sincère n'est autre que l'entière soumission aux ordres divins.[4] L'Islam étant une religion de zèle et de travail, il ne saurait donc reconnaître une foi oisive et indifférente.

(1) Fi Al Tafsir El Coran.

(2) Ed. du Conseil Supérieur des Affaires Islamiques.

(3) Système de vie et de la religion.

(4) et aux prohibitions.

gement Dernier. C'est là une vérité que tout Croyant soucieux de gagner le paradis ne doit jamais oublier : **«Ce jour-là,** dit le Coran, **la pesée sera rigoureuse. Ceux dont le plateau penchera seront parmi les bienheureux, et ceux dont le plateau remontera auront perdu leurs âmes pour avoir méconnu nos signes».**

Bien plus, le Coran nous apprend que ce sont les actions qui décident du sort des nations. Dans ses récits historiques, le Coran mentionne les peuples qui ont péri pour avoir commis des crimes impardonnables. On y trouve l'exemple du peuple de Loth et d'autres peuples qui ont causé leur propre perte méritant ainsi le terrible châtiment qui s'abattit sur eux.

Le Coran dit également : **«Nous avons anéanti des peuples avant vous, pour les punir de leur injustice. Ils refusèrent de croire aux missions de leurs Prophètes qui vinrent à eux avec des preuves. C'est ainsi que nous châtions les peuples coupables. Nous vous avons appelés à les succéder sur terre pour voir comment vous agirez».** (Sourate de Jonas).

Par ailleurs, le Coran nous raconte l'histoire d'autres nations qui vécurent dans le bonheur et la prospérité grâce à leur foi sincère. On trouve à ce sujet dans cette même sourate de Jonas : **«Si une cité avait cru, sa foi l'aurait sauvée. Seul le peuple de Jonas a cru et nous l'avons soustrait à un tourment ignominieux dans ce monde et nous l'avons laissé jouir de la vie pendant un certain temps».**

Le sens du verset est bien clair : si chaque cité avait cru, sa foi lui aurait servi, mais aucune cité n'a cru. Seul le **peuple de Jonas, dont la foi était sincère,** a été sauvé du tourment et des douleurs pour jouir pendant un laps de temps de la vie immédiate. (Al-Montakhab fi tafsir al-Coran, p. 303, édition Du Conseil Supérieur des Affaires Islamiques).

En fait, les gens doués d'intelligence, déclarent leur foi par ces paroles que rapporte le Coran : **«Seigneur, nous avons entendu celui qui appelle à la foi en disant «croyez en Dieu», et nous avons cru».** Ces gens qui implorent la miséricorde de Dieu en disant : **«Dieu pardonne-nous nos péchés et fais-nous expier nos fautes, et compte-nous parmi les pieux».** Ceux qui implorent la victoire de Dieu par ces paroles : **«Dieu accorde-nous ce que Tu nous a promis par Tes Prophètes, et ne nous afflige pas le Jour de la Résurrection, car Tu ne manques jamais à Tes promesses».** (Sourate de la Famille d'Imran).

Ces gens-là, répétons-le ont bien compris qu'il fallait être d'abord sincères dans leur foi afin de voir leurs prières exaucées.

Toute parole non appuyée par l'action est vains, car la foi se manifeste avant tout par la lutte et les grands sacrifices. C'est ainsi qu'il faut comprendre la suite du verset : **«Dieu exauça leurs prières et leur dit : «Je ne ferai perdre à aucun d'entre vous — hommes ou femmes, les fruits de vos actions ; vous êtes issus les uns des autres. J'effacerai les péchés de ceux qui ont émigré, qui ont été expulsés de leurs demeures, qui ont souffert pour ma cause, qui ont combattu et ont succombé. Ceux-là, Je les introduirai dans des paradis arrosés de rivières. Dieu décerne les meilleures récompenses».** (Sourate de la Famille d'Imran).

Les textes coraniques qui invitent à couronner la foi par les bonnes œuvres sont nombreux pour pouvoir les citer tous. Cependant, il y a un verset qui illustre à merveille la cause que nous exposons : **«Dis-leur, agissez, Dieu verra vos actions ainsi que son Envoyé et les Croyants. Vous retournerez à celui qui connaît l'invisible et le visible, et il vous informera de toutes vos actions».** (Sourate du Repentir).

Par ailleurs, la relation entre la foi et le travail est pareille au lien existant entre le caractère d'une personne et son comportement. Ainsi, si l'homme croit fermement et sincèrement en Dieu, au Jugement Dernier et aux missions des Prophètes, il s'efforcera indubitablement d'obéir au Créateur pour obtenir sa grâce et gagner le paradis. Le croyant ressemble au courageux qui ne recule pas devant le danger, au généreux qui dépense avec largesse quand les occasions de charité ou de secours se présentent, et à l'homme véridique dont la conversation est toujours empreinte de vérité..

C'est ainsi qu'il faut donc comprendre l'Islam. Cependant, les ennemis de cette religion ne pouvant la vaincre sur les champs de bataille, essayent d'en saper les fondements en déclarant que l'Islam est une croyance sans devoirs, sans espoir et sans actions. C'est dans ce cadre tordu que nous voyons des Musulmans liés à l'Islam par leurs seuls noms enregistrés dans leurs actes de naissance, sans que rien dans leur comportement ne révèle leur religion. Il est digne de souligner que cette attitude est la cause de tous les malheurs qui nous accablent.

Une nation qui pense que le travail est une chose superficielle et superflue, peut-elle avoir une religion ou une civilisation ? Le travail est une mission sacrée ; c'est le critère selon lequel nous serons jugés. **«Celui qui a créé la mort et la vie, dit le Coran, vous éprouvera pour savoir lequel de vous a accompli les meilleures actions».** Généralement, le Coran ne mentionne la foi qu'associée aux bonnes actions. La Tradition dit : «La foi s'exprime par la parole, s'affirme par la croyance et par l'accomplissement des devoirs imposés.

Ajoutons que 75 versets du Coran confirment ces paroles du Prophète, à part les versets où la bonne action est seule mentionnée. De ces versets, nous pouvons citer : **«Je suis tout pardon pour celui qui se repent, croit, fait les bonnes actions et demeure dans le droit chemin». (Sourate de Taha). (Voir «Al Chobohate» de Rachid Réda, page 51 et suivantes).**

Citons également ce verset : **«Il ne s'agit pas de vos caprices ni de ceux des gens du Livre. Celui qui agit mal sera chatié et ne trouvera en dehors de Dieu ni protecteur ni soutien».** (Sourate des Femmes).

Il y est dit dans cette même sourate: **«Celui qui fait de bonnes actions, qu'il soit homme ou femme, tout en étant croyant, entrera au paradis et ne subira aucun préjudice».**

Le Tout-Puissant dit aussi : **«Les vrais Croyants sont ceux dont les cœurs frissonnent lorsqu'on prononce le nom de Dieu. Ce sont ceux dont la foi augmente quand ils entendent réciter le Coran, et se fient à Dieu. Ceux qui observent la prière et dépensent de ce que nous leur avons attribué, ceux-là, sont les vrais Croyants».** (Sourate d'Al-Anfal).

On trouve aussi dans la sourate des «Appartements» ; **«Les vrais Croyants sont ceux qui croient en Dieu et en son Prophète, ne connaissent pas le doute, mettent leurs biens et leurs personnes au service de Dieu. Ceux-là sont les Croyants sincères».**

Bref, de tout ce qui précède, on peut déduire que la foi n'est jamais mentionnée seule, mais toujours associée aux bonnes actions, à la piété, à la crainte de Dieu et à la soumission de ses ordres, de sorte que la foi et les bonnes actions soient intimement liées. De même, négliger de faire le bien c'est manquer de foi. Témoin cette parole de Dieu : **«As-tu vu celui qui traite de mensonge la religion ? C'est celui qui repousse l'orphelin et qui n'encourage pas à nourrir le pauvre».** Les actions seront donc le critère du Ju-

LA RELATION ENTRE LA FOI ET L'ACTION DANS L'ISLAM

Par :
MOUSTAFA ABDEL HALIM
EL-GUINDI

Parmi les problèmes saturés d'études et de discussions, se trouve celui de la foi et de l'Islam. Ces deux mots sont deux synonymes, deux corollaires, car l'Islam comprend en réalité la pratique des cultes imposés qui sont, au fond, la croyance en Dieu et l'exécution de ses ordres. La vraie croyance est basée sur la vraie connaissance de Dieu et l'accomplissement des obligations qu'Il nous impose. Ainsi donc, l'Islam implique la croyance, la foi et la soumission. La foi sincère est celle qui est étroitement liée à l'obéissance, et complètement purifiée de toute ingratitude envers Dieu, ou refus d'obéir à ses ordres, ou de remplir les devoirs imposés.

Partant de cette conception, quiconque refuse l'obéissance à Dieu, à ses ordres et à ses lois est un révolté. Témoin, Satan qui malgré sa croyance en l'unicité de Dieu et du Jugement Dernier, refusa de se prosterner devant Adam, défiant ainsi l'ordre divin par ingratitude et orgueil : «Je ne me prosterne pas devant un être humain», dit-il. Il fut considéré comme impie, en dépit de sa croyance. Cette connaissance de Dieu ne lui servit en rien et ne le sauva pas, car elle était dépourvue de la soumission absolue à la volonté divine. De même, toute désobéissance ou révolte de cette sorte, extirpe la foi du cœur. C'est selon cette conception de la foi, que le premier Khalife Abou Bakr al-Siddiq traitait sur un même pied d'égalité ceux qui refusaient de payer la Zakat, et les apostats, et leur livrait combat. En fait, il les considérait comme infidèle en dépit de leur foi.

siens purent en épargner quelques dirhems pour acheter des fiandises. L'austérité et la frugalité d'Omar sont d'autant plus admirables qu'il avait sous la main tous les Trésors de l'Etat, et pouvait en disposer à sa guise. Mais le pieux et probe Khalife craignait toujours d'être parmi les prodigues blâmés par le Coran.

Omar, fut donc, il y a quatorze siècles, un des pionniers de l'économie. Il promulgua une loi interdisant la vente de viandes durant deux jours successifs afin de fréner l'appétit des gens et de protéger la richesse bovine de l'Etat. Il se rendait incognito à l'abattoir d'Ebn Al Zobeir, l'unique abattoir de la Médine, à cette époque, et frappait de sa main tout ceux qui désobéissaient à la loi en disant: «Maîtrisez donc votre appétit, ne fusse que pour deux jours».

Bien plus, il fixa le prix de certaines denrées afin d'empêcher le monopole des marchandises. Il suivait en cela l'ordre du Prophète qui interdissait le monopole des denrées essentielles et menaçait ceux qui le pratiquaient du pire des châtiments.

Omar était tellement soucieux de l'économie dans les dépenses, qu'il sequestra la moitié des richesses des fonctionnaires de l'Etat afin de le forcer à être économe.

On raconte aussi à ce propos que Omar Abdel Aziz, le plus équitable des Khalifes Omeyades répondit à son beau père Abdel Malek Ebn Marawan qui l'interrogeait sur ses dépenses et son train de vie avant de lui donner sa fille Fâtéma en mariage : «Je suis entre les deux excès». Et il cita le digne verset qui dit : **«Ceux qui, dans leurs dépenses, ne sont ni prodigues ni avares, mais tiennent un juste milieu».**

« والذين اذا أنفقــوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان ذلك قواما » .

Ainsi, les compagnons du Prophète furent les premiers à reconnaître les vertus de l'économie à laquelle incite le Coran, et conseille le Prophète. Ils furent aussi les premiers à en appliquer les lois dans tous les domaines de la vie, devançant en cela les gouvernements actuels et les organisations mondiales qui mettent leur peuple en garde contre la famine et la pénurie, ces fléaux qui ne sont, en fait, que les néfastes conséquences de la prodigalité et des dépenses inconsidérées.

L'Islam, en incitant à l'économie et à la modération, visait donc avant tout à assurer aux hommes le bien-être et la sécurité. La hausse exhorbitante des prix, n'est en réalité que le résultat de la trop grande demande et la rareté de l'offre. L'économie diminuera donc la demande, ce qui provoquera automatiquement la baisse des prix, sans recourir aux mesures et aux lois économiques.

Tout bon citoyen doit donc s'efforcer d'être économe et modéré dans ses dépenses afin d'appliquer les enseignements du Coran, surtout à cette époque où la crise économique menace le monde et notre patrie épuisée par la guerre. Nous avons besoin de chaque ressource et de chaque sou pour gagner et mener notre armée à la victoire. Or l'économie est à la fois le pilier de la vie et la base de la conservation des armées bien administrées. Le peu, que chacun de nous économisera, fera en fin de compte une somme considérable qui servira à l'armement. Nous devons ici nous rappeler les paroles du Prophète qui compara ceux qui contribuent à l'armement aux vaillants combattants. De même, notre sage gouvernement, en appliquant les mesures d'austérité usant à équilibrer le budget de l'Etat, n'a fait qu'obéir aux préceptes de l'Islam. C'est grâce à une économie équilibrée et solide que nous parviendrons à libérer les territoires occupés et à réaliser la victoire à notre patrie.

la poésie arabe préislamique. Aussi Dieu condamne-t-Il cette ruinante prodigalité, et ordonne aux Croyants de dépenser avec modération dans les domaines de la charité et de la bienfaisance.

On raconte, d'après Abdoullah Ebn Amr que le Prophète ayant vu Saad en train de faire ses ablutions en utilisant beaucoup d'eau lui dit : **«Pourquoi donc cette abondance inutile ?»** A Saad étonné, le Prophète lui répondit: **«Sois économe, même si tu puises l'eau d'un fleuve. L'économie et la modération sont recommandées aussi bien dans la richesse que dans la pauvreté, et tout aussi bien dans la dévotion».**

Arrêtons-nous cependant à ces mots : **«Frères des démons».** C'est là une comparaison qui met le Croyant en garde contre la prodigalité à laquelle incite le démon. En même temps, Dieu nous met en garde contre l'avarice en disant : **«Ne serre pas les cordons de ta bourse».** En effet, ces deux excès, qui sont la prodigalité et l'avarice, entraînent de fâcheuses conséquences dont Dieu tient à nous prémunir. C'est la modération donc, qui est à conseiller. On raconte, d'après Gaber, que le Prophète dut manquer à ses dévotions à la mosquée car Il venait de donner la seule chemise qu'Il possédait à un pauvre garçon qui était venu la lui demander. Le verset serait donc révélé à ce propos.

Dans le même sens, nous trouvons aussi le verset qui dit : **«Ceux qui dépensent de ce que Nous leur avons attribués»** Il y a là aussi, ainsi que l'affirme Al Zamakhchari, une incitation à la modération dans la dépense et une interdiction de la prodigalité. L'Erudit Fakhr Al Din Al Razi est du même avis. Quant à l'Imam Mohammad Abdou, il donne plus de précision en insistant sur le mot «attributions». L'ordre de dépenser de ce que Dieu nous a attribué comme richesses, science ou prestige, consiste à dépenser une part seulement de ces attributions et non pas toutes. Il y a là aussi une incitation à la modération et à l'économie. Soulignons enfin que l'Imam Mohammad Abdou considère comme «attributions» tous les biens concrets et abstraits. Les érudits, adeptes de la «Sonna», ne distinguent pas, dans leur interprétation, entre les attributions, licites et illicites, alors que les isolationnistes insistent seulement sur les attributions licites.

Bref, l'économie est le pilier de la vie quotidienne des hommes. A cet effet, le second Khalife Omar Ebn Al Khattab nous donne un illustre exemple. Il fut le premier à appliquer les versets incitant à l'économie, tant sur lui-même que sur sa famille et sur la communauté islamique, obéissant en cela aux ordres divins maintes fois mentionnés dans le Coran.

— En effet, le Khalife vivait frugalement et se contentait du strict nécessaire. Il répondit un jour à quelques Croyants qui le croyaient possesseur d'une esclave: «Sachez bien qu'Omar ne possède pas d'esclave. Cette esclave est à Dieu. Quant à moi je ne possède que deux habits, l'un pour l'hiver et l'autre pour l'été, suffisament d'argent pour faire le pèlerinage et la stricte nourriture nécessaire pour subsister, ainsi que ma famille».

Extrêmement économe, Omar ne dépensait au pèlerinage que 16 dinars et considérait cela comme excessif. Il portait, pendant son règne, un habit de laine rapiécé, et circulait au marché pour exhorter les gens au bien et à la vertu. On raconte même qu'il ramassait les noyaux des fruits et les donnait aux gens afin qu'ils en profitent. Anas témoigne que l'habit d'Omar était tout rapiécé sur les épaules, Abou Osman Al Dhari témoigne aussi de la même chose.

Omar appliquait cette frugalité sur la nourriture et ordonnait aux siens de se contenter du strict nécessaire. Il décida de diminuer la pension qu'il recevait du Trésor Public lorsqu'il remarqua que les

buvez sans excès. Dieu n'aime pas les excès».

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

Ebn Kathir interpréta ce verset en déclarant que Dieu a admirablement résumé les règles de l'hygiène dans ce fragment de verset : **«Mangez et buvez sans excès.»** Quant à Ebn Abbas, il l'interpréta en disant que l'on peut manger et s'habiller à volonté, à condition d'éviter deux défauts : l'excès et l'ostentation. Le prophète a dit à ce propos :

«Mangez, buvez, habillez-vous et faites l'aumône sans ostentation ni excès». Il dit aussi : **«Le ventre est le pire récipient que l'homme puisse remplir : contentez-vous de quelques bouchées pour subsister, sinon, réservez-en un tiers pour la nourriture, un tiers pour la boisson et un tiers pour l'air».** De même, d'après Anas Ebn Malek, le Prophète a dit : **«C'est un excès que de manger tout ce dont on a envie».**

De tout ce qui précède, on peut donc déduire que le Coran et les paroles du prophète incitent essentiellement à l'économie selon une juste mesure et désapprouvent l'excès sous toutes ses formes.

Par ailleurs, on trouve aussi dans le Coran :

«Donne au proche parent son dû, au nécessiteux et au voyageur et ne prodigue point. Les prodigues sont les frères des démons et le démon envers Dieu est bien ingrat».

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

Ebn Kathir interpréta ce verset en disant que Dieu interdit l'excès des dépenses, et incite à la modération. On trouve dans ce sens : «Ceux qui en dépensant, ne sont ni prodigues ni avares, mais tiennent un juste milieu».

En fait, Dieu, gloire à Lui, nous rend odieux la dilapidation en disant **«Les dilapidateurs sont les frères des démons».** c'est-à-dire **semblables et pareils aux démons.**

On raconte à ce propos qu'un homme très riche de Bani Tamime étant venu demander conseil au Prophète, quant à la manière de dépenser son argent, le Prophète lui aurait répondu : **«Dépenses d'abord le Zakat qui te purifiera et purifiera ta fortune. Sois généreux ensuite avec tes proches parents et sois charitable envers le mendiant, le voisin et le nécessiteux».** Le Prophète lui cita ensuite le verset qui dit : **«Donne au proche parent son dû, au nécessiteux et au voyageur et ne prodigue pas».** — L'homme alors remercia le Prophète en répondant: «Il me suffit de me rappeler ces paroles divines. **Les prodigues sont les frères des démons».** Il faut comprendre qu'il ne s'agit pas seulement de dilapider l'argent, mais le verset désapprouve aussi toutes sortes d'excès matériels et spirituels. C'est ainsi qu'il faut l'interpréter. Dieu, gloire à Lui, dit aussi: **«Ne serre pas les cordons de ta bourse et ne sois pas prodigue si tu ne veux pas être blâmé ou éprouver des regrets».**

L'Imam Ebn Kathir l'interpréta en déclarant que Dieu désapprouve l'avarice aussi bien que la prodigalité. En effet, ces deux excès sont blâmables. — Dans leur hérésie, les Juifs ont attribué à tort l'avarice à Dieu, Lui, Le bienfaiteur, Le Magnanime. Cependant Dieu interdit la prodigalité et la dilapidation pour préserver les hommes de l'humiliation et de l'impuissance qui en sont les conséquences néfastes. **Al Zamakhchari interprète la prodigalité par les dépenses inutiles et su**perflues qui épuisent la fortune et ruinent son possesseur. Il sied de rappeler ici la tradition arabe préislamique qui consistait à abattre les chameaux pour les visiteurs et pour sauvegarder la réputation du peuple arabe généreux et hospitalier.

En effet, chaque tribu, s'en orgueillissait de sa richesse et de sa générosité et cela se trouve clairement mentionné dans

L'ECONOMIE ET SA POSITION

DANS L'ISLAM

Par Son Eminence Le Cheikh

EL TANTAWI AHMAD OMAR

L'Islam est la religion du bon sens. Ses préceptes, ses principes et ses enseignements s'adaptent à toutes les époques et à tous les milieux.

Venue essentiellement pour réformer la vie des hommes, cette religion n'a en effet négligé aucun aspect de la vie sociale, et n'a laissé aucun problème vital sans le résoudre, de manière à assurer aux hommes une vie équilibrée, et bienheureuse.

L'Islam donc, par sa tolérance et ses vertus est le plus beau don du Seigneur pour le bonheur des hommes.

Par ailleurs, étant donné que l'économie constitue le pilier fondamental de la vie, l'Islam lui donna des assises et des lois, il y a quatorze siècles, avant que cette science ne vit le jour et avant même que le terme «d'économiste» n'existât.

Le Coran, qui ne cesse d'intéresser les exégètes et les érudits, par ses sages préceptes, incite à l'économie et considère les dilapideurs comme les alliés du démon ou plus exactement, comme une vermine dangereuse capable de ronger la société et de provoquer son effondrement.

L'objectif de l'Islam étant, avant tout, la réforme des idées et des esprits, tous les versets ont exposé et traité en détail la vie économique des individus essayant ainsi de résoudre les problèmes qui les affrontent et de leur assurer une vie tranquille et équilibrée.

Il va sans dire aussi que le Coran a souligné à maintes reprises les effets néfastes de la prodigalité qui mène à la misère.

L'Islam est la religion de la juste mesure. Aussi tous les excès y sont désapprouvés. Dieu, le Tout-Puissant, dit à cet effet :

«O fils d'Adam, mettez vos beaux habits au moment de la prière. Mangez et

IN THE NAME OF GOD,
THE BENIFICENT,
THE MERCIFUL

Dear Muslim Child,

For the last eleven years, the Supreme Council for Islamic Affairs has been issuing a free supplement to Minbar Al-Islam magazine, called Al-Ferdaous. It is written in Arabic, the beautiful language in which the Holy Qur'an was revealed to our Prophet Mohammed.

Al-Ferdaous is issued especially for young Muslims, with the aim to provide them with the basic knowledge of their religion, in a modern, simple way. It offers them stories derived from the Holy Qur'an, stories about those wonderful people who were the first believers in the Prophet's Message, and also stories based on ethics and morals.

It is a very interesting magazine. We invite you to have a look at the latest issue of it, you will find coloured strips and pictures ; but most important of all, you will find the answers to many of the questions you want to ask about your religion.

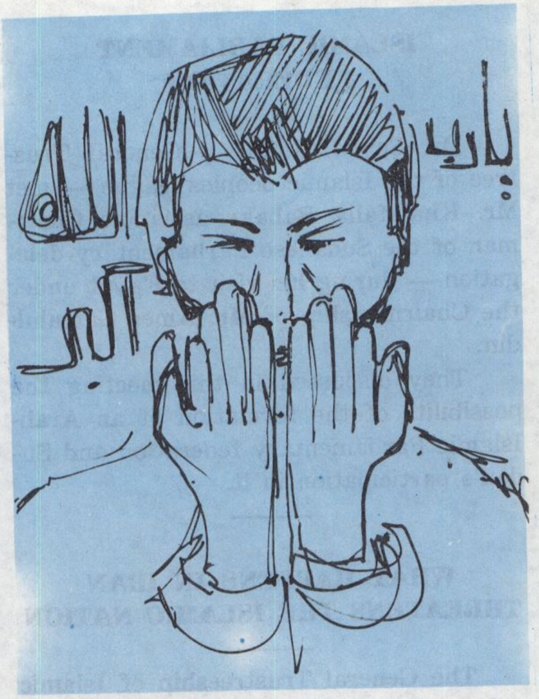

Some of you might say "How can we understand what we cannot read ?"

The answer to this is :- we advise you to learn the Arabic language. If you do, you will then be able to learn everything about Islam, and later on you will be able to make friends all over the Muslim World, a thing you will enjoy very much.

Dear Muslim Child, we are not going to wait until you learn to read and write arabic, it may take sometime to do so, but, by God's Will, we are going to present you, in each issue of Minbar Al-Islam, with some knowledge about your religion, how to perform Islamic rituals, and will tell you stories from the Qur'an, in English.

So until the next issue, goodbye.

ISLAMIC PARLIAMENT FEDERATION

Dr. Sayed Nofal — General Trustree of the Islamic peoples league — met Mr. Khalafalla Babakr assistant Chairman of the Sudanese Parliamentary delegation — during his visit to Egypt under the Chairmanship of Mr. Amer Gamaluldin.

They discussed in this meeting the possibility of the formation of an Arab-Islamic Parliamentary federation and Sudan's participation in it.

WHAT HAPPENS IN IRAN THREATENS THE ISLAMIC NATION

The General Trustreeship of Islamic and Arab Peoples League issued a call concerning the last occurances in Iran directed to the leagues peoples to pay attention to what happens in Iran and the possible misfortunes drawn upon the national safety of the Gulf countries and the Middle East Zone.

The call explained that the situation in Iran is exactly similar to the situation in Afghanistan in 1979 when differences prevailed between leaders until the occurance of the Soviet invasion.

Dr. Sayed Nofal added that wider studies are being prepared about Iran revolution and its impact on Islamic world. These studies will be put before concerned committees for suitable measures and decisions.

INCREASE OF AWQAF DONATIONS FOR FOREIGN STUDENTS

The Ministry of Waqfs studies the possibility of increasing scholarships for foreign students. It is noteworthy that last year's scholarships were 709 —, Muslim students from Africa had 345 scholarship, 422 scholarship for foreign stu dents of Asia, 132 scholarship for students from different Arab countries and 10 scholarships for muslim students from Europe.

THE ACTIVITY OF THE MINISTRY OF WAQFS FOR THE FOREIGN WORLD

Dr. Zakaria Al Berry, minister of State for waqfs agreed on :

— Supplying a wooden pulpit (minbar) to the Islamic Centre mosque in Toledo — Ohaio State. Measures are taken now to work this pulpit and send it to the Islamic Centre mosque in America.

His excellency also agreed to supply this mosque with L.E. 1500 as a participation from the ministry for the completion of this mosque.

— He also agreed on the payment of L.E. 2000 a help to the Corporation of Indianapolis muslims in the U.S.A.

— A donation of L.E. 2000 from the Ministry of Waqfs for the foundation of Fortworth mosque. Texas State, U.S.A.

— Dr. Zakaria Al Berry discusses the possibility of sending financial help to build a mosque for the muslims of Atlanta City — Georgia State — U.S.A.

— The administration of foreign relations in the ministry of Waqfs, discusses giving all possible assistance to religious, and cultural magazines issued in Brazil.

— His excellency agreed to the translation of the book "Man's Rights in Islam" in portugese to be distributed on Portugese speaking muslims.

— He signed to the administrative expenditure of foreign Islamic Centres in Tanzania and Brazil which are under the supervision of the Ministry of Waqfs.

— His excellency also agreed on the monetary funds alloted by the A.R.E. for the foundation and working of the African Islamic Centre in Khartoum.

— The Ministry of Waqfs participates in the reform works of Hasan Bey mosque in Yafa.

Dr. Zakaria Al Berry agreed on the distribution of L.E. 50,000 donations as follows :

— Building an Islamic Centre in Bangkok (Thailand).

— New muslims' society (Singapore).

— To build Colon mosque (Hongkong).

— To build an Arabic Islamic School (Nepal).

— For distribution on Islamic societies (Lagos).

— To build a mosque and an Islamic Centre (Senegal).

— To build a school and a lecture hall (Mali).

— To build old Kampala hospital (Uganda).

— To build an Islamic Cultural Centre (Norway).

— To build a mosque in Texas State (U.S.A.)

— To build a mosque and an Islamic Centre in louten (London).

— For the International Society "Islam" and the West (Switzerland).

— Reformation of Roterdam mosque (Holland).

— For distribution on some Islamic societies (Serilanka).

A new interpretation for the Holy Quran.

For the first time the interpreted Quran will be broadcasted as a complete project, participants in that great project are :

— Sheikh Mohamed Al Ghazali.

— Dr. Yousef Al Qaradami.

— Dr. Hasan Isa Abd El Zaher.

— Dr. Mohamed Abdalla Al Mahdi.

— Dr. Abdalla Shehata.

— Dr. Mohamed El Ahmadi Abul Nour.

— Sheikh Abdel Aziz Abdel Sattar.

The Holy Quran will include 1027 parts and it will be distributed to all Arab countries.

It is noteworthy that this interpretation is the first complete and comprehensive interpretation of the Holy Quran including subjective and scientific aspects.

be considered as a fulfilment of any of the five obligatory prayers — morning, noon, afternoon, sunset and evening. It should be recalled that Prophet Muhammad himself never missed any prayer. Even during his death sickness, he asked Caliph Abu Bakr to lead the Muslims in prayer, and he himself stood behind him. It therefore transpires that nothing can replace prayer, about which Allah says in a sacred Hadith :

"My slave, who comes nigh to me in as much as he goes in performing the obligatory prayers, and who is still coming further nigh by the performance of optional prayers, shall be loved by Me. And whoever gains my love shall enjoy my power that I shall be the ear through which he hears, the eye through which he sees, the hand hwich he uses for prowess and the foot which he uses for walking".

Man attains such a flofty position only when he performs the obligatory prayers and increases the performance of optional prayers. In this connection, Prophet Muhammad says : "Man is nearest to God while prostrating (in prayer)". Thus, the Muslim people should understand their religion and fear God. "Verily God is with those who fear Him and who act benevolently".

Question 4— I once missed the "asr" (afternoon) prayer, which I P performed the next day. I have heard that no prayer should be performed after the "asr", even if it be a prayer to thank God. The question is what is the rule and opnion of religion about such a prayer ?.

Answer 4—It is understood from this question that the inquirer wants to know the opinion of religion as regards the possibility of performing a deferred "asr" prayer after the performance of "asr"the next day. The answer is that jurists are of the opinion that it is generally abhorred to perform deferred prayers after the asr. However, the obligatory prayers should be performed anytime before the sun becomes yellow. And once the sun starts to become yellowish prayers should not be performed until after the sunset. The only xception is the "asr" of the same day which could be performed during that time, but with some abhorrence, since it is preferable to perform the obligatory prayers even with some abhorrence rather than to defer them to a later time.

From the above, the inquirer may know that his performance of the deferred prayer of "asr" the next day is valid if it had been done before the sun became yellowish, otherwise, it will be invalid and will have to be re-performed.

As to the negation of the ability to effect justice referred to in the ve.se : "Ye are never able to be fair and just as between women, even if it is your ardent desire...", I think that it deals with absolute justice, including the heart inclination, which is beyond man's power. Hearts, as we know, arein the Hands of the All Merciful God' Who directs them as He wills. Thus, the husband may deal justly between his women in concrete matters such as the expenses of daily life, lodging, etc., but his heart is definitely inclined to one woman more than to another. This fact is confirmed by the Prophet, who used to say : "O my Eord ! This is my tribution in what I possess; execuse me in what I do not possess". The Prophet was known to have more inclination to Elsayeda Aisha, may God be gracious to her, than to other women,

Question 3-Allah the Almighty says : "Behold! verily on the sincere believers of God there is no fear, nor shall they grieve!" I would like to know what is meant by the expression "the sincere believers of God", so that people might not misunderstand it. I make this request because I have heard about a certain „shaikha" (woman claiming to be concerned mainly with religious matters) who neither keeps fast nor observes prayers, and yet people frequent her home to know her predictions about their fortunes and whether they will be happy or sad. Upon knowing that she does not observe the fundamental religious devotions, I asked a friend how could this shappen when the observation of prayers is the prop of religion. My friend replied that this woman prays in heaven with the rightenous friends of God. He added that she often keeps silent while raising her hands up towards Heaven. Could this be considered a kind of prayer fulfilling man's obligation as far as this devotion is concerned ?

Answer 3—Knowledge of the unseen is one of the qualities of Allah, the Almighty. It is He alone Who knows the unseen which He reveals to the apostle of His choice, as He says : "He (alone) knows the unseen, nor does He make anyone acquainted with His Mysteries, except an apostle whom He has chosen". Accordingly the claim that anybody knows the future is false and is considered a violation of the jurisiction of God, the All-Knowing.

As to the sincere believers of God, they are well defined in the Quranic verse : "Behold verily on the sincere believers of God there is no fear, nor shall they grieve; those who believe and (constantly) fuard against evil; — for them are Glad Tidings, in the life of the Present and in the Hereafter". Thus, asincere believer of God is a pious believer; and piety is compliance to God's injunctions, abstention from His prohibitions and sincerity in the attitude to God in secret as well as in public.

Prayer is foremost among the props of Islam as it comes next to Attstation. The Prophet says : "Islam is based on five props : the attestation that there is no god other than Allah and that Muhammad is His Prophet; the performance of prayer; the paypent of Zakat (the ppor due); the fasting of Ramadan and the performance of pilgrimage ofr whoever can undertake the journcey,'. Thus, there is no sincere believer of God or even a true Muslim who does not pray. Belief is not by heart alone, or it must also be expressed in action, and prayer is the most important devotion. Accordingly, he who performs prayer is actually establishing religion. By the same token, he who neglects prayer is destroying religoin. The prayers, divinely ordained to the Muslims on the eve of "Israa and Miraj" (the Holy Night Journey of Prophet Muhammad), are five in number. They have their rules and conditions which are fundamental for their performance. These include the declared intention to pray, the recitation of Quranic verses, bowing and prostrating, besides the cleansing of body, dress and place Thus, neither the raising of the hand towards Heaven nor the observation of silence can be considered as prayer in the religious sense. However, the raising o hands towards Heaven may involve some invocation to God, while the observation of silence may involve some meditation on God and His Realm; but neither of them could, jurisprudentially,

The second view, which we approve and by by which we abide, holds that Prophet Muhammad is the first Muslim in the world, in the sense that he is the most sincere and the most perfect from the beginning of creation until Doomsday.

Commenting on Almighty Allah's saying : "So We have taught thee the inspried (meassage), follow the ways of Abraham the True in Faith, and he joined not gods with God' ", Imam Ibn Kathir says that the divine injunction to the Prophet to follow the ways of Abraham, the True in Faith, does by no means indicate that Abraham was more perfect than Muhammad in the True Faith. In fact, it was the Prophet Muhammad, who magnificently carried the message, perfected to him, in a manner that had never been attained. Hence he became the sealing of all prophets and the Master of all the descendants of Adam. His position is the noblest, and it is aspired at by all creatures including Abraham himself, God's peace be upon him. It is reported that Prophet Muhammad used to say each morning : „We start our day on the way of Islam, the Word of sincerity, the religion of Prophet Muhammad and the ways of Abraham, the True in Faith, and he joined not gods with God.

Some scholars, however, hold the opinion that the divine saying "And I am the first of the Muslim" refers to Prophet Muhammads' hadith: "My message was decreed at the beginning of Creation. And God is the All-Knowing. (consult Ibn Kathir and Al-Aloussy).

Question 2— I heard from a Muslim teacher that it is not permissible for a Muslim to exercise polygamy as long as his wife is healthy and fit for the conjugal life. This teacher substantiated his argument by the Almighty Allah's saying : "Marry women of your choice, two, or three, or four; but if ye fear that ye shall not be albe to deal justly (with them), then only one, or (a captive) that your right hands possess. That will be more suitable, to prevent your from doing injust'ce". In another verse, Allah says : "Ye are never able to be fair and just as between women, even if it is your ardent desire : but turn not away (from a woman) altogether, soas to leave leave her (as if she were) whanging (in the air).

The question is : what is the opinion of relgion concerning the phrase : "or (a captive) that your right hands possess", mentioned in the above quoted Quranic verse ?

Answ°r 2— Prior to the advent of Islam, polygamy was unrestricted and any man could marry as many women as he wished. Then Islam came to regulate the conjugal relatinship between man and woman. It limited polygamy, restricting man's right to marry women of his choice to two, or three, or four, but never more. Accordingly, man could not under any circumstances or for nay reason keep more than the four wives permissible to him. Yet he maintained the right to enjoy himself with any of the women his right hands possessed, namely the slaves inherited, bought or taken as captives in wars. This system, which had been existing before Islam and which continued to be practised for some time, does no longer exist.

If we go back to discuss the verse : "marry women of your choice..." we shall find tha Islam has limi ed man's righ , in polygamy, o four women only and has made i a necessi y for man o be fair and jus between women. Fairness and justice in this context is meant to be in relation to the right of the wives to equality in food, clothing lodging and all other sensual matters within man's power. But if man fears that he shall not be able to deal justly then he should marry only one woman, in compliance wit hGod's saying : "If ye fear that ye shall not be able to deal justly (with them), then only one, or (a captive) that your giht hands possess". Thus, man should marry only one wife if he fears that he will be unable to deal justly. This gives rise to the question that if man marries two, or threeor four, will the marriage be considered as valid or not. The answer is that such a marriage is certainly valid, but the husband doing it will commit a sin. Obviously there is a difference between the non-valid marriage and the valid marriage which involve. the sin of committing injustice to the second wife.

the first Muslim, when he was preceeded in Is(am by other messengers of God such as the Prophet Abraham ?

Answer 1 — The above cited verse is an injunction from the Almighty God to His Prophet Muhammad' Allah's peace and blessings be upon him, to inform his people that his prayer and worship of God alone and his slaying of animals and service of sacrifice are for none but God the Almighty, Whose Name alone must be invoked when slaying the animals of sacrific. The Prophet was to tell his people not to do like the polytheists, who worshipped deities other than God, and who invoked names other than His. He was e,joined to show his people that he was different from those polythists in prayer and all other devotions, and that his worship, slaying of animals and even his life and his death were all for God the Almighty, the Cherisher of the worlds, Who has no partner.

Concerning the expression "And I am the first of the Muslims" there are two views by Muslim scholars.

The first holds that the Prophet Muhammad was the first Muslim in his nation. Holders of his view argue that all Prophets advocated Islam, because the origin of Islam is the worship worship of Allah, Who has no partner. God the Almighty says : "Not an apostle did We send before thee without this inspiration sent by Us to him : that there is no God but I ; therefore whorship and serve Me".

God also tells us that Noah said to his people : "But if ye turn back, (consider) : no reward have I asked of you : my reward is only due from God, and I have been commanded to to be of those who submit to God's Will (in Islam)".

God tells us, furthermore, about Abraham, God's peace be upon him : "Behold ! his Lord said : 'I bow (my will) to the Lord and Cherisher of the Universe'. And this was the legacy that Abraham left to his sons, and so did Jacob; 'oh my sons ! God hath chosen the faith for you : then die not execept in the faith of Islam".

In the same manner, Joseph, God's peace be upon him, said : "O my Lord ! Thou hast indeed bestowed on me some power, and taught me something of the interpretation of dreams and events, — O Thou Creator of the heavens and the earth ! Thou art my Protector in this world and in the Hereafter. Take Thou my soul (at death) as one submitting to Thy Will (as a Muslim), and unite me qith the righteous".

Moses, too, is reported in the Quran as having said : "O my people ! if you do (really) believe in God, then in Him put your trust if ye submit your will to His (as Muslims)". And (his people) said : "In God do we put our trust. Our Lord ! make us not a trial for those who practise oppression; and deliver us by They Mercy from those who reject Thee".

In addition to this, God says : "It was We Who revealed the Law (to Moses) : therein was guidance and light. By its standard have been judged the Jews, by the Prophets who bowed (as in Islam) to God's Will, by the Rabbis and the Doctors of Law".

About Jesus Christ, the Almighty Allah says : "And behold ! I inspired the Disciples to have faith in Me and Mine Apostle : they said, 'we have faith, and do thou bear witness that we bow to God as Muslims' "

Thus, God Almighty sent the Religion of Islam with all His Messengers. But there were were differences about its understanding commensurate with the differences between the laws or rules brought with each revelation. These laws, however, abolished each other, until they were all replaced by Prophet Muhammads's unaboishable laws that will remain everlasting until Doomsday. This fact is clearly expressed by Prophet Muhammad in his saying :r "We, prophets, are stepbrothers; our religion is one and the same". Stepbrothers, as we know, are brothers from the same father but have several mothers. The analogy here is that Religion is one and the same, being the laws related to the divine revelations are like the mothers of the stepbrothers, and could therefore be different.

to stand by you, so go wherever you like, aud we will go with you. By Whom Who has sent you with the Truth, if you ask us to cross the sea, we will cross it with you. No one of us will lag behind. We do not hate to meet our enemy tomorrow. You will find us patient, hard and sincere in fighting. May God show how we help you to be pleased. Go ahead, with God's blessings". The Prophet was very happy and addressed the Muslims, saying : "Proceed and be assured of victory. I have been promised of it by God. By God, I can see now the defcat of the enemy".

When Prophet Muhammad was informed on another occasion, before the Battle of Uhud, of the arrivial of Quraish polytheists and their followers to fight the Muslims to avenge their defeat at Badr, the Prophet gathered the Muslims for advice. He wanted to know whether they would meet the enemy in the open or entice them into the town where the men would fight them tin the alleys and the women from the roofs of heir houses.

Some Muslims were for the opinion of meeting the enemy outside the town and some others, Al - Ansars, were for fighting them inside It. The Prophet himself was in favour of the latter; and he was supported by many wise Muslims. But they were opposed by those who did not fight in the Battle of Badr and the enthusiastic young men eager for martyrdom, When the Prophet saw the majority of Musli's in favour of fighting the enemy outside the town he entered his house came out after a whiel wearing his war garment, carrying his weapons and ready for the fighting. When they saw the Prophet wearing his shield the Muslims felt penitent and blamed themselves for forcing their opinion upon the Prophet who received instructions through Divine Revelation. They apologised to the Prophet, asking him to forget their advice and act according to his own opinion. But the Prophet refused, saying that when a prophet puts on his shield he should not put it off unless he fought, Allah determined result of the battle.

When the Battle of the Ditch was about to start, Salman, the Persian, proposed that trenches be dug around Madina to enable Muslims defend the city and check the attacks of the enemy. The Prophet accepted Salman's advice and ordered the trench to be dug. The Muslims completed their task in six - days and the Prophet himself was among the first to take part in the digging.

However, Islam does not specify a particular way for counsel. It was left for the people themselves to decide, each one according to his own experience and circumstances. Even the Prophet himself did not follow a paticultar way in counsel. Sometimes, he sought the advice of his two companions and chief advisers Abu Bakr and Omar, and some other times of Msulims in general.

During the lifetime of Muhammad, judges were asked by him to consult jurists in the cases they were hearing. No special consultative councils were set up, and counsel was given by people known for their piety and learning.

The wise Caliphs who succeedcd Prophet Muhammad followed his tradition, seeking cousel from people of wisdom and sound judgement. Often, the Caliphs called the Muslims to a public meeting, held either in a mosque or elsewhere, for cousel on matters that needed consultation.

When the affairs of Muslims were conducted through consultation, the Islamic governement occupied a prominent place in the annals of the hisotry of jurisprudence and administration.

YOU ASK AND THE MUFTI ANSWERS:

Q. 1.—What is the meaning of the almighty Allah's saying : „And I am the fist of the Muslims (those who bow to God's Will) which is embodied in the Quranic verse : "Say : ',Truly, my prayer and my service of sacrifice, my life and my death, are (all) for God, the Cherisher of the Worlds : No partner hath He : Thus am I commanded and I am the first of the Muslims". How could Prophet Muhammad be considered

CONSULTATION IN ISLAM

By

Justice Saad Abdel Salam Habib

Consultation is one of the most important constitutional principles on Which the Islamic rule is based. Only after discussions and exchange of view points could sound decisions be be taken for the welfare of the community. It is so important that there is a special Chapter in the Quran about "The Shura" (The Counsel). In this Chapter, counsultation is mentioned together with the ,,prayers" and "Zakat", which are cardinal doctrines of Islam.

To seek counsel, in fact, is the duty of Muslims and only through it, can Muslims' affairs be properly conducted.

In Surat "Al-Imran", God tells Prophet Muhammad :

"Thus it is by Allah's mercy that thou art gentle to them. And hadst thou been rough, hard - hearted, they would certainly have dispersed from around thee. So pardon them and ask protection for them, and consult them in (important) matters. But when thou hast determined, put thy trust in Allah. Surely Allah loves those who trust (in Him)".

Muhammad was not the only one that sought counsel from his companions, but his two successors Abu Bakr and Omar followed his foort steps. On more than one occasion the Prophet urged Muslims to consult before acting. He warns : "A despot cannot succeed if he is opinionated; and no one seeking couset fails". He also states : "No one who seeks counsel is mined" and "Any people who conduct their affairs through counsel will certainly come to a proper and sound judgement". According to Abu Hurayra : "No one persisted on consulting his companions more than Prophet Muhammad. On certain occasions, the Prophet's Companions enquired whether the injunction he brought them was a Revelation or his own; if it was own they argued with him, discussing their opinion concerning the matter in question. Very often he gave up his own opinion and took theirs. Exqmples of such cases wheever great events, like wars required counsel. Never was Muhammad obstainate but he always counseled others even in matters of every day life.

Before the Battle of Badr, the Prophet came to know that Quraish intended to prevent the camels loaded with supplies from reaching the Muslims. The Prophet consulted his people about what to be done, he also wanted to find out what they intended to do with the proceeding army of the enemy

Abu Bakr and Omar supported the Prophet Al-Miqdad Ibn Amr assured the Prophet that they would join him in what God had ordained, telling him that they would not do as the Israelites had done before, when they refused to fight with Moses, telling him, "Go therefore thous and thy Lord, and fight; surely here we will sit", but would go to fight with him, swearing that "by whom who has sent you with the Truth, if you take us to (Al-Ghamad) - a remote place in Yemenwe would traverse the dsert with you until we reach it". Not only did he say that but he reassured the Prophet that "we will fight on your right and on your left and in front of you and behind, until God grants us victory". The Prophet was happy to hear that thanked Al-Miqdad and prayed for him. Then he turned to "Al-Ansars" (The Followers), and asked their opinion on the matter, a reply came from Saad Ibn Ma'az, chief of "Al-Khazraj tribe, " O, Messenger of Allah. We believe in you and bear witness that the Message you brought ys was the Truth. We have pledged

Zakat is charged at the flat rate of two and a half per cent (2 - 1/2 %) from a Muslim on his wealth if it exceeds the limit prescribed by the Holy Prophet. Zakat is a corner-stone of the financial structure of an Islamic State and plays a vital role in the well being and prosperity of a common man. The philosophy underlying the concept of Zakat is that the wealth of the Muslim community be shared by its people.

The system of collection of Zakat and its distribution will, undoubtedly, ensure a barest minimum to every poor and needy. It tends to narrow down the economic and social inequalities to a minimum possible level. It is a unique way of distribution of wealth of the rich among the poor, a way of keeping the wealth in circulation and its non-concentration in the hands of few.

Many people thought that since Zakat was an act of Ibadah (Prayer), it was their personal affair and the government had nothing to do with the collection and distribution of Zakat. But this is not the correct view. The verse in Surat Al-Hajj clearly points to this and says that as soon as the faithful attain worldly authority and political power, the social organization of the Muslims, i.e. the Islamic State carried with it an obligation to establish Salat and to organize Zakat. Moreover, verse 103 of Surat Al-Tauba "Take alms of their wealth" (خذ من أموالهم صدقة), is a clear and direct "Nass" which establishes the Government's power to organise Zakat. Because the Holy Prophet, apart from being and Apostle of Allah, was at the same time the Founder and Head of the Islamic State.

It was propably in 1950 during the days of the Late Mr. Liaquat Ali Khan, the first Prime Minister of Pakistan, that the government of Pakistan formed a Zakat Committee. The object of the Committee was to formulate recommendations about the enforcement of Zakat System in Pakistan.

The government, however, after sometime established voluntary system of Zakat, probably on experimental basis, which provided for depositing sums of Zakat in the post offices through the purchase of Zakat Tickets.

Immediately after the creation of Pakistan it was only natural that this important social obligation of the Islamic State should receive utmost attention but the rulers of the country not only neglected this duty but evaded it throughout, with the exception of the last three years.

ZAKAT IN PAKISTAN

By Dr. Tanzil-ur-Rahman

Chairman

Council of Islamic Ideology

Islamabad

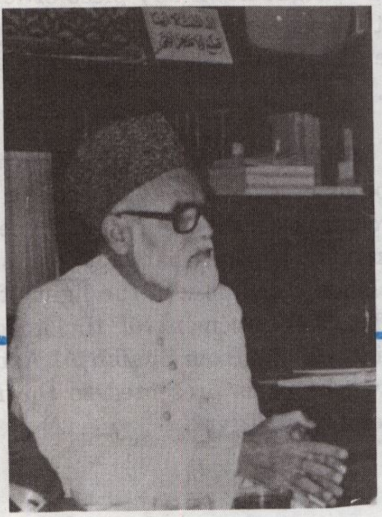

Dr. Tanzil - ur-Rahman

Zakat is one of the five pillars of Islam. It is next to Salat. As Zakat is an important pillar of Islam's welfare system, The God-fearing in the society keep on meeting the requirements of the needy through gifts, alms and charity. But the difference between Zakat and alms is that Zakat is obligatory while alms-giving is voluntary.

The word "Zakat" has been derived from its root "Zaka", which means to "purify", "to foster", to cherish". The word Zakat thus means that which purifies, and that which fosters or cherishes. In a mystic sense, it purifies the soul which is neither miserly nor has love for wealth, the mal. The orientalists have translated the term "Zakat" as "poor rate" or "Compulsory levy on affluent Muslims". Zakat as defined by Muslim jurists, is a complete, unilateral and unconditional transfer by a Muslim of ownership with all its usufructs, a an act of piety, of a prescribed portion of property to a poor Muslim.

Zakat is payable by Muslims only, owning property of a minimum prescribed quantum equivalent to 87.48 grams of gold or 612.32 grams of silver or the cash currency notes merchandise of equivalent value there of which is liable to Zakat, subject to the various exemptions, such as house, wearing apparels, household utensils, transport for self and family, arms of self use, gems, pearls and like in personal use, books, tools and implements etc.

faced today, so we have not only contented ourselves with the recommendations made in the sphere of law and justice but also in the field of Education, in the field of social behaviour معاشرات — in the field of purifying and reforming the mass medias as the radio. T.V. and other connected measures. So we have actually made recommendations in all the spheres of life, whether it is economic, social, educational or legal. We have been preparing ourselves for making recommendations in politics but now we have been asked to submit a report on the political structure of the country and how the shura should be elected and the qualification of the people who come on shura, elected or nominated and how to be nominated.

One thing I would like in the end to emphasize is this : that there should be more and more exchange of the visits of the scholars of Pakistan and Egypt because to tell you the truth we are not in the norm of defect. That Pakistan has enforced the law of hodoud, the law of Zakat, has established a shari'a faculty, has established a shari'a court with the aim to fight down any piece of legislation not consistent and not in conformity with the dictates of Islam, the Quran and sunna.

One thing I'd like to add is that the ground is level in Egypt also for the enforcement of shari'a and I hope on my next visit to find that Egypt has enforced Islamic civil law in the light of shari'a and the enforcement of the hodoud law which I knew from Shaikh Al Azhar that it will be or is presented to the national assembly of Egypt.

spirit of the Quran in them. If you trans-
best way to protect the Quran and to you will commit or be liable to commit hundreds of mistakes. So I suppose the best way to protect the Quran and to propagate the message of Quran in many other languages will be to establish a body may be in collaboration with the various scholars of muslim world knowing different languages. Then it would be better.

Mr. Haibah : please, I would like to have your full name for publication, and the period of presidency for the Council of Islamic Ideology in Pakistan, also the system of work and the number of members, the date of its establishment and achievements.

Dr. Tanzeel Al Rahman said :

My full name is Dr. Tanzeel Al Rahman. I am a judge in the High Court of sind. And by virtue of being a judge, I am the chairman of the Council of Islamic Ideology, for the last more than a year. The constitutional frame of the Council is like this : that it consists of twenty members out of whom one chairman and the rest will be the members of the council. That chairman under the law must be a person who is or has been a judge of the high or supreme court. The other (19) members of the council are chosen from fields of different knowledge I must say that out of (19) we have (10) members leading scholars in Hadith, in fiqh and Quran and command respect in the people in Pakistan. The rest, (9) members, represent legal professions. I mean (2) are advocates and (2) judges according to the constitution. There is a woman member also. It is a constitutional requirement that there should be a woman representative in the council. We have experts in politics, also in constitution and in Islamic philosophy. So the rest of the (9) members each one of them is an expert in his field. Today we have beside Shari'a (2) economic experts because we are faced with a challenge in the field of economics. We have to do a lot in the field of Islamic fiscal system. They have given a report after two years of consistent labour in consultation with men of banking. In the month of January 1981 from 6 - 11 there had been a seminar in Pakistan on Islamic fiscal system. And it was participated by nearly 80 scholars in economics of the entire muslim world. One full session was allocated to the discussion of the council's report of how we can establish an inter free society in Pakistan and so in the muslim world And in the communiqué that was issued at the end of the conference was that this report is a historical document its effort and it deserves congratulation to Pakistan government and the Council of Islamic Ideology.

Mr. Haibah : A last word about the Islamic pulse in the Egyptian street which is not so strong because the street is a field for dealing between people in all matters of commerce and so on. Does the street in Pakistan feel that pulse of Islamic dealings strongly by the presence of the Council of Islamic Ideology. Does it have a sort of control which we miss sometimes here in the Egyptian street ?

Dr. Tanzeel Al Rahman :

The Council of Islamic Ideology has been conscious of the fact that Islam is a complete code of life and what we require is this, to apply the dictates of Islam to the present day life for that the difficulty was that to be Pakistanese had been brought up in an atmosphere which had been and continue to be to a great extent west oriented. And the people of Pakistan, I must say the people who have come out from the universities and did not believe in the supremacy of Shari'a. So the first duty of the Council had been to make muslims themselves believe in the supremacy of Shari'a and tell them that the man made laws either of England or America or France have no answer to the problems with which you are

sensibly and more scholarly than they used to write in the past. But one thing I might say just now is this, that randy in Pakistan and hodoud law then about laws of the hue and cry in the whole west world and western states specially, I might say just now is this, that randy in American Journals and in European Journals, that they are accusing Islam without understanding the philosophy of religion and its dictates or the concept of the criminal law and the criminal acquisition of justice. I am reminded of a scene when King Faisal (Al Shaheed) martyre landed in the United States of America and some journalists put to him the questions about the enforcement of the hodoud law in his country. It was about ten years ago or more than ten years ago, then he said, "look here, we have enforced the Quranic law and the difference you can see is this, that the number of crimes which are committed in one day in your so-called civilized land is more than the number of crimes committed in my country for ten years. So it is the Baraka (blessing) of the Quran and his law actually which search for the betterment of humanity so you should not be shy of enforcing shari'a شريعة (Islamic jurisdiction) merely because the western thinkers and the orientalists in their own manner of presentation are misrepresenting Islam. For that we had agitated this issue when Shaikh Al Azhar had been to Pakistan. And we have suggested to him, and this time also he referred the report of it to me, that we should establish a body in collaboration with Al Azhar and the Council of Isalmic Ideology in Pakistan to go on studying and reading the various writings of the westerns if they are in western press or in books and find out that those writings or some of those writings were against the basic norms and basic teachings of Islam.

When I called on Al Imam Al Akbar الامام الاكبر Shaikh Al Azhar, we discussed about the English translation of the Holy Book Al Quran. We have also this problem, Egypt possibly had this problem. People publish their writings in English saying that this is the translation of the Quran. There is nobody to ckeck up whether this translation is correct or not. Recently they found that such a translation was a wrong, I should say, a mischievous translation was in the market of Pakistan and that was written, translated by a Qadian. So we proscribed it, we banned its circulation it's keeping with the people very recently.

So, I inform Shaikh Al Azhar that we had taken this step, but there should be a body, of course in Pakistan, no body can publish the text of the Holy Quran unless he takes a certificate from the ministry of religious affairs to this effect, that this translation is correct and there is no mistake in it. There is no such body to supervise the translation whether it is in English or in any other language. And for that Shaikh Al Azhar also put up the view: " ان شــاء الله "If God wills, Al Azhar will establish in collaboration with Pakistan such a body to look into the translation. I may just tell you that "The Union of Islamic world'

رابطة العالم الاسلامى

of Saudi Arabia is doing a good share in this direction.

Recently I had been to Brazil — latin America — to attend — as Pakistan delegate a conference on Islamic civilization. There I was confronted with a translation in portugese, and one of the Arabic students brought a copy of the Holy Book translation in portugese to me, of course I don't know portugese, but he just tried to explain to me that look here, this world I deduce for this arabic word and it is not character. So asking, the people who undertake the translation — whether in English or in any other language — of the holy book Al Quran, must firstly have full and complete knowledge of the Arabic language and must also know English very well. But there must be the spirit of the Quran, they must have روح القرآن the

INTERVIEW WITH Dr. TANZEEL AL RAHMAN

By Fouad Hieba

2

In our last issue of Minbar Al Islam, we introduced to you — dear reader — an interview with Dr. Tanzeel ul Rahman, chairman of the Council of Islamic Ideology in Pakistan. Edited by Mr. Fouad Haiba, Minbar Al Islam editor.

In this issue we continue that fruitful interview with Dr. Tanzeel ul Rahman expressing his valuable views and ideas of Islam and muslims in Pakistan and Egypt.

Dr. Zakarya El-Berry, the minister of State for Waqfs and Dr. Tanzil El-Rahman the chairman of the Council of Islamic Ideology in Pakistan and speech about the achievements the application of islamic Shari'a.

Question : If you'll spare me two minutes of your time to speak to Minbar Al lam magazine issued by the Supreme Council for Islamic Affairs in Egypt — and through mutual correspondance and exchange of religious views and essays it will be a magazine expressing views of the Higher Council of Pakistan as muslim brothers. In the last few days I lived an experience and received letters from some non-muslims everywhere infusing suspecion in the Holy Quran. So if your excellency would please say a word about the unity of God's book the Quran, it's innocence of what is attributed to it, it's holiness and that it is God's revelation.

Dr. Tanzeel Al Rahman said :

We have a problem, it is not a recent problem, it has got it's thesis for ages. Although the shapes or the forms are now a bit different but the basic norms are the same. You see these people who don't believe in the religion of Islam, in the revelation of the word as contained in the Holy Quran do not directly come into contact with you, they never come into contact with you directly, they don't come into conflict, rather I may say, they always find such matters and such manners that be imbued in the Holy Quran and create doubts in the minds of young people, especially those who go to the West. So it has been the consistent practice of the thinkers in the west and the orientalists to remiss to represent thesis of the Quran as if the religion of Islam is a religion of war, it doesn't know anything of peace, as if the religion of Islam is a religion of exploitation in various forms, whereas it is a religion which is based on the concept of justice عدل as enunciated in the book of God and Sunna of the holy prophet. I have also come across various writings of the westerns and orientalists and I found that their ideas are either based on ignorance or misunderstanding. but some of them of course, I must say, that they are mischievous. But in the modern time we'll find that the whole west world is coming nearer to Islam, I mean the Islamic world not Islam, not because of love for Islam, not because of love for muslims but their own economic compulsion. You are oil producing countries, most of the muslim countries are oil producers. So it is the oil actually that is bringing the West to the Arab world nearer, for their economic prosperity, for their own economic uplift.

Of course in recent, very recent years I found a change in the attitude of the western people that now they write more

Sharaf el-Dawla el-Buwaihi in Baghdad (988 A.D.). The manuscript is named "a paper on the volume of the parabolic body".

Al-Kouhi charged the static greek mathematical concepts to dynamic ones, for the former perform the operations in the forms once they are drawn, while the latter study the change in a function, which mean the continuous charge in the geometrical form itself. For there are surfaces that rotate to produce bodies, which he used to obtain volumes and centres of gravity of such bodies.

The idea of dissecting the parabola into small inner and outside increments and then proving that the area of external rectangle is bigger than the area of the rectangle whose one side is the curve of the parabola ; the latter is bigger than the inside rectangle was applied later by the European Mathematician Roberval in the year (1634 A.D.) by getting the area limited between the curve of a cycloid and the Xaxis.

Furthermore the studies of Newton, Leibnitz, Fermat, and Descartes lead to the foundation of Integral Calculus.

In the year of 1803 A.D. Dalton the English chemist proposed the atomic theory in chemistry in the following manner.

1 — Matter is composed of small invisible units called atoms.

2 — Atoms of one element are similar, equal in weight and different from these of another element.

3 — In chemical reactions, materials change to their atomic form, and reactions occur between atoms in certain multiples of the compound atom, which the unit of the compound.

The atom of Dalton is a modification of the indivisible of the Islamic talkers.

Thus the concept of **UNIFICATION** in the Islamic culture has left its prints on every branch of scientific movements during the era of enlightenment in Europe.

The truth is that the European thought had avoided the logical mention of the contents of Islamic thought by constructing new forms of relations that were hidden behind the other images, away from the stern logic, as we saw in the characteristics of matter connecting new variable phenomenae as follows.

1 — In the science of optics, Newton proposed the theory of corpuscle, saying that the rays of light emanate in corpuscles [the Indivisible element of Islamic talkers].

2 — In obtaining the centres of gravity of different shapes of areas & volumes, the European scientists proposed the procedure of el-Kuhi.

3 — In the laws of motion Gallilee and others proposed the instantaneous velocities — $\frac{dx}{dt}$ and the indivisible of the characteristic of matter — motion ΔV, distance Δx, time ΔT, and thus laws of motion were gained.

4 — Finally the monad of "Leibnitz" in his theory of monadology.

and other values which are not of importance in astronomy.

In chapter six, he stated that as we need ratios between chord's and this is independent of the value of R, then it is preferable to consider R = 1 and thus al-Biruni was the first to take the radius as **UNITY.**

This was reconfirmed by the scientist Nasir El-Din El-Tousi in the thirteenth century.

Thus the unity was the element used from the era of El-Biruni, i.e. the eleventh century, and the sine and tangent tables are based on that method up to the present day.

«THE INDIVISIBLE» (الجوهر الفرد)

The conception of unification was further applied in more wide area with respect to matter. The talkers in the Islamic civilization i.e. the Ashearis and the Mutagalas considered the primary component of matter the indivisible. The first unit is the indivisible and through synthesis and accumulation the matter is built. In another way the matter through analysis the ultimate unit stops at the invisible. That notation is precipitated from ancient greek philosophy on atom with great evolution and modification.

The talkers of Islam agree that the indivisible element exists in bodies and the characteristics there of. They also agree that there is a part in matter that cannot be divided and an element that is indivisible.

Ebn Hazm the Andalusian scientist (1063 A.D.) says : "Hadn't it been for the existence of the indivisible element, the person who walks a finite distance would have walked indefinitely, because this distance can be divided indefinitely.

Al-Baqallani (1012 A.D.) says : "If the body could be divided indefinitely there would have been an infinite amount in an elephant and the same in an ant ; Thus they would have been equal, which is not the case.

The characteristics were considered to be the motion, time, space, reasons, and effects. Some men added more characteristics, such as these registered by Addid al-Din el-Aigi (1355 A.D.), which were considered to be motion, rest, adhesion, separation, sounds, colours, smells, tastes and beat ... etc. As for life and its belongings they were science, ability and will.

This development led to the clarification of a basic difference between the creed of the indivisible element and the thought of Democritus [The Greek philosopher] who sees that matter, together with the elementary particles of which it is composed, have certain characteristics that form the general characteristics of matter.

Furthermore the idea of the indivisible element was introduced in mathematics, since the geometrical point is the indivisible element. Al-Guwaini [1085 A. D.] said that the true sphere when put on a true simple surface, either touches it by a part which is indivisible, which would thus be the indivisible element, or touches it by a divisible part, and thus it would not be a sphere, but a simple surface which is different from the first assumption.

Then the talkers extended this by saying that the line is the indivisible element of the area and the area is the indivisible element of the body.

Again the indivisible element is considered as a prelude to limits and furthermore to Integral Calculus. This can be seen clear in the manuscript of "Abu-Sahl Weigen ebn Rustom el Koriki". Who was the head of the observeratory based by

This theory was introduced later in the fifteenth century to Europe through the alchemist "Basil Valentine". Only he increased another material which is salt.

Valentine's philosophy of composition was peculiar ; he allowed but three elements, the sulphur and mercury of Gaber, and salt ; by this latter understanding a principle of stability and non-volatility under the action of fire, and not only did he find support for this philosophy in his knowledge of the metals, but of all other matter, organic and inorganic.

Furthermore "Paracelsus" in 1541 A.D. introduced those three elements in medicine as an hypothesis. Should the sulphur increase in quantity, fever and plague would result ; while accumulation of mercury or salt would be followed by paralysis or dropsy. On the state of health or activity of "Archeus" [some spiritual entity] depended the excretion necessary to soundness of body.

As with Gaber and Valentine so with Paracelsus, the three elements were not so much definite substances with definite physical properties as abstractions, suggestive of qualities possessed in eminent degree of mercury, sulphur, and salt respectively. His statement, therefore, that there are as many mercuries, sulphurs and salts as there are organs in the human body is ready understood.

Compare these hypotheses with our notations of now-a-days. If an atom of mercury is bombarded with a neutron, an atom of gold will be produced according to the following electronic formula.

$$Hg^{196} + \text{neutron} \rightarrow Hg^{197} \rightarrow AV^{197} + \text{position}$$
$$80 \quad 0 \quad 80 \quad 79$$

This is what is called transumation of elements. Gaber says that the interaction of mercury and sulphur will produce another metal may be gold, and now the experiments show that the interaction of a neutron with mercury will produce gold hypothetically.

Furthermore, the Syrian alchemist, al-Guildaki, (1342 A.D.) told us in his manuscript 'al-Borhan fi elm al-Mizan" ; that mercury is the origin and reason of all stones. Allah the great has formed it in the depth of earth like the sperm in an uterus ; thus it was the origin of all bodies".

In a manuscript called "The thesis telling that all forms are from a circle" of Nasr ibn Abdallah (d. 400 A.H.) he says : In our book that we submitted to the treasury of king al-Mansour we have shown that all forms are from the circle as a general form. The circle is the reason of all forms, and all forms are inherent in it".

Thus we find that al-Biruni, in his manuscript "al-Qanoun el-Masoudi" considers the circle as his test tube, through which he derives his tables of sines and taughts of all angles from 1/4° i.e. 15° upwards.

Again, in the fifth chapter in the same manuscript, he stressed on getting the value of Π by taking the mean of two 180 sided polygons, and of them inscribed and the other circumscribed the circle ; giving $\Pi = 3.14174660$.

Then he discussed the various values assigned by the ancient scientists to the radius of a circle. As the circumference was considered $360^\circ = 2\pi R$, then $2R =$ 114 plus a fraction ommitted by Ptolmey who, for simplification of calculations, rounded the value to either 110 or 120.

Then finally chose 120 as it gives $\bar{R}$ = 60, which is in harmony with the sexagesimal scale used at that time by the Babylonian astronomers & scientists. Later on, al-Biruni, mentioned at the end of chapter seven, of this article that some Indians used R = 150 = 2 1/2 units

tedious ,yet he performed them alone by himself, although they need at the present electronic calculators with a team of colleagues.

This internal **"Agreement"** for him was essential to convince himself to the real values with satisfaction, as such moves in accord with the spirit of Islamic Culture.

Furthermore his check of the measurement of the earth's circumference in Dahistan, then in India, despite the results obtained of other astronomers of Greece & India, and afterwards the astronomers of Caliph al-Mamoun.

The second corner stone of the building of Islamic culture is **"Comparison"** which we find in the theology of Abu-Hanifa, known as the virtual theology. Here we assume things that never took place and mention their rule. That is to choose the solution and the reason that he obtained.

Really this sort of tackling problems descends from the Greek philosophers, and the trend is known as "Analotica", but with a lot of modifications.

We notice this class of thought in the essay of Al-Hazem (el-Hassan ibn el-Haitham) concerning Analysis & Synthesis, where he mentions : that in this essay we shall explain the method of analysis that leads to obtaining unknowns from educational sciences, and the method of arrangement of introducing things, which form the matter of proofs that verify the validity of the obtained unknowns, the methods of arrangement of these introductions, and the inverse of their arrangement which is comparison, and which is called synthesis.

Yet we divide this study into its divisions and mention its rules and laws, and its subdivisions, and show what is needed of the things that we use in this study".

Al-Hazem assumed non-existing things that may happen in nature, and began to deal with them in analysis and synthesis until he attained a solution thereof. These problems were known as the problem of Al-Hazem to the thinkers of Europe.

There are other several examples of this sort of thinking mentioned by al-Biruni in his manuscript, giving examples for other Islamic thinkers and mathematicians especially in the branch of geometry, as for example "Abu Al-Ala Abu el Hossein, — abu Yahia — and Abu el-Hassan Ishaq ibn Ibrahim ibn Yazid el-Kateb, and others prove this trend of this thought.

***

Yet the deepest root and the strongest part of the spirit of Islamic culture is **"UNITY"** or **UNIFICATION"** : by which I mean that all values are to be consolidated to become a well out of which all branches of knowledge spring, thus becoming a focus that glitters and emanates light to clarify the route of scientists and thinkers.

As an example, "Gaber ibn Hayyan" the well known alchemist explains in his book. "Al-Eadah" that the first unit of metals ,of which all other metals are formed as follows :

"We also say that bodies [metals] are all in their essence composed of mercury, united with Sulphur, that rises to it through the earth vapours, according to whether they are near or far from the rays of the sun, the difference is only a difference in form. This difference in form is due to difference in the proportion of sulphur".

This sulphur is an hypothetical substance non-relating to the rolled sulphur we are all well acquainted with.

THE SPIRIT OF ISLAMIC CULTURE IN SCIENCE & MATHEMATICS

BY
Prof. Dr. AHMAD SAID EL-DEMERDASH

The spirit of the Greek culture in its different phases were distinguished by harmony, multiplicity and Individualism where as the spirit of Islamic culture denies individualism to a very large extent, where all individuals are melted in one whole of which those individuals are only parts. This whole would be higher than all individuals, and these individuals are only its effect.

Since this individual feels its being melted in others and feels its independence and its inability to depend solely upon its individual forces, it cannot imagine the concepts and thoughts except in the form of **"Agreement"** which is one of the sides of Islamic Theology.

Thus we see that "Al-Biruni" in his manuscript of "Istichraq el-Awtar fi el-Daira" tried to obtain the chords in a circle through ancient Greek data. He does not rest after proving the division of the curved line drawn in a circle until he ensures the agreement of two Greek mathematicians namely, Archimedes Sarinus, and a Persian — Athev Khor Gashance, & eight of the Islamic mathematicians of whom we mention :

Abu Said el-Darir of Gorgan, Abu el-Hassan ibn el-Hassan el-Basri, Abu Said el-Sidqi, Abu Abdallah Mohammed ibn Ahmad el-Shonni, Al-Kadi Abu Ali al-Hassan ibn al-Hareth el-Hobibi, Abu Nasr Mansour ibn Ali ibn Iraq Maula Amir el Momineen, & Abu al-Hassan el-Masriin Samarkand.

This was the **"Agreement"** of external scientists that he has no influence upon. There was another internal **"Agreement"** that springs out of himself manifested in his another manuscript al-Qanun el-Masoudi — (third essay) when he was trying to obtain the chord of one degree in a circle. He mentions three ways summarized in the following :

(a) From chord 40° & 36° he got chord 4°, then by bisecting twice gave chord 1°.

(b) Chord 40° leads to chord 10°, where difference from chord 12° gives chord 2°, and hence chord 1° = 0.01745305 (the true value is 0.01745308).

Furthermore, for obtaining the value of chord 40° he performed laborous long calculations based on successive approximations containing 64 processes of evaluating square roots.

From chord 60°, and 72° he obtained chord 12°, therefore chord $[30^\circ + 12^\circ]$ is known, and double bisection gave chord $10^\circ\ 30'$; from that chord $40^\circ\ 30'$ is obtained & chord $10^\circ\ 7'\ 3''$ then follows.

By repeating the process several times one could approach very nearly chord 40°. Actually he stopped at chord $40^\circ\ 0'\ 0''\ 0'''\ 43^{V}\ 9^{VI}\ 15^{VII}\ 28^{VIII}\ 7^{IX}\ 30^{X}$ vale he stated as 0.68404032.

Those operations are extremely

MINBAR AL ISLAM
Published under the auspices
of The Supreme Council for Islamic
Affairs
Ministry of Waqfs — Cairo
Under The Supervision of
Dr. Zakariya El-Berry
Chief Editor :
Dr. Gamal El-Deen Mohammad Mahmoud
Editor :
Mr. Fouad Heba
Issued at the beginning of
every Hijrite Month

Dear Reader

We thank you for the letters me received from you which proved and stressed the success of our experiment in introducing to you Islamic thought, ideology and Jurisprudence (Shari'a) in Arabic, English and French languages.

This achievement puts a great responsibility on the shoulders of Minbar Al Islam editors, in the sense that we try seriously to put Islamic concepts before the English and french readers besides the original Arabic magazine.

What we publish in English and French are not merely essays but a complete comprehensive magazine including beside essays news and Jurisdictions (fatawa). More over your magazine was eager to introduce to the muslim child spiritual nutrition in English and french which is like Al Ferdous magazine in Arabic.

Some of the subjects we have chosen for you in this issue are the spirit of Islamic Culture in science and mathematics and we continue to give you a complete idia of Dr. Tanzeelul Rahman's interview with our editor, with

MINBAR
AL ISLAM

L'Editeur : le Conseil Supérieur des Affaires Islamiques, Ministère des Wakfs.

Le Caire

Directeur général :
Le Dr. Zakariya El Berry

Directeur en chef :
Le Dr. Gamal El Dine Mohammad Mahmoud

Editeur :
Mr. Fouad Haiba
Edition au début de chaque mois arabe

Cher lecteur

Nous vous remercions pour vos lettres qui sont arrivé de vous et qui assurent le succès de l'expérience de présenter la pensée et les croyances et la législation islamique en langue arabe, anglaise, et française.

Et ce travail fait une grande responsabilité pour les éditeur de Minbar Al Islam quand elle fait présenter les compréhensions islamiques pour le lecteur français à côté la pensée islamique pour le lecteur anglais plus que la grande revue en langue arabe.

Les éditeurs n'ont pas vue publier en langue anglaise et française que des articles ou des thèses mais elle est une particulière revue se compose des sujets des nouvelles, des opinions juridiques, mais à ce mois elle convoite de présenter la nourriture islamique qui aide à grandir l'enfant musulman en langue anglaise et française et c'est la revue de Fardous en langue arabe pour l'enfant musulman.

A ce mois nous avons choisi pour vous : La relation entre la foi et l'action dans l'Islam. L'économie et sa position dans l'Islam.

L'éditeur

MINBAR ALISLAM

Second Number — First Year.
Chawal 1401 H. — August 1981
A distinguished Edition with two presents :
Al-Ourwah Al-Wouthquah.
Al-Ferdaous ; The Muslim Child Magazine
Price : P.T. 20

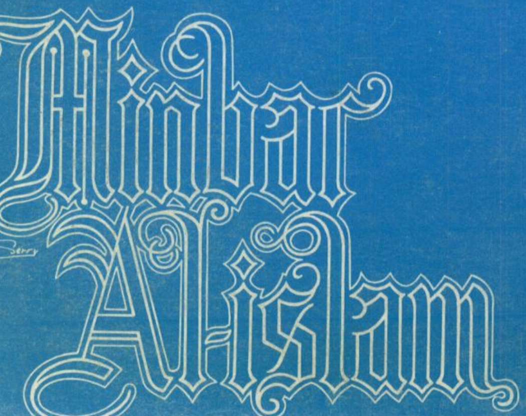

TRIBUNE DE L'ISLAM

Volume No. 2 — Première Année
Avec le volume deux cadeaux :
Le Journal d'Al Ourwah Al Wouthquah
Al Ferdaous ,revue de l'enfant musulman
Chawal 1401 — Août 1981
Prix : P.T. 20.

AL-AHRAM Press